

الجنس الثاني

د. محمد الملاح

الجنس الثاني
المؤلف : د.محمد الملاح

تصميم الغلاف : عبد العزيز السماحي
الأخراج الفني : صفوت بسطا

الطبعة الأولى: يناير 2016م
رقم الإيداع : 2015 / 27697
الترقيم الدولي : 8 - 104 - 769-977-978

توزيع السودان: أماني أبو الريش
00249118776697

جميع حقوق الطبع محفوظة
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com

446 شارع الهرم - أبراج نصر الدين
- عمارة 3 - الدور 11
ت : 01221110435

البيع أون لاين
<http://www.neelwafurat.com>

هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن إليها»

الأعراف(189)

مقدمة

المرأة هي مناط الأخلاق في المجتمع، فإذا أردنا أن نعرف نوع الأخلاق في أي مجتمع فلا بد من معرفة أخلاق المرأة فيه؛ فهي المعيار، والميزان.

ما أروعها المرأة متحفظة غير مبتذلة في مظهرها، وآرائها، تمارس حقوقها، وواجباتها بتلقائية شديدة بلا ضجة، ولا تشنج، ولا انتصار لجنس على الآخر، فإن لم يكن الرجل زوجاً، فهو الأخ، وإن لم يكن هذا، ولا ذاك فهو الأب الذي كان سبباً في حياتها، ثم دفع بها إلى الحياة لكي يثرى بها الحياة، وليست سلاحاً لمحاربة أحد، فليس هناك امرأة بلا أب، وإن كانت المرأة الأولى (حواء) لم تعرف سوى أبيها (آدم)، ولم يكن لها أم لتكون هي أم البشر..

وما المرأة في حياة البشرية سوى بويضة يبحث عنها أحد الحيوانات المنوية ضمن الملايين التي تضرب في تيه الرحم المظلم حتى يهتدى إليها، ويقتحمها، ثم.. ثم.. تبدأ الحياة..

المرأة.. هي الرحم الذي حوى عنصرى البشرية، وحفظ الجنس البشرى من الفناء كل هذه السنين، ويريد بعضهن التنازل عن هذا الشرف ليعشن لأنفسهن فقط، ولكن هل ستخسر البشرية كثيراً سوى أفراد يدخلن دائرة النسيان طواعية؛ ودوئها عذر؟!..

في الآيات القرآنية ذات الصلة بالمعاملات التي أساء المسلمون استخدامها، واستهانوا بها، وساعدهم على ذلك بعض المصنفين للفقهاء الإسلامى، فانسحب هذا على المرأة، ومعاملتها معاملة دونية بما يقربهم للجاهلية منها إلى الإسلام؛ فما بال المتنطعين يؤولون نصوص الكتاب بعنديات جاهلية، أو ضحلة تلوى أعناق الحقائق كلما ظنوا أنهم يفسرون:

-«وللرجال عليهن درجة» البقرة(٢٢٨).. أو:

● ● الجنس الثاني ● ●

-«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» النساء(٣٤).. فجالوا، وصالوا وأدخلوا النفقة في التفضيل، فليست المسألة مسألة عصبية، أو نفقة، أو من يملك من، أو من يحكم من، ولكن المسألة قوامة، ورياسة، وكياسة، وانضباط؛ ففي شأن كالجهد مثلا، وحمل السلاح لا يصح أن تتقدم المرأة، والرجل ينظر، فالإسلام ينصب الحاكم لو كان عبداً حبشياً، كما أمر باتباع الإمام حتى لو لم تطبق عليه صفات الإمامة، أو كان في المأمومين من هو أحق منه درءاً للفتنة، وافتراق الكلمة..

وأما عن الدرجات فيقول تعالى:

-«فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة» النساء(٩٥)..

والتفضيل يأتي هنا من الجهد الذي هو حركة، وانبعث، وانشغال بالصد عن الدين، والحُرَمَات؛ فهل يتساوى هذا مع من قعد في بيته ليرعى دنياه؟.. ولا يصد عنها مثل ذلك الذي خرج بماله، ونفسه، فالدرجة التي امتاز بها الرجل على المرأة هي درجة الحركة، والانبعث لأن الحزن، والسكن لا يفترض فيه الحركة، والانبعث، ومن هنا جاءت الدرجة، وليست تعصبية جوفاء، فلا فضل، ولا كرامة إلا بالتقوى، والعمل، فالله تعالى رب المرأة، والرجل؛ وهو الذي خلقهما، وحدد مسارهما:

-«الذي خلق فسوى (٢) والذي قدر فهدى(٣)» الأعلى..

فكل مخلوق ميسر لما خلق له، وهو الذي يضع لهما القانون، والمنهاج الذي يسير عليه كل منهما؛ لأن كل منهما مكلف لغايته:

-«وما خلق الذكر والأنثى (٣) إن سعيكم لشتى(٤)» الليل..

وليس من المنطق اعتساف تفاسير، وأفكار تخدم أغراض، وبيئات معينة، لأن التفضيل في السعي فقط، والحركة، فمن النساء من تنفق كالرجل، ومن الرجال من هو أقل شأنًا من المرأة، ومن هنا نلمح حكماً يحتم على المرأة الاختيار، والتدقيق عند الارتباط مع الرجل لتكوين الأسرة، بأن يكون الرجل هو القيّم، والمتقدم عنها بما له من بسطة في العلم، والجسم، فتتجنب بعد ذلك تعرضها لما تكره، فعند الاقتران بها مثلا يدفع لها مهراً، وصادقاً، أما لو أخذت المرأة مسار الرجل في أي شيء، فهي وشأنها، ولا ينبغي لأحد الحجر عليها..

إن استهداف المرأة للرجل من أجل تحررها - على حد قولها - إنما هو في حد ذاته حيلة من حيل الرجل ضد المرأة كي تتشتت جهودها نحو لا شيء، وهذا اللا شيء هو الذي جعل المرأة في بلادنا على

●● الجنس الثاني ●●

حالتها إلى الآن؛ فالمرأة في بلادنا لم تكن شيئاً من هذا التحرر، وما زالت الدولة، والقضاء، والتشريع كله ضد المرأة، ومع الرجل قلباً، وقالبا، وإلا كيف أصبحت المرأة الآن تسعى إلى كل دروب الحياة؛ وهذا ليس جديداً عليها بالمرّة، ولكنها إذا التقت برجل في علاقة سواء كانت شرعية، أو غير شرعية تكون هي الخاسر الوحيد عند انتهاء هذه العلاقة بالطلاق، أو الفراق.

لقد حددت الشريعة العلاقة بين الرجل، والمرأة؛ وهى تقوم غالباً على المودة في العشرة، وعلى المعروف وقت الفراق، والمودة، والمعروف يقومون على قاعدة دينية مهمة هى التقوى، والخوف من الله، وعندما ضاعت التقوى ضاعت المرأة، فما هى الأصول الشرعية لبيت الطاعة مثلاً في القرآن، والسنة؟..

يجب ألا تخضع محاكم الأسرة للقضاء، ولا للشرطة؛ بل تخضع كلية لوزارة الشؤون الاجتماعية على أن يكون قوام هذه المحاكم الأطباء النفسيين، وعلماء الاجتماع، ورجال الدين ذوى الدراية، والإلمام بأحكام القرآن، والسنة بشأن الاجتماع، والعلاقات الشخصية فيما بين الرجل، والمرأة من علاقات، وارتباطات؛ بحيث تلزم كل من يطلق زوجته مثلاً بعد بذل كل ما أمر به القرآن من جهد في سبيل الإصلاح بالنفقة الملزمة له، وحتى تتزوج مرة أخرى سواء كان الرجل يتبع الحكومة، أو القطاع العام، أو القطاع الخاص..

في مقدمة كتاب د. خالد منتصر «الختان والعنف ضد المرأة» تقول سناء البيسى:
-«إن المرأة يجب أن تكون الناطقة بلسان نفسها، ويجب أن يتحول خطاب الانتصار لقضيتها إلى خطاب نسائي محض؛ بعد أن كان شبه موقوف على الرجال حتى الأمس القريب»..
وهى تهتم التمير الرجولى للمرأة بأنه تحكمه مصالح باطنة، ومقاصد لا شعورية، وسوف يدركه اللهاث، وقصر النفس عند تصديه لقانون الأحوال الشخصية، والحقوق المدنية، وهى تناقش الموروث الثقافى عن المرأة التى أخرجت آدم من الجنة، مع أن القرآن قد نفى هذه الفرية عن حواء، ونسبها لآدم أيضاً، فهو الأولى بالقوامة، والمسئولية بقوله:
-«فأزلهما الشيطان» البقرة(٣٦)..

هل كانت الشجرة المنهى عنها في القرآن هى شجرة أرضية تنبت طعام من يعيشون على الأرض، وتنشأ منها بقايا في جسد الإنسان تحتاج إلى التصريف، والإخراج؟.. ومن ثم النزوع إلى الجنس الآخر؟.. وهل كان الشيطان هو الذى يعرف سرها؟.. إذ إنه حاول جاهداً أن يغيرهما بالأكل منها

●● الجنس الثاني ●●

على أمل أن يكونا من جنس الملائكة الخالدين..

وهل كان للإنسان طموح إلى جنس الملائكة الخالدين علاوة على سكنه المميز في الجنة؟.. كما أخبرنا القرآن حين غرهما الشيطان بهاتين الحجبتين لإقناعهما بالأكل منها:

-«ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين» الأعراف(٢٠)..

وقد مثلت الأساطير المعتمدة على التوراة الشيطان بثعبان يلتف حول الشجرة المحرمة ذاتها، وهو يدعوها إلى الأكل حتى نسيا النهى الإلهي الذي أكد على:

-«لا تقربا» الأعراف(١٩).. ولم يقل «لا تأكلا»، حتى لا ينشأ لديهما النزوع، وهو يشبه التعبير عند

تحريم الزنا حين قال:

-«لا تقربوا الزنا» الإسراء(٣٢).. ولم يقل «لا تزنا»..

معلوم أن الجنة مطهر كل ما فيها؛ فالماء غير آسن، واللبن لا يتغير طعمه، والعسل مصفى، والخمر لذة، وغير مسكر، يعنى لا مكان بالجنة لإخراج هذه البقايا، والفضلات التي تحتاج إلى هدم، وتحلل للتخلص منها كما يحدث فوق الأرض، فوجود هذه الهاديات، والمحللات سوف تجعل ماء الجنة أسنا، وتغير طعم اللبن عندما يميل إلى الحموضة، ويمتلاً العسل بالشوائب، ويتكون الكحول فيصير الخمر مرا كخمر الدنيا، أم طمعا في نعيم الجنة، والخلود فيها؟.. يقول تعالى:

-«يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما» البقرة(٣٥)..

هل طبيعة الملائكة وخلودهم، والبشر وفنائهم كانتا مما علمه الله تعالى لآدم قبل أن يجعل الجنة له سكنا؟.. فطمع هو وزوجته في الخلود بالتحول إلى جنس الملائكة الخالدين:

-«وعلم آدم الأسماء كلها» البقرة(٣١)..

إذا فقد تعلم معنى الخلود، وطمح إليه بالتأكيد بما رُكب فيه من غريزة حب البقاء، وعلمه هو بدوره لحواء مما علمه ربه، فلم يكن لهما شغل في الجنة سوى الحديث تحت أوراقها الوارفة، وظلها الممدود، ولكن الأمر اختلف بعد أن أكلا من الشجرة:

-«بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة» الأعراف(٢٢)..

فقد بدأ النزوع، بعد أن بدا لهما فجأة ما ورى عنهما من سوءاتهما، فلم يدركا من قبل ما هذه السوأة، وكيف تعمل، فهم قد علّماه مما علّمه الله لآدم، ولكنهما لم يُجربا استخدامه الذي تفاجأ به؛ فهُرِعَا إلى ورق الجنة يستتران به، ولم يُحرم الله ممارسة الجنس في الجنة سواء مع نساء

●● الجنس الثاني ●●

البشر، أو نساء خلقهن الله في غاية الطهر، والنقاء كطهر الجنة لهذا الغرض، المتعة الخالصة من الأمراض، والجراثيم، والروائح الكريهة؛ عدا انهيار الجسم عند الإفراط في الممارسة التي قد تنقطع أيام الطمث، وما بعد الولادة التي تحتاج إلى دم، وسوائل يحتاط بها الرحم من أجل الحفاظ على الجنين، ومشيمة، وحبل سرى يصل الجنين بأمه التي تعتبر مخزنه الغذائي، والمعاشي؛ فلا نسل في الجنة، فالنسل منوط بالحياة الدنيا:

-«أفرايتم ماتمنون(٥٨) أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون(٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين(٦٠)» الواقعة..

إذا فالموت هو نهاية النسل، ولا موت في الجنة، فهي الأرض إذا التي جعلت للموت، أما الخلود فيختلف مفهومه على الأرض، إنها العلاقة الجنسية التي ينتج عنها فرد ثالث يُخلد أبواه، وهو ما يتضح من الآيات في العلاقة بين الموت الذي قدره الله على أهل الأرض، والمَنَى الذي خلقه الله من أجل بقاء الإنسان وخلوده على الأرض، ففي الأرض سيبحث ابن آدم عن بنت حواء التي خُلقت منه، ثم يبحث حيوانه المنوى جاهدا عن بويضته في ظلام الرحم..

كانت الجنة لأبي البشر مرحلة انتقالية، وكانت الشجرة التي ابتلى بها في هذا المكان الطاهر من العناصر الأرضية التي خلق هو منها؛ فعناصر الطيب تأتي بالطيب، والعناصر الأرضية عندما تتفاعل تأتي منها الدنيا التي خُلقت من أجلها، ولذا كان ميله للشجرة أقوى كثيرا من غواية الشيطان، ولكي يستطيع العيش عليها فلا بد له من علم:

-«وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة» البقرة(٣١)..

وبرز العلم الملائكي في مواجهة العلم الآدمي فقال الملائكة:

-«سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا» البقرة(٣٢)..

ويُفهم من ذلك أن الله تعالى اختص كل خلق بالعلم العملي الذي ينفعه في مجاله؛ بحيث لا يكون بالضرورة قد تعلم إلا ما يعينه على حياته، وما خُلقت له، وبذلك لا يكون أحدهما جاهلا لأن علم الآخر لا يعنيه، ولا ينفعه في شيء..

وهل كان علم آدم ليس كعلم الملائكة؟..

فقد علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها؛ التي هي أصل العلوم الأرضية..

وكان للملائكة علم علمه الله إياهم ليس كعلم البشر، يرفع عنهم صفة الجهالة، وإلا لما قالوا:

●● الجنس الثاني ●●

-«أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» البقرة(٣٠).. ثم قالوا:

-«سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا» البقرة(٣٢)..

فجعل الله علما للملائكة غير ذلك الذى جعله لآدم أبو البشر، خاصة أن الله تعالى فى سورة البقرة التى ذكرت هذا الحوار الذى نستشف منه أنه لم يكن استشارة بقدر ما كان تهيدا، وتهيئة، وإقناعا للرسول، والتبجيل لخلق الله، وليس للمخلوق فى حد ذاته - كما فهم إبليس - وكنوع من العبادة، والشكر على العلم الذى علمهم الله إياهم فقال تعالى:

-«إنى جاعل فى الأرض خليفة» البقرة(٣٠).. ثم تردف الآيات:

-«وعلم آدم الأسماء كلها» البقرة(٣١)..

والواو تعطف حديثين وهو الجعل فى الأرض، والعلم، وقد اقترنت الأرض بالعلم الذى لم يكن علما غيبيا؛ بل علما تجريبيا تطبيقيا، بينما كان علم الملائكة علما غيبيا يليق بتكوينهم، ومكانهم فى ملكوت الله، أما علم الغيب فلم يختص به أحدا من عباده إلا من ارتضى:

-«من رسول» الجن(٢٧)..

أمثال عن المرأة:

فى الأهرام الصادر بتاريخ ١٩ من أكتوبر ٢٠٠١ جمعت عايدة رزق بعض الأمثال التى قيلت على المرأة فى مختلف بلاد العالم:

من الصين:

-«البيت الذى تزاول فيه الدجاجة عمل الديك يصبح خرابا»..

-«المرأة النبيلة لا تشرب شاي أسرتين»..

-«المرأة الغبية المسرفة تحرق شمعة لتفتش عن عود كبريت»..

من اليابان:

-«اضرب زوجتك ليلة زفافها تصبح حياتك الزوجية سعيدة»(مثل ذبح القطة المصرى)..

-«المرأة ككوب الزجاج تعيش دائما فى خطر»(حديث الرسول رفقا بالقوارير)..

مثل هندى:

-«امرأة بلا زوج هي حقل بلا مطر»..

مثل إنجليزي:

-«إذا أردت أن تعرف سن المرأة فاسأل سلفتها»..

-«للمرأة الخفيفة زوج ذو وزن»..

مثل أيرلندي:

-«جدير بك أن تمنح زوجتك حبك، ولكن لا تأمن على شرك إلا أمك، أو شقيقتك»..

مثل يوناني:

-«الشیطان نفسه لا يعرف أين تشخذ النساء سكاكينهن»..

مثل سويسري:

-«إذا أردت أن تحبك المرأة فابدأ ببذل المال، والكرامة»..

أمثال روسية:

-«المرأة مصنع للأكاذيب»..

-«الذي يهين زوجته لا يحترم نفسه»..

-«صفعة الزوج لا تترك أثراً»..

أمثال فرنسية:

-«خلقت المرأة لتفتش جيوب الرجل»..

-«العش يتوقف على العصفور، والمنزل يتوقف على المرأة»..

-«العنزة قفزت فوق شجرة العنب، وكذلك ستفعل ابنتها»(كفى القدرة)..

مثل إسباني:

-«يمكن أن ينسى العنديلبي الغناء، ولا تنسى المرأة الكلام»..

مثل بولندي:

-«ابتلع الشيطان امرأة فلم يستطع أن يهضمها»..

مثل ألباني:

-«مع أمك لا تتجاوزى الشاطئ، ومع زوجك اعبري المحيط»..

مثل بولوني:

●● الجنس الثاني ●●

-«المرأة تبكي قبل الزواج، والرجل بعده»..

مثل تركي:

-«المجنون يشيد بزوجه، والعاقل يتحدث عن كلبته»..

مثل ألماني:

-«الشیطان تكفيه عشر ساعات ليخدع رجلاً، والمرأة تكفيها ساعة واحدة لتخدع عشرة شياطين» (لا

فرق في الأمثال بين الشرق، والغرب)..

امرأة عبر التاريخ

يذهب بعض علماء الأنثروبولوجى إلى أن المرأة في ما قبل التاريخ كانت ملكا مشاعا بين الرجال في مرحلة الصيد، وجمع الثمار كما اشتمل هذا النظام أيضا - على ضوء دراستنا للتاريخ، والقبائل البدائية الموجودة حاليا - على الزواج الجماعى، وتعدد الأزواج، والزواج المفرد؛ كما توجد أشكال عبارة عن خليط منها جميعا، كما اقترن الجنس دائما بالمرأة عبر التاريخ، ينشط كلما نشطت المرأة لممارسته بأى شكل من الأشكال؛ سواء الشرعية، أو المحرمة، واقترن الجنس عادة بالقذارة عندما عجز الإنسان في فجر حياته عن تفسير هذه العملية؛ بيد أنها اقترنت في ذهنه بالاشمئزاز من الدم الذى يتدفق عند افتضاض البكارة، ودم الحيض، والأخلاق، والسوائل التى تفيض عن المرأة أثناء الوضع، وأثناء العملية الجنسية نفسها..

وليس أدل على دور المرأة في الإثارة الجنسية، وولع الرجل بها في عصور الإنسان البدائى من تلك التماثيل الصغيرة المكتشفة في جنوب فرنسا؛ التى تمثل المرأة عارية إلا من بعض أدوات الزينة(لماذا؟)، والمدقق في تفاصيل تلك التماثيل ذات النهود الكبيرة، والأفخاذ العريضة، والبطون، وأعضاء التناسل البارزة يتضح له الولع الحسى، والشهوانى للفنان تجاه هذا المخلوق الذى لا ينظر له إلا كأداة من أدوات المتعة الموجودة في الطبيعة؛ خاصة أن هذه التماثيل لا تهتم بتقاطيع الوجه؛ بل في كثير من الأحيان لا يظهر لها وجه أصلا؛ وهو ما يثبت تلك النظرة إلى المرأة في العصور البدائية من أنها ليست إلا العضو التناسلى، وما يحيط به من صفات جنسية ثانوية كالصدر، والأفخاذ الممتلئة، والأرداف المستديرة التى لم يكن له هدف منها سوى المتعة، أما الحفاظ على النوع فقد كان هدفا ثانويا لم يكن يمارسه الإنسان إلا كنتيجة لإبد منها، ولا بأس بها في نفس الوقت..

والملاحظ أن جميع التصاوير التى ترجع إلى العصر الحجرى القديم للمرأة ظهرت فيها الأعضاء

● ● الجنس الثاني ● ●

التناسلية، والأعضاء الجنسية الثانوية بدقة تشريحية بالغة تبدو في بعض الأحيان أكثر تجسيما عما هي عليه في الطبيعة؛ خاصة أن مناخ هذا العصر اتصف ببرودة الجو الذي يتميز بمظهرين؛ الأول هو أن هذا الجو يجبر المرأة على ارتداء الملابس، والثقيلة منها بالذات، والثاني قلة النشاط، والحركة في هذا الجو الذي يجعل الإنسان يلزم كوخه، لا يغادره كثيرا فينفق الوقت في إشباع الرغبة الجنسية التي يحفزها عليها وجود المرأة معه سواء كانت واحدة، أو أكثر..

ويبدو أن المرأة قد تمتعت بقدر من السحر، والدلال في هذا العصر مما جعل الرجل يتوسل إليها، ويذوب فيها عشقا، وغراما كما تدل الشواهد التي تم العثور عليها كصورة منقوشة على العظم في «المغارة استورتز» Isturitz في أقصى جنوب غرب فرنسا، ويظهر فيها رجلا رافعا يديه ناظرا إلى امرأة عارية، متوسلا إليها بنظراته وهي لا تكثرث به، وهو ما يوضح قدر المرأة في هذا العصر، وأهميتها للرجل بحيث لا يمارس معها العنف، أو الخطف، أو الاغتصاب؛ بل يعرف لها قدرها، وشخصها، وعزة نفسها..

ويرجع عدم ظهور المرأة ممثلة للأمومة في هذا العصر إلى حرفة الرجل الصياد الذي لا يرغب كثيرا في التناسل، وزيادة العدد، فالصيد لا يحتاج إلى أفراد كثيرين مثل الزراعة، والوارد المتحصل عليه من الصيد لا يكفي الأعداد الكبيرة، ولا يمنع هذا من ظهور صور، وتماثيل لهذا العصر على هيئة نساء حبالى؛ فالدور الاقتصادي للمرأة كان محدودا؛ انحصرت مسؤوليتها فقط في إعداد الوجبة الغذائية من صيد الرجل سواء أكان من اللحم، أو الحبوب، أو الثمار، وكان من الممكن أن يقوم الرجل بإعدادها، فيبدو أن دور المرأة لم يتعد مساعدة الرجل في إفراغ طاقته الجنسية، واللهو بها، والاستمتاع..

كان أول عمل قامت به المرأة مساهمة منها في الكفاح من أجل العيش، وقهر الطبيعة قد تمثل في صورة عثر عليها في أحد كهوف عصر الجليد لامرأة تقف على سلم مجدول من الحبال تجمع العسل من خلايا النحل، وتضعه في سلة إلى جانبها..

انتهى عصر الجليد بانسحابه من مساحات شاسعة ليحل الجفاف الذي هرب على أثره الحيوان، أو هاجر إلى بقاع أخرى من العالم؛ فانتهى عصر الصيد، وعرف الإنسان استئناس بعض الماشية للتربية، والتوالد فأدرك كيفية التوالد، وأهميته، وكم من الزمن يمر بين الإخصاب، والولادة، ولم تكف الماشية وحدها لسد الجوع فتعلم الإنسان بذر البذور، وحصادها للحصول على كمية كبيرة منها فعرف

● ● الجنس الثاني ● ●

التكاثر، والنمو، ونشأت الزراعة التي تحتاج لعدد أكبر من الأيدي العاملة؛ فعرف أهمية النسل، وعرف استخدام المرأة لهذا الغرض لمساعدته في الزراعة؛ فاتضحت الأهمية العملية للمرأة بأنها ليست للمتعة، واللهو فقط، كما وقع على المرأة عبء العمل الشاق، غير المساعدة في الزراعة بإعداد الكساء لها، ولأفراد الأسرة، وهو ما كان يحتاج لغزل، وجدل الصوف، والشعر، والألياف النباتية..

ولما كان العصر بصفة عامة في كافة القبائل التي عاشت في ذلك الوقت هو عصر الشيوعية الجنسية؛ فقد كانت السيادة أصلا للمرأة قبل قيامها بالأعمال المذكورة، فكان عصر السيادة للأم Gusmaternum حيث كان من المتعذر معرفة والد أي طفل، فكانت الصلة الطبيعية الوحيدة المؤكدة هي صلة الطفل بأمه، لذا كانت الأمهات، أو النساء عموما لهن المكانة المرموقة في ذلك العهد، وكانت لهن السيادة، والرياسة في كل الأمور الخاصة بالقبيلة، وكانت حكومة النساء هي الصورة السياسية الأصلية بين جميع الشعوب القديمة، وبعد جهاد شاق، وطويل كانت نتيجته ظهور الأسرة ذات الزوجة الواحدة، فلما تحقق ذلك أصبح من المعروف أيضا من هو والد الطفل، وعند ذلك أصبح الرجل هو الشريك البارز في هذه المشاركة الجنسية، وكانت النتيجة، أن حلت سيادة الأب Guspaternum محل سيادة الأم..

ويفسر لنا العالم الأمريكي «لويس مورجان» هذا الانتقال من معلوماته عن الشعوب القديمة، والأقوام البدائية التي تعيش في الوقت الحاضر خاصة هنود الأركواز فيقول:

-«لما تقدمت ظروف الإنتاج، وأصبح من الممكن لكائنين بشريين أي رجل، وامرأة أن يقوموا بأودهما اقتصاديا عن طريق تربية الماشية، والزراعة دون الحاجة إلى معونة زملائهما من أفراد القبيلة ظهرت الأسرة، وأصبحت وحدة متماسكة أساسها الزوجة الواحدة، وهكذا صار نظام الأسرة ذات الزوجة الواحدة يدا بيد مع تطور الملكية الخاصة..

ولما أصبح الرجل من الناحية الاقتصادية هو الأكثر نشاطا، والشريك الأقوى من الناحية الجسمانية خضعت المرأة لسيطرته من الناحية الجنسية، ومن جميع النواحي الأخرى فأصبحت امرأته بمعنى الكلمة، وخضعت لكل أنواع السيطرة التي يفرضها العالم المستبد على رعاياه، فكانت تعيش من أجل الرجل وحده، وتعاقب بأقصى العقوبات في حال خيانتها للرجل، وقد تصل العقوبة في بعض الأحيان إلى حد الموت، بينما احتفظ الرجل لنفسه بحق الاتصال بأي امرأة أخرى؛ بل كان له الحق في كثير من البلاد أن يحتفظ لنفسه بعدة نساء بصفة دائمة إذا كانت موارده الاقتصادية تمكنه من ذلك،

ومن هنا حلت سيادة الرجل الاصطناعية مكان السيادة الطبيعية للمرأة.. ومع التقدم الاقتصادى تميز المجتمع إلى طبقات فتأثرت المرأة بالتالى بهذا النظام؛ فأفراد الطبقة العليا يرون أنهم من سلالة الآلهة فتمتعت المرأة بقدر كبير فى الحرية الجنسية مثل الرجال، على شرط عدم تدنيس دماء هذه الطبقة بالزواج من رجال متواضعى الأصل، ولكن يمكن للرجل الزواج، أو معاشره المرأة من أى طبقة؛ لأنه شرف لها..

ويقل مركز المرأة الاجتماعى فى الطبقات الوسطى بسبب العامل الاقتصادى، فالرجل هو التاجر، والصانع، والذى يعمل فى الخدمة العامة، أما المرأة فتقوم بأعمال أخرى لا تؤجر عليها كالزراعة، وأعمال البيت، وتربية الأولاد، وإرضاعهم، وإعداد الكساء، وغيرها من الأعمال، وعليها أن تكون مخلصة للرجل؛ فإن لم تكن كامتاع فى نظره فهى تابعة له قد حازها كى تنجب له الأولاد..

أما فى الطبقات الدنيا فقد سوى الفقر بينهما تماما؛ فهى تعمل معه جنبا إلى جنب منذ الصبا، والشباب؛ فنمت بينهما الشيوعية الجنسية حتى إذا بلغت هى سن العشرين، وبلغ هو سن الثلاثين يرتبطن مع الرجال فى العلاقات الجنسية بمقتضى عقد من العقود العادية؛ لا يمكن أن نسميه زواجا من وجهة نظر القانون المدنى، فالعقود الزوجية كانت للطبقة العليا فقط، بيد أن الدولة لا تعنى بهذا الزواج، أو صورته بقدر عنايتها بنتائج هذا الزواج من ذرية تزيد عدد السكان لتوفير الأيدي العاملة، والدفاع عن القبيلة، ثم عن الدولة فيما بعد خاصة فى بلاد الصين القديمة، وبلاد الشرق الأدنى القديم فى «بابل»، حيث تعاقب المرأة التى تحاول قتل جنينها بأشد العقوبات، فإذا توفيت حرمت من طقوس الدفن المعمول بها، وإذا ما ضرب رجل سيدة حامل فعليه دفع غرامة كبيرة، أو العمل بالسخرة لمدة شهر، وكانت الغرامة تختلف باختلاف طبقة المرأة..

المرأة فى مصر القديمة:

تميزت مصر القديمة بما نسميه الآن زواج المحارم، فكانت المرأة هى المرأة مهما قربت، أو بعدت من الملك، فقد كان الرجل فى القانون المصرى القديم هو المالك لثروة الأسرة كلها، فإذا مات انتقلت الثروة إلى أقارب الزوجة، فالملك الذى يرغب فى الاحتفاظ بثروة الأسرة وهى غالبا أراضى البلاد كلها كان مضطرا إلى الزواج من أخته، ويرى البعض أن لهذه العادة جذور دينية تتصل بعبادة إيزيس،

●● الجنس الثاني ●●

وأزوريس، وقد ظلت هذه العادة على طول عصور مصر القديمة تزيد، وتنقص حتى ظهرت لآخر مرة في عصر البطالسة خلفاء الإسكندر الأكبر، ولم يمنع هذا الزواج الملك من اتخاذ محظيات، وعشيقات، فكان لرمسيس مائة وستون ولدا، وكذلك الحال في الملكات اللواتي جلسن على عرش الفراعنة مثل حتشبسوت، وكيلوباترا لم يكن يقنعن بأزواجهن فقط..

وبعد حتشبسوت ظهرت حركة مناهضة النساء التي قام بها أخوها عن طريق الجيش لمحو اسمها، وأثارها من جميع المباني العامة، والسجلات حتى عهد الأسرة الثالثة والعشرين في القرن الثامن قبل الميلاد حيث أصبحت إحدى الأميرات كبيرة كهنة معبد آمون في طيبة، وكان يشبه معبد دلفي في بلاد اليونان؛ فكان كهنة هذا المعبد يستشارون في المسائل السياسية الكبرى، بما يمكن اعتبار المعبد حكومة نسوية غير رسمية، فعدت سلطة النساء التي ظلت قيد الوجود أكثر من مائتي عام حتى الغزو الفارسي لمصر..

كيلوباترا:

أوصى والد كيلوباترا «بطليموس الثالث عشر» لابنه بطليموس الرابع عشر بالعرش بمشاركة أخته كيلوباترا التي كانت تكبره على أن يتزوجها، ولكن بطليموس الرابع عشر استلب العرش لنفسه ففرت كيلوباترا خوفا على حياتها إلى سوريا حتى جاء «يوليوس قيصر» إلى مصر متتبعا غريمه المهزوم «بومبي» الذي هزمه قيصر في موقعه «فرسالوس»، فلما وصل إلى الإسكندرية وجده قد قتل فانتهزت كيلوباترا فرصة وجوده في الإسكندرية، واستخدمت دهاءها، ومكرها للقيام بدور تمتلك به عرش مصر بعد أن تستولى على عرش قلب يوليوس قيصر، فاستعانت بأخلص عبيدها «أبوللو دورس» الذي كان مفتول العضلات، ضخم الجثة ليجر معها إلى المرفأ الصغير أسفل القصر الملكي، ولما كانت كيلوباترا نحيلة فقد لفها في سجادة، وحملها على كتفه ذاهبا بها إلى القصر متذرعا بعرض تحفه الفنية على قيصر العظيم فسمح له الحرس بعد أن أغدق عليهم القطع الذهبية حتى ذهب أمام قيصر فنشر السجادة لتقفز الفتاة النحيلة الرقيقة بخفة، ورشاقة واقفة أمام قيصر، أخذ الرجل بالوجه الجميل، والجسم اللدن، والصوت المنخفض ذي الجرس العذب؛ فضلا عن خطتها البارعة لمقابلته، وعبقريتها الفاتنة التي أخذ بها، وفي صباح اليوم التالي استدعى القيصر أخاها الملك

الصغير ليوفق بينهما، وأخذت بعدها تزداد اعتمادا على الحيلة، والخديعة لتصل إلى رغبتها أكثر من اعتمادها على سحرها النسوي، وجمالها بعد أن نضجت، وعركتها الحياة والتجارب..

أجبت كيلوباترا في نفوس الرومان؛ وعلى رأسهم القيصر، وأنطونيو حبهم للفخامة، والأبهة فأبدعت في تهيئة البلاط الملكي المصرى بأبدع النقوش المحمولة على دعائم مغطاة بصفائح الذهب الخالص، أما الجدران فكانت من الإبريز الخالص، كما حرصت على تقديم ما لذ، وطاب من الطعام، والشراب مما يوجد به البحر، والبر، والسماء على المآدب التي تحيئها أحسن الخمور المعتقة، ويقوم بخدمتها جمع كبير من العبيد من مختلف الملل، والأجناس..

أمضى قيصر خمسة شهور إلى جانب كيلوباترا متذرا بالحروب التي دارت رحاها عند الإسكندرية، ومتغيبا عن روما التي أصبح صاحب الكلمة العليا فيها، وقد فتحت أذرعها ليكون قيصرها، وإمبراطورا لها لو شاء، ولكنه ظل قابعا بجوارها..

إن الحياة الرخصة الناعمة التي وفرتها له كيلوباترا بالإسكندرية بعد تسع سنوات من عمله الشاق المتواصل، والمصاعب، والمخاطر الحربية في المعسكرات المختلفة أصبحت محببة إلى نفسه، كما أن رقة كيلوباترا، وعاطفتها المشبوبة، ومشاعرها الرقيقة اجتذبتة إليها، فقد كانت تعيش من أجل الحب، وقد اختارت العشيق الذي يستطيع أن يمنحها القوة، والسلطان، وكل ما تريد، وكانت تعرف أن سلطانها على قيصر رهنا بحبه لها، فإن تزوجته خبا ذلك الحب خاصة بعدما تحرك ابنه في أحشائها، والذي بررت وجوده أمام شعبها عن طريق الكهنة بأن قيصر إله الشمس، اضطر قيصر للعودة إلى روما بعد أن واجه أنطونيو - نائبه عليها - الفتن، والقلق، وذلك لحفظ الأمن، والنظام، وتوطيد مركزه بها، وحث كيلوباترا على الحضور إلى روما مع ابنها قيصر الصغير، ولكي تمنع الشائعات عنها اصطحب معها أخاها، وزوجها الثاني؛ فلما استاء أهل روما لحضورها عادت إلى مصر، ولكنها رحلت إلى روما مرة أخرى، ولم تمكث طويلا إذ هاجم المتآمرون قيصر، وطعنوه..

اتجهت كيلوباترا بخيالها نحو أنطونيو خليفة قيصر الذي أصبحت بلاد الشرق الأدنى؛ ومنها مصر من نصيبه، فسار إلى سوريا تحيط به مواكب النصر كالملوك الفاتحين، وفي طريقه إلى هناك أرسل إلى كيلوباترا كتابا طالبا إليها أن تقابله في طرسوس، وكانت هذه الدعوة هي الفرصة المواتية لها، وقد استغلتها أفضل استغلال، فمارست دلالتها عليه بتأجيل الرحلة أمدا طويلا لتثير في نفسه الشوق، وتؤجج رغبته في لقاءها، ثم ذهبت إليه في أسطول بحرى لم ير التاريخ مثيلا له فقد طعمت سفينتها

●● الجنس الثاني ●●

بالذهب، أما أشرعها فكانت من الحرير القرمزى، وكانت مجاديف البحارة من الفضة؛ حيث كان التجديف على أنغام الموسيقى، والأغاني، يعزفها، ويشدو بها فتيات جميلات، أما كيلوباترا نفسها فقد استلقت على تكتة على شكل صدف البحر، متخذة هيئة فينوس وهى خارجة من أعماق البحار، يلتف حولها صبية صغار على هيئة كيوييد - إله الحب لدى اليونان - يروحون عليها بمراوح من ريش النعام، وما إن وصلت السفينة إلى الشاطئ حيث ينتظر أنطونيو حتى انبعثت رائحة الطيب، ملأت الجو أريجاً منعشاً، وأضفت جوا حاملاً، ودوت عاصفة من الأصوات المختلطة ترحب بمقدم كيلوباترا ملكة مصر..

انبهر أنطونيو بهذا المشهد الفريد، ونزل من نفسه موقع الاستحسان، وأثار أحاسيسه؛ فأرسل إليها يدعوهما للغذاء، ولكنها ردت رسله داعية إياهم إلى وليمتها..

بلغت كيلوباترا السابعة والعشرين وهى فى أوج سحرها، وجمالها، واتقاد ذكائها الأنثوى، ولها من الأريحية، والمبادأة ما لم يتوافر فى غيرها من النساء، الأمر الذى جعل أنطونيو يتبعها كجرو صغير، فصار إليها فى العالم التالى فى الإسكندرية شتاء ليرتمى فى أحضانها محاطاً بكل مظاهر الأبهة، والعظمة، وكل أشكال الخلاعة، والفجور، فأصبح عاشقها الولهان، المطيع لها فى كل أمر، فكانت تلعب معه النرد، وتحسنى الخمر، وتجوب معه الشوارع، والمحال العامة ترتدى ثياب الغانيات حتى مطلع الشمس..

ولا يدوم الترف طويلاً إذ أرقته الاضطرابات فى روما فرأى أن يتزوج أخت «أكتافيوس» منافسه فى الوطن تدعيماً لسلطانه، على الرغم من أن زوجته كانت امرأة مخلصه، وعلى قدر كبير من الفتنة، والجمال، وقد بذلت كيلوباترا محاولات كثيرة للإيقاع بينه، وبين زوجته على أيدى أعوانها، إلا أنه تمسك بها طوال سنوات ثلاث، وكانت كيلوباترا تطمح أن تكون لها السيادة على العالم؛ فبادرت بالزواج منه لتصبح مصر هى القوة الرئيسية فى حوض البحر المتوسط، ولكنه دخل فى صراع مع أكتافيوس بعد أن فشل مشروع زواجه من أخته..

تمسكت به كيلوباترا زوجاً، وعشيقة فقد قالت له:

-«لقد أصبحت زوجتك، فلو تخليت عنى لأصبحت موضع العار أمام العالم».. فقبح بجوارها، وتقاوعس عن النهوض للقضاء على الثورات، وعن العودة إلى روما؛ حتى عندما أحرز النصر على الأرمن، احتفل بهذا الانتصار فى الإسكندرية بدلاً من الاحتفال به فى روما، الأمر الذى استاء له أهل

● ● الجنس الثاني ● ●

روما، وزاد الطين بلة أنه أعلن كيلوباترا ملكة الملوك، وابنه منها هو ملك الملوك، وانزعج أكتافيوس لهذه الأمور فكان لا مفر من نشوب الحرب بينهما لينتصر عليه أكتافيوس في موقعة «أكتيوم» البحرية..

أصرت كيلوباترا على أن يكون القتال بحرا بين أنطونيوس، وأكتافيوس رغم نصيحة القواد العسكريين فقط لأنها ستبدو أكثر فتنة، ودلالا عندما تشرف على المعركة من فوق ظهر سفينتها، فلما حلت الهزيمة بجيوش أنطونيوس فرت هي بسفنها الستين التي اشتركت بها في المعركة إلى الإسكندرية، يتبعها أنطونيوس بعد أن تخلى عن القتال، ولما اقترب الأسطول من الإسكندرية وضعت أكاليل النصر، وعلا صوت البحارة بأناشيد النصر لتظل محتفظة بنفوذها، بيد أن المأساة كانت قد قاربت النهاية بعد أن ضحت بحبيبتها أنطونيوس علها تفوز بقلب أكتافيوس المنتصر، ولكنها فشلت هذه المرة، ولم تفلح إلا في خداع حراسها؛ فتناولت السم حتى لا تكون واحدة من السبايا في موكب النصر الذي سيخترق شوارع روما..

المرأة في بابل:

كانت مهمة المرأة الأساسية في بابل هي إنجاب الأبناء، والعناية بشئون المنزل، والقيام بكل ما من شأنه بعث البهجة، والسرور، والمتعة في نفس الرجل، وهذا لا يعنى استبداد الرجل بها بل كانت شريكته؛ فكما كان عليها واجبات معينة فقد كان لها حقوقا مرعية، كما كانت مساوية للرجل أمام القانون إذ كانت دولة بابل ينظمها القانون المكتوب بعد أن جمع الملك حمورابي منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد التشريعات، والقوانين التي كانت موجودة إلى ذلك العهد في قانون موحد ظل ساريا عدة قرون، وكانت النواحي الاجتماعية تحوى قسما خاصا من هذا القانون الذى فاق في اتساعه، وشموله أى قانون آخر ظهر في العالم القديم، وقد حمى هذا القانون الضعفاء من ظلم، واستبداد الأقوياء، ومن بينهم المرأة، واهتم هذا القانون بتنظيم العلاقات الإنسانية داخل الأسرة، أى بين الرجل، وزوجته، وبينهما وبين من يمتون إليهما بصلة..

كان الزوج في بابل هو أساس الحياة العائلية، والذى ينظم عقد الزواج، وكان الرجل يتخذ له محظية، أو أكثر تعيش معه في نفس البيت خاصة إذا كانت زوجته عليله، أو عاقرا، فإذا لم ينجب

●● الجنس الثاني ●●

الزوج من زوجته، أو محظياته فله أن يتخذ زوجة ثانية إلى جانب زوجته الأولى، ولكن كان دورها ثانويا تجاه الزوجة الأولى، وكانت دون مركز الزوجة الأولى بكثير؛ بل كان عليها أن تغسل أقدام الزوجة الأولى، وكان الشاب الذي يغرى فتاة بريئة فعليه بزواجها وإلا تعرض للموت، بيد أن هذه العقوبة خفت بعد ذلك؛ لأن شريعة حمورابي لم تبدأ في التدخل في حياة رعاياها بهذا الشأن إلا بعد الزواج؛ الذي كان يسبقه عادة تفاصيل الالتزامات المالية..

وإذا أهمل الرجل في بابل زوجته إهمالا شديدا كان لها الحق في تركه دون تعويض، فإذا خانها لا يكون عليه عقاب؛ اللهم إلا إذا دفع لها تعويضا، أما الزوجة الخائنة فجزاؤها الموت غرقا، فإذا قبض عليها متلبسة مع عشيقها؛ قيدها معا، ويلقى بهما في الماء، فإذا لم يكن هناك تلبس، ولم يثبت عليهما هذا الجرم يلقي بهما في الماء دون قيد، ويترك لإله النهر تقرير مصيرهما، ولما كانت هذه العقوبات شائعة في بابل فقد كان الرجل الداعر، والمرأة العاهرة في حاجة إلى إتقان السباحة حتى ينجوا من الغرق في مياه دجلة، والفرات..

كانت قوانين حمورابي تتضمن مادة صارمة وهي أن للزوج بموافقة المحكمة الحق في رهن زوجته؛ بل وأولاده ضمانا لدينه، وكانت هذه من الوسائل التي يتخلص بها الرجل من زوجته، وبالتالي التخلص من دينه وإن كان القانون قد حدد مدة هذا الرهن بثلاث سنوات، وقد مدت فترة هذا الرهن إبان عهد الإمبراطورية البابلية الجديدة، ثم تطور هذا الرهن ليصبح نوعا من تجارة الرقيق الأبيض..

وقد اشتدت هذه القوانين بعد الغزو الآشوري لبابل إذ كانت الزوجة الخائنة يجدها أنفها، أما شريكها فكان عقابه الإخصاء إلى جانب عقوبة الإلقاء في الماء غرقا..

المرأة العبرانية:

لا تختلف النظرة العبرانية إلى العلاقة بين الرجل، والمرأة عن النظرة التي حددتها شريعة حمورابي من قبل، فقد تأثر اليهود - إلى حد كبير - بالقوانين، والمعتقدات البابلية حيث ظلوا في بابل زمنا طويلا خلال فترة السبي، فكان الزواج لدى اليهود يهدف أصلا إلى إنجاب الأبناء، فإذا لم يحقق هذا الغرض أمكن فسخه، فقد كان اليهود يعيشون في قتال دائم لأنهم كانوا قبائل من الرعاة، والذرية

●● الجنس الثاني ●●

الوفيرة هي عتاد الحرب، والعمل على حد سواء، فالتوراة تشيد في مواضع كثيرة بالمرأة الولود، وبضرورة الحرص على النطفة المخصبة، وعدم التفريط فيها إلا في رحم امرأة تنجب الأولاد؛ فكانت الشريعة اليهودية في كل أحكامها تشير دائما إلى العلاقات الزوجية حتى إن الرجل الذي يتزوج يعفى من الخدمة العسكرية، ومن العمل الشاق لمدة سنة كاملة تحفيزا على الزواج، فعليه خلال هذه السنة إنفاق كل وقته، ونشاطه في إرضاء الزوجة، وإنجاب الأولاد..

ولم تكن العزوبية محرمة لدى اليهود بقدر ما كانت من الأمور غير الطبيعية، ولم يكن الرجل مرغما على الزواج إلا في حالة واحدة فقط وهي إذا ما توفي أخوه الأكبر دون أن يعقب ذكرا، فعلى هذا الأخ الأصغر عبء الزواج من أرملة، وهي عادة معروفة لدى الكثير من الشعوب القديمة وتمسك بها اليهود، وأصرروا عليها، ولم تكن هذه العادة من دواعي سرور الأخ الأصغر، فالأولاد الذين ينجبهم عادة ما يكونون ذرية شرعية تنسب لأخيه الأكبر، فكان الأخ الأصغر غالبا ما يتمرد، ويشور، ويروى لنا الكتاب المقدس قصة أونان، وثامار، فقد قال يهودا لأونان:

-«أدخل على امرأة أخيك، وتزوج بها، وأقم نسلا لأخيك؛ فعلم أونان أن النسل لا يكون له؛ فكان إذا دخل على امرأة أخيه ألقى بالإفاضة على الأرض لكي لا يعطى نسلا لأخيه» (التكوين، اصحاح ٣٨، آيات ٨-١٠)..

وكان اليهود يأخذون أنفسهم بكثير من التعاليم التي جاءت في الوصايا العشر مثل «لا تشتهي زوجة جارك»، أو «لا تزني»، فكان عقاب المرأة الزانية عندهم أقل صرامة عما كان في بابل، فكانت تجبر على شرب سائل لا طعم له، فإذا انتفخ بطنها كان ذلك دليلا على جرمها، وعند ذلك يلقي بها في الماء لتغرق، كما نصت القوانين العبرية من ناحية أخرى على أن الذي يشهر بالمرأة دون وجه حق يعاقب بالموت..

المرأة الهندية:

الكتب التي تركها الهنود عن علاقة الرجل بالمرأة جنسيا كثيرة جدا، ويقولون إنه منذ بداية الخليقة كتب «براهما» (الخالق، أو روح العالم في الديانة الهندية القديمة) كتابا ضخما من مائة ألف فصل لتبصرة النوع الإنساني بالموضوعات المتصلة بالجنس، والحياة، وتذكر الروايات أن شخصا يدعى

●● الجنس الثاني ●●

«ناندى Nandi» اختصر القسم الذى يبحث عن الموضوعات الجنسية إلى ألف فصل، وقام بعده «سفيتاكيeta Svetaketa» باختصار هذا الكتاب إلى خمسمائة فصل، ثم اختصره بعد ذلك «بابهرافييا Babhraviya» إلى مائة وخمسين فصلا قسمها إلى سبعة أقسام:

١. الحقائق التمهيدية..
٢. مطارحة الغرام..
٣. الحب الجنسى..
٤. حب النساء المتزوجات..
٥. الحب المحرم..
٦. الدعارة..
٧. أسرار شئون الحب..

كما كتب آخرون بعد ذلك بسنوات الكثير من الكتب فى كل ما يختص بشئون الحب، والجنس مع استثناء «فاسايايانا Mallanaga Vasayana» الذى كان فى الأصل طبييا فوضع كتابا كاملا عالجا فيه كل الأوجه السبعة المذكورة، والخاصة بالمعلومات الجنسية سماه «كاما - سوترا Kama Sutra» وقد أطلق عليه البعض «مكيافيللى الشئون الغرامية»، وتدل كلمة «كاما» فى اللغة السنسكريتية على عدة أشياء مثل الحب، والرغبة الجنسية، والإشباع الجنسى، وغير ذلك، وهى أيضا اسم إله الحب عند الهندوس المرادف «لكيوييد» عند الرومان، و«آيروس» عند اليونان، وهم يمثلونه ممسكا بالقوس، والسهام، وسهامه عبارة عن أزهار عجيبة الأشكال، والألوان، والرائحة، أما وتر القوس فعبارة عن صف من النحل..

ولعل أغرب ما جاء من الهند ما عرف باسم «سونى» وهو تضحية الأرملة بنفسها حرقا فى سبيل تأكيد تعلقها بزوجها، فقد كان الرأى عند الهنود أن المرأة التى ارتبطت بالزواج من الرجل يجب أن تحافظ على هذا الرباط المقدس على الدوام؛ سواء فى هذا العالم، أو فى العالم الآخر، وأن يمتزج رمادها برماده فى اليوم الذى يحرق فيه جثمانه على المحرقة، واعتبروا ذلك نوعا من أعمال البطولة التى تغنى بها شعراؤهم، بيد أن هذا العمل يفقد روعته، وجلاله إذا أدركنا أنه بمثابة تعبير مادى للعبودية التى فرضها الرجل، والمجتمع الهندى على المرأة باسم الدين..

وترجع عادة «سونى» هذه إلى الألف الثانية قبل الميلاد؛ فقد ظهرت فى الشعوب الآرية فى شمال الهند، ويرجعونها إلى عادة تقديم القرابين البشرية، وقد أيدت كتب الديانة الهندية القديمة «الفيدا Veda» هذه العادة، ولكنها وضعت حلا للحد منها هو إذا رقدت المرأة فوق المحرقة إلى جانب جثمان زوجها، وجاء رجل آخر وأخذها من يدها فى آخر لحظة؛ فإنها فى هذه الحالة تكون ملزمة

بالاعتراف به زوجها ثانيا لها، وتعود معه إلى عالم الأحياء، وظلت هذه العادة تمارس حتى عام ١٨٢٩م عندما حرّمها اللورد «وليم بنتنك» William Bentinck حاكم الهند العام على الرغم من المعارضة الشديدة للكهننة..

المرأة اليونانية:

كان الجوارى سببا في اضطهاد المرأة الإغريقية لكونهن من أملاك الرجل الخاصة، فيتمتع هو بكل جواريه بينما تقتصر علاقة المرأة على زوجها فقط، ومن هنا حرص الرجل على تضيق الخناق على زوجته بمراقبتها، بل ومنعها من الخروج إلا بمحرم، أو حارس حتى استخدم الإغريق كلاب الحراسة في هذا الشأن..

ومن هنا اختفت المرأة في اليونان القديمة من الحياة العامة؛ إذ كانت شؤون السياسة وفقا على الرجال وحدهم، ولم تكن المرأة في منزلها تستأثر بحب زوجها، فقد كانت موضع احترام زوجها، وتبجيله، ولكنها لم تستحوذ على اهتمامه، ولم يهتم بهن الأزواج قدر اهتمامهم بعبيدهم، وإمائهم، أما المرأة التي كانت تستأثر بعواطف الرجل، وتجذبه نحوها فهي تلك التي كانت تنتسب لطائفة «الهيتريا Hetairae» وهن الغانيات المحترفات لفن الحب، خاصة إذا كان الرجل من أصحاب المواهب الرفيعة..

إن أساطير الآلهة، والأبطال عند اليونانيين القدماء كلها تدور حول المرأة؛ فالحروب كانت تشن بسبب الحب، أو للثأر من الخيانة الزوجية..

وكان اليونانيون القدماء يرون أن الجمال المثالي يتمثل في الجسد العارى للرجل ذى البنية القوية، الرشيق القوام، المفتول العضلات، ويرون أن حب المرأة إذا امتد إلى أكثر من الرغبة الجنسية يعتبر جنونا، وسفها، وأن نشوة الفؤاد التي نعبر عنها اليوم بوجه عام باسم الحب الرومانتيكي لا تتعدى جنس الرجال، أى الذكر وحده لا غير..

وليس من شك أن الاتصال الجنسي بالغلّمان كان أمرا شائعا في بلاد اليونان في العصور القديمة، فقد كانوا يعتقدون أن الغرام بالجنس المماثل يؤدي إلى تقوية الذهن، والبدن معا، ويقول البعض - ومنهم أرسطو - أن السبب في هذه العادة خوف اليونانيين من زيادة عدد السكان، والواقع أن الرجال

●● الجنس الثاني ●●

الذين كانوا يعيشون في المعسكرات، والذين يحاربون جنبا إلى جنب لم تكن لديهم الفرصة للتنفيس عن رغباتهم الجنسية إلا مع الرجال..

ولعل أقدم إشارة وصلت إلينا عن عشق الجنس المماثل Homosexuality يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ٤٥٠٠ سنة مضت في بردية من برديات قدماء المصريين الذين كانوا على اتصال وثيق بالإغريق، فكان عشق الغلمان شائعا بين آلهة العصور القديمة؛ فوجد مثلا أن «جوبيتر» كبير الآلهة اليونانيين يقع في غرام غلام راع جميل هو «جانيميد» على الرغم من تعدد علاقاته النسائية، حتى إنه أحضره إلى جبل أوليمب ليكون ساقى الآلهة، وكان «نبتيون» إله البحر يعشق غلاما يدعى «بيلوبس» Pelops، و«أبوللو» إله الشعر يعشق «هياكينثس» Hyacinthos، وإله الغاب يعشق «سيباريسوس» Cyparissus وهكذا..

وكانت هناك ظاهرة أخرى هي التعلق الشديد، والإعجاب البالغ بنهود المرأة، ذلك التعلق الذى بلغ حد العبادة، والذى بدا واضحا فى أشعارهم، وتمثيلهم، وآثارهم الأدبية، وكان «نوس» Nannus وهو من شعراء الملاحم يطلق على التفاحتين الصغيرتين النابتتين على صدر المرأة اسم سهام الحب..

المرأة الرومانية:

كان شيشرون (أحد أعلام الفكر الفلسفى الذى طرأ على الرومان بعد احتكاكهم باليونانيين) هو أول من حدد الكائنات الإنسانية، أو الحيوانية بأنها الذكر، والأنثى، وجاء المؤرخ «بليوس Pliny» ليطلق تعبيره المشهور «الجنس الضعيف» Sexus infirmus، وحدد جنسا ثالثا هم «المخثنون»، أما الشذوذ الجنسى فقد كان الرومان يأنفون منه، ويفرضون عقوبة على من يمارس الشذوذ، وكانوا يطلقون عليه «العادة اليونانية»، ولكن البلاط الرومانى فى أواخر عهد الإمبرطورية خاصة عهد الإمبراطور «هارديان» قد تلوث بالعادة اليونانية الرذيلة؛ وهى عشق الجنس المماثل، أو «اللواط Homosexual» حتى إن بعض النسوة كن يعرضن أولادهن فى الطرقات فى ملابس، وحلى النساء إغراء للمريدين..

ولعل أهم النتائج التى ترتبت على حركة التوسع الرومانى فى ربوع أوروبا؛ انتشار نظام الزواج المفرد الذى لا يزال سائدا حتى الوقت الحاضر، وهناك كثير من الشواهد، والروايات تدلنا على

●● الجنس الثاني ●●

التقدير الأدبي السامى للمرأة، ودورها في الحياة الرومانية فقد أنشئ في روما معبد يسمى «فينوس كلفا Venus calva» تمجيدا لنساء روما اللواتي قصن جدائل شعورهن الطويلة عندما حانت ساعة الخطر ليصنعن منها أوتارا لأقواس الجنود، كما أنشئ معبد آخر لذكرى العطف البنوى لتلك المرأة التي كانت تذهب لزيارة أمها التي حكم عليها بالمولوت جوعا في السجن، واتضح أنها كانت تغذيها بلبن ثديها..

وعلى الرغم من ذلك فقد كان مركز المرأة الرومانية دون الرجل داخل الأسرة، إذ كانت السلطة المطلقة للرجل، ولم يكن لها سلطة على الأولاد، وكان في استطاعته أن يطلق زوجته عندما يريد ذلك، أو حتى يحكم عليها بالمولوت، وكان القانون يؤيد الرأى العام في الحفاظ على العفة، والكرامة، والشرف لكل من الرجل، والمرأة حتى إن مجلس الشيوخ وبخ أحد أعضائه لأنه قبل زوجته في حضرة بناته، ووبخ آخر عندما وقع عليه اعتداء في بيت من بيوت الدعارة، وكانت المرأة المتزوجة تباشر كل ما في البيت بنفسها، وكان من العار أن تعهد بوليدها إلى المرضعات، وكان يرمز للزواج بأنه زمالة العمر كله، وظلت روما بلا طلاق مدة قدرها خمسمائة وعشرون سنة..

أقر الرومان نوعين مختلفين من الزواج؛ الأول كان أكثر تشريفا للمرأة في نظر القانون، حيث تصيح المرأة بمقتضاه تحت سلطان زوجها المطلق بالنسبة لشخصها، وبالنسبة لثروتها، وكان يتم عقده وفقا لطقوس دينية خاصة تتسم بالروعة، والمهابة، ويقتصر على طبقة النبلاء، ويسمى «Conferreatio»، أما النوع الثاني فقد ترك للمرأة مركزها المرعى دون تغيير وعرف باسم «Coemptio» وهو نوع من الزواج المدني اشتق اسمه من نظام البيع المعروف، أو ربما يتم بمجرد معاشرة رجل لامرأة معاشرة الأزواج لمدة سنة دون انقطاع، وعرف باسم «Vesus» إذا لم يستردها الأب خلال ثلاثة أيام، ولم تكن المرأة ترتاح عادة لهذا الاسترداد..

وفي عهد الإمبراطورية حل مكانهما نوع بسيط من الزواج يقوم على الاتفاق المتبادل بين الرجل، والمرأة دون أى احتفال دينى، أو مدنى، حيث تظل المرأة بحكم القانون في بيت أبيها، وتحت رعايته، وليست تحت سلطان زوجها، وكان للزوجة إذ ذلك استقلالها الشرعى، والاحتفاظ بملكها الخاص، كما ترث نصيبها من تركة أبيها، وبهذا انتقل جزء كبير من ثروة الرومان إلى حوزة النساء، ويقال إن النساء كن يقرضن أزواجهن المال في بعض الأحيان بفائدة مرتفعة؛ الأمر الذى كان موضع تهكم، وسخرية بعض الكتاب، وأولى الرأى، ولما كان هذا العقد مدنيا، وقد أبرم لإسعاد الطرفين فقد كان

●● الجنس الثاني ●●

من حق أى الطرفين إلغاؤه وقتما يشاء، ومن حقه التزوج مرة أخرى، فكان كثير من هذه الزيجات يلغى لأتفه الأسباب حتى على مستوى عليية القوم، أو حتى دون إبداء أى سبب.. ولا يتم الزواج في روما إلا بين أفراد الطبقة الواحدة، فقد حرم القانون الرومانى المكتوب (اللوحات الاثنتى عشرة ٤٥٧ - ٤٤٩ ق.م) الزواج ما بين الأشراف Particians وعامة الشعب Alebians ولكن سرعان ما خرج الناس على هذا القانون، وكان ذلك لحادثة حب وقعت بين رجل من الأشراف يدعى «أبيوس كلوديوس Appius Claudius» وبين فتاة جميلة من عامة الشعب تدعى «فرجينية»، رغب أن يتخذها عشيقة على الرغم من أنها كانت مخطوبة لأحد عمال الدولة، فما كان من أمر الأب محافظة على شرف أسرته أن طعن ابنته فأرداها قتيلة، وذلك في الساحة الرئيسية بروما Forum الأمر الذى أدى إلى ثورة الجيش لإجبار الأشراف على قبول مبدأ التزاوج بين طبقة الأشراف، وعامة الشعب..

المرأة المسيحية:

بعد أن اعتاد الرومان أن يكونوا هم واضعى القوانين، والتشريعات لكل العالم، وجدوا أنفسهم أمام فئة من المبشرين، والوعاظ من المشرق ينادون فيهم بمبادئ خلقية جديدة، فقاوموها بادئ الأمر في جميع الولايات الرومانية، ثم تغاضوا عنها، واتبعوها في النهاية، وكانت المبادئ، والتعليمات تقضى بألا يكون انصراف الناس كلية إلى الملاذ الدنيوية؛ بل عليهم التفكير في الحياة الآخرة بعد الممات، فالإنسان ليس جسدا فقط، وليست له الدنيا دون الآخرة، وأن الزواج رابطة مقدسة بين الرجل، والمرأة لا تنفصم مدى الحياة، والطلاق إثم، وزواج أحد الطرفين في حياة الآخر مرة أخرى هو فسق، وفجور لا يمكن التكفير عنه..

قدمت الدولة الرومانية خدمات جليلة في سبيل نشر التعاليم المسيحية الداعية إلى العفة، والطهارة فأصدر الأباطرة المسيحيون التشريعات اللازمة لذلك، واتخذت إجراءات لتتواءم مع التشريعات الكنسية، فكانت تحكم على القوادين بأن يذاب الرصاص، ويصب في حلوقهم، وكانت تحكم بالموت على الرجل الذى يغتصب امرأة كرها، ويحكم عليها هى أيضا بالموت إذا ثبت أنها استسلمت له، كما أصدرت قانونا يوجب تخلى الفنانات، والممثلات عن مهنتهن بعد التعميد إذ اعتبرت الكنيسة

●● الجنس الثاني ●●

هذه المهنة ستارا يخفى وراءه الكثير من أعمال الفسق، والفجور كان من أثر ذلك أن اجتذبت الناس حياة العذرية، والزهد في الزواج، واشتهر قول القديس جيروم إن قطع شجرة الزواج بفأس العذرية هو نهاية ما يبغيه القديس، وإن كان قد سمح بالزواج فذلك فقط لإنتاج العذارى..

وغالى رجال الدين المسيحي في تفضيل العذرية على الحياة الزوجية مدعين أن شهوة الرجل للمرأة شهوة بهيمية تستدرك الجسد كله فتتغلغل في أعماق النفس، وتختلط فيها الانفصالات العقلية المشوشة فيفكر في أشياء دنيوية لإرضاء المرأة، هذا على الرغم من انغماس أغلب هؤلاء الدعاة إلى هذه الأفكار في شبابهم في حياة الفسق، والفجور..

فالقديس أغسطين(٣٥٤-٤٣٠ق.م) اعترف أنه عندما ذهب إلى قرطاجنة للدرس، والتحصيل اتخذ له محظية أنجب منها ولدا، وقد قال القديس جون كريسوستون St-John Crysoston عن المرأة إنها شر لا بد منه، وهى إغراء طبيعي، ووزر مرغوب فيه، وسحر مميت، وسوء مزركش بالألوان.. بيد أن الفكرة التى أشاعتها الكنيسة عن عدم طهارة الزواج قد استشرت في النفوس، فقد جرت العادة على الإحجام عن فراش الزوجية ليلة الزفاف تمجيذا للعشاء الرباني، والنص الصريح على أنه لا يجوز للمتزوجين الذين تلامسوا في الليلة السابقة للاحتفالات الكبيرة بالكنيسة عدم حضورهما حتى إن القساوسة المتزوجين كان عليهم أن يمتنعوا عن مضاجعة زوجاتهم بعد الرسامة..

وقد أفاض كتاب العصور الوسطى في ذكر أديرة للراهبات كانت أشبه بالمواخير، وبكثرة المواليد الذين قتلوا داخل أسوار هذه الأديرة، ودفنوا حولها، وتفشت جريمة غشيان المحارم بين رجال الكنيسة، الأمر الذى أدى إلى إصدار القوانين المشددة التى تحول بين القساوسة، والعيش مع أمهاتهم، وأخواتهم، كذلك شاع اللواط بين رهبان الأديرة، وكانت الشكوى عامة من القساوسة الذين يتزوجون سرا، أو يتصلون بأزواجهم بعد الرسامة لدرجة جعلت الكنيسة تفرض تابعا للقسيس من الرجال ينام معه، ومنع مقابلتهم لزوجاتهم إلا في أماكن مفتوحة، وفي حضور شاهدين على الأقل.. وانعكس هذا الاتجاه على الحياة العامة فكلُّ يريد أن يتصف بالشرف، والفضيلة في حين أن نزاعاتهم الغريزية كانت أقوى، فتفتشت في المجتمع قيم الرياء، والمواربة، والختل، والخداع، والظهور بمظهر الولاء، والإخلاص؛ فأصبحت الخيانة الزوجية من الفضائل التى يحرس عليها المواطنون، سواء رجالا، أو نساء خاصة بين الطبقات العليا من المجتمع، وتطور على ألسنتهم في مجتمعاتهم المقفلة بشيء من الزهو، والانتصار، بل لا يعتبر فارسا من لم يغرِّ كمًّا كبيرا من الزوجات بالفسق، والفجور،

●● الجنس الثاني ●●

فاستباحوا حرمة البيوت باسم الفروسية، والشهامة، والدفاع عن البؤساء، والمظلومين حتى ألبسوها طابعا دينيا يستجدى فيه الفارس السيدة العذراء كي ترعى هذه العلاقة..

وإزاء هذا الاضطراب الخلقى، والفوضى الأخلاقية لجأ رجال الطبقة الوسطى من رجال الأعمال، والتجار، والذين اقتضت أعمالهم السفر أياما قد تطول، أو تقصر إلى وسيلة تحافظ على نساءهم من جريمة الزنا، وكانت هذه الوسيلة عبارة عن حزام من هيكل معدني في اتساع راحة اليد يلبس حول عضو المرأة، ولا يترك لها غير ثقب صغير يسمح لها فقط بقضاء حاجتها، وكان هذا الحزام يقفل عند أعلى الفخذ بقفل متين يحتفظ الزوج بفتحها، وترجع هذه الوسيلة تاريخيا إلى «هوميروس» شاعر الأوديسة التي وصف فيها أفروديت إلهة الجمال؛ وقد خانت زوجها «هيفايوستوس -Hephaistos tos» مع أخيه «أرس» Ares، فعمد زوجها إلى صنع حزام العفة هذا ليحول بينها، وبين ذلك غير أن اليونانيين أنفسهم لم يلجأوا لهذه الوسيلة؛ بل إن أول من استخدمها رجال فلورنسا بعد ظهور الأوديسة بألفين من السنين حيث اشتهرت زوجاتهم بالانحلال الزوجي؛ حتى عم استخدامها في أوروبا خلال القرنين الخامس، والسادس عشر تحت اسم «حزام فينوس»، أو «حزام فلورنسا» حتى إن المرأة التي لم تكن ترتدي الحزام تعتبر مستباحة لأي طارق..

وقد ساعدت الحروب الصليبية التي ابتدعتها أوروبا على تفاقم هذه السلوكيات المتردية، فأدى ابتعاد الرجال عن زوجاتهم مددا طويلة إلى انتشار البغاء، والدعارة المقتنة التي تغاضى عنها المجتمع، والدولة، ورجال الكنيسة، حتى أحصى فرسان الداوية Templars (وهي الطائفة التي كان منوطا بها حصر المحاربين الصليبيين) في سنة من السنين ثلاثة عشر ألف بغى صحن هذه الحملات..

المراة العربية:

تمتعت المرأة العربية في الجاهلية بقدر كبير من الحرية، والاختلاط بالرجال، ومشاركتهم في نواحي النشاط الاجتماعي، كما كان العرب في العصر الجاهلي يؤثرون القراة عن طريق النساء، فالمرأة بعد زواجها لا تصح من عشيرة زوجها؛ بل تظل فردا من أفراد عشيرتها الخاصة، وينتقل زوجها للعيش معها في عشيرتها؛ بل كان لها أيضا الحق في تطليق زوجها، كما كان لها الحق في اختياره، فقد ذكر الأصفهاني في كتابه «الأغانى»:

● ● الجنس الثاني ● ●

-«وكان النساء، أو بعضهن يطلق الرجال في الجاهلية»..

كان الزواج بكافة صورته القديمة شائعا في العرب، بل كان هو النظام المتعارف عليه في علاقة الرجل بالمرأة، ولم يكن هناك تفريق في طرق الزواج سواء كان راقيا، أو مشينا، اللهم إلا العلاقة الجنسية تعبر عن نفسها في أى صورة من الصور، ولذا لم يقف في سبيل الزواج لدى العرب أي موانع، أو حدود من سن، أو غيره، المهم مقدار الكفاءة، والنسب، فالسيد لا يتزوج إلا سيدة، والعبد لا يتزوج إلا أمة، ولم يكن الزواج لديهم يحتاج إلى شهود، أو عقد مع أهل الزوجة، أو وليها، فطالب الزواج يفرض نفسه على المرأة التي يرغب فيها بقوله:

-«خطب».. بمعنى أني أخطبك.. فتد عليه المرأة بقولها:

-«نكح».. بمعنى الموافقة على طلبه الزواج منها..

كان للعائلة الواحدة باليمن أرض واحدة يمتلكونها على المشاع، وبينهم أيضا زوجة واحدة للجميع، فكان الرجل منهم يخلو بها تاركا عصاه بالباب، دليلا على وجوده معها، أما الليل فتقضي مع الأكبر سنا، وهو رئيسهم، وصاحب الكلمة العليا بينهم، وكانوا يأتون أمهاتهم، أما الزاني فكان يطلق على من يتزوج من خارج القبيلة، وعقابه القتل..

جاء في حديث السيدة عائشة رضی الله عنها الذي رواه البخاري؛ ما يدل على زواج المشاركة، وكان يسمى «نكاح الرهط»؛ وهو أن يجتمع الرجال دون العشر فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت، ووضعت أرسلت إليهم فلا يستطيع أحدهم أن يمتنع، فإذا جاءوها قالت لهم:

-«قد عرفتم الذي من أمركم، وقد ولدتُ فهو ابنك يا فلان»..

فتسمى من أحبت باسمه، ويلحق به ولدها دون اعتراض منه..

وعرف العرب الجاهليون نوعا آخر من النكاح هو «نكاح الاستبضاع»؛ فكان الرجل يقول لزوجته إذا طهرت من طمئتها:

-«أرسلني إلي فلان فاستبضعي منه»..

ثم يعتزلها، ولا يمسه حتى يتبين حملها من الرجل الذي استبضعت منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أراد، الزوج يفعل ذلك رغبة منه في نجابة الولد اعتقادا منهم أن العظيم يأتي بعظيم مثله، ولا يكون المولود في هذه الحالة من حق العظيم الذي جاء من صلبه؛ بل يكون ابنا للزوج الشرعي الذي أمر بالاستبضاع، وهذا النوع أيضا يعتبر نوعا من زواج المشاركة لدى العرب الجاهليين ...

●● الجنس الثاني ●●

وليس هناك من الأدلة ما يؤيد أن زواج المشاركة كان نظاما عاما في كل القبائل العربية؛ بل لعله كان مقصورا علي بعض القبائل التي كانت تمارس عادة وأد البنات؛ والتي قيل إن سيد بني تميم «قيس بن عاصم» ابتدعها حين أقسم ليئدن كل بنت ولدت له، لأن ابنته اختارت صاحبها الذي سبها علي العودة إلي زوجها، وأهلها، فقد تكون هذه العادة منقولة إلي العرب من الشعوب المجاورة كالفرس الذين كانوا يمارسون نوعا من الإباحية الجنسية في عهد الساسانيين قبل ظهور الإسلام، ولم يكن الوأد منتشرًا بين قبائل العرب، وإمّا كان من العادات الرذيلة التي كان يمارسها بعض العرب..

كانت مكة مركزا لبيع السبي من مختلف البقاع، والأجناس؛ فراج لدي العرب زواج الأسر، حيث يتزوج الأسر من سبيته، ولم يكن في هذا الزواج أي دليل علي الإذلال، والعبودية، بل كان ضربا من الشهامة، والفروسية، فقد كان العرب يعتقدون أن أبناء السبايا من خيرة الأبناء، وكان الأسري في الجاهلية يعتبرون ملكا لليمين، وكان يطلق علي السبية اسم «النزيع» أي المرأة التي انتزعت من أهلها، كما يطلقون علي ولدها اسم «النزيع»..

كان الزواج بالشراء هو أكثر أنواع الزواج انتشارا في العرب الجاهليين، إذ كان ينظر إلي الفتاة علي أنها سلعة تزيد من ثروة أبيها، وكان المهر هو ثمن الشراء الذي يدفعه الرجل لأهل المرأة تعويضا لهم عن فقدها إياها بزواجه منها، وهو بذلك تكون له السيادة المطلقة عليها، وحق الطلاق إذا أراد، أما زواج الصداق، أو الصديقة كانت المرأة تزوج نفسها عن حرية، وطيب خاطر، كما كان لها الحق في تطليق نفسها إذا شاءت، وكان الصداق يقدم من الرجل للمرأة هبة لها، ولا يكون صاحب السلطان المطلق عليها، بل يكونان علي قدم المساواة معا..

واشتهر بين العرب زواج المبادلة، وزواج الشغار وذلك بأن يزوج الرجل ابنته، أو أخته علي أن يزوجه الآخر ابنته، أو أخته، فهو يقوم علي المبادلة في القيمة دون صداق متفق عليه، وظل العرب يمارسون هذا النوع من الزواج في الجاهلية حتي جاء الإسلام فحرمه، فقد جاء في «صحيح البخاري»: -«نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زواج الشغار»..

وكان هناك نوع آخر من الزواج سائدا لدي العرب هو زواج الميراث، أو العضال، وذلك عندما يموت أبو الرجل، أو أخوه، أو ابنه، ويترك امرأة فإن سبق الوارث فألقي عليها ثوبه فهو أحق بالزواج منها بمهر المتوفي، أو يزوجها من أراد ليأخذ هو مهرها، أما إن سبقته فذهبت إلي أهلها فلا يستطيع

● ● الجنس الثاني ● ●

عضالها، وقد جاء القرآن بتحريم هذا الزواج في الآية:

-«يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن»
النساء(١٩)..

ولم ينفرد العرب بهذا النوع من الزواج؛ بل كان شائعا في كثير من شعوب العالم بحيث كان الزواج يعد فرضا محتوما في بعض الجماعات، والشعوب بحيث إذا رفض الوارث أن يتزوج من أرملة المتوفي؛ وجب عليه أن يقيم نفسه واليا عليها، وكانت عادة طرح الثوب لميراث الزوجة من العادات السامية القديمة، وكانت المرأة تسمى عندهم باللباس، أو الإزار، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة:

-«هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» البقرة(١٨٧)..

وكانت أردأ صور الزواج الذي أطلقوا عليه زواج المقت، وهو أن يتزوج الولد زوجة أبيه المتوفي، أو المطلقة منه بنفس الطريقة، وسمي المولود منه مقتي، فأبطل الإسلام هذا الزواج بقوله تعالى:

-«ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا»
النساء(٢٢)..

وأخيرا زواج المتعة؛ وهو تزويج المرأة إلي أجل بعقد محدد المدة، وتعاشر معاشرة الأزواج، حتي إذا انقضت المدة وقعت الفرقة، ومن الممكن أن تظل الزوجة في بيت أهلها، وتتردد علي زوجها من حين لآخر، ويصرفها حين يطيب له، وكانوا يلجأون لهذا النوع من الزواج عندما يكونون بعيدين عن الوطن في سفر، أو تجارة، أو غزوة..

ورغم هذه الصور المتعددة، والشاذة من الزواج كان هناك الزواج المتعارف عليه اليوم، وهو النوع الذي أقره، ودعمه الإسلام، فكان يقوم علي الرضا، والقبول بين الطرفين سواء الزوج، والزوجة، أو الأهل، فكانت المرأة تخطب من وليها على الصداق المسمى بينه وبين طالب الزواج، ثم يقوم بالعقد عليها، وكانت الفتاة التي بلغت سن المراهقة الشغل الشاغل لوالديها، أو لوليها حتي يزوجه من الرجل الكفاء الذي يصلح لها، وكان العرب يميلون إلي زواج الأبعاد دون الأقارب الذي يرونه مضرًا بخلق الولد ونجابته، كما كانوا يصهرون للألفة بين القبائل، أو استئناس الأعداء، وتقوية الصداقة، وكانوا يرغبون في النكاح لطلب الولد، فيلتمسون لذلك الحداثة، والبركة في المرأة..

المرأة في العصر الإسلامي:

أحدث الإسلام ثورة كبيرة في مركز المرأة الاجتماعي، ومن الممكن القول إن تعريف البشرية قبل الإسلام هو الرجل فقط، والرجل ليس إلا، ليصبح التعريف بعد الإسلام هو رجل، وامرأة، فاقتزمت المرأة بالرجل في كل الحقوق التي له، وفي الواجبات، والتبعات التي عليه، يقول القرآن الكريم:

-«وما خلق الذكر والأنثى (٣) إن سعيكم لشتى (٤)» الليل..

بل إن كتاب الإسلام الأول وهو القرآن قد اشتمل على سور تتعلق بالمرأة، والأحكام الخاصة بها، حتي العنوان، والاسم قد تسمت بها؛ كسورة «النساء»، و«مريم»، واقتزمت في سورة أخرى (النمل) بنبي من أنبياء الله (ملكة سبأ، وسليمان عليه السلام)، ورغم اشتمال القرآن علي آيات شتى تتعلق بالمرأة، وبشخصيات كثيرة إلا أنه لم يذكر أي اسم لامرأة إلا السيدة مريم صيانة لها، وحرصا علي خصوصيتها، واعتبارها حرما مقدسا لا ينبغي الإباحة باسمه دون داع، هذا عدا أن بعضهن كن رواة ثقات للأحاديث النبوية، وقد حضت هذه الأحاديث، والسيرة النبوية علي الاقتران بالمرأة، وعدم الاستخفاف بها، أو جعلها متاعا من الأمتعة الدنيوية فيقول النبي صلى الله عليه وسلم:

-«من أحب أن يكون علي فطرتي فليستن بسنتي، فإن من سنتي النكاح».. وقال أيضا:

-«حُبب إلي الطيب، والنساء»..

وكان الزواج هو الطريق القويم للاقتران بالمرأة؛ فوضع له القواعد السليمة، والدقيقة للدخول فيه، والخروج منه، وحق، وواجب كل من الزوجين تجاه الآخر، والمحرمات من النساء، وطرق التورث، ورسم لها حياتها الاجتماعية، وما يجب فعله، وما يجب الامتناع عنه، ومن بعد ذلك أطلق للرجل حرية الزواج فقال تعالي:

-«والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات»

النحل(٧٢).. كما قال أيضا:

-«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»

الروم(٢١)..

كما أحل الاستمتاع بهن للتنفيث عن أقوى الغرائز الإنسانية التي جعلها الله للحفاظ علي البشر

فقال تعالي:

● ● الجنس الثاني ● ●

-«نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شتتم» البقرة(٢٢٣)..

والتعبير بكلمة الحرث؛ وهو اصطلاح زراعي يعني إعداد الأرض للزراعة، ويقوم به الإنسان وقتما يشاء..

وليس أدل علي سهولة هذا الأمر في صدر الإسلام لدي المسلمين الذين عرفوا الإسلام، وما يريد منهم، وبهم ما رواه الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» عن عبد الله بن أبي وداعة أحد تلاميذ سعيد بن المسيب الذي تفقده يوماً فلم يجده، حتى حضر مجلسه مرة أخرى سأله:

- أين كنت؟.. قال:

- توفيت أهلي فأشغلت بها..فقال سعيد:

- هلا أخبرتنا فشهدناها؟.. فسكت عبد الله، وأراد أن يقوم فسأله سعيد:

- هل استحدثت امرأة؟..قال عبدالله:

يرحمك الله، ومن يزوجني، وما أملك إلا درهمين، أو ثلاثة؟!..

فقال سعيد:

- أنــــا.. فرد عليه:

- وتفعــــل؟!.. قــــال:

- نعم..قال عبد الله:

- فحمد الله تعالي، وصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجني علي درهمين، فقامت وما أدري ما أصنع من الفرح، فعدت إلي منزلي، فأسرجت، وكنت صائماً فقدمت عشائي لأفطر، وكان خبزاً، وزيتاً، وإذا بابي يُقرع فقلت:

- من هذا؟!.. فرد من وراء الباب:

- سعيد.. يقول عبد الله:

- فكرت في كل إنسان أعرفه اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم يُر أربعين سنة إلا بين داره، والمسجد؛ فخرجت إليه فإذا هو سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له (رجع عن رأيه).. فقلت له:

- يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك!.. فقال سعيد:

- لا؛ أنت أحق أن تؤتي!.. قال عبد الله:

●● الجنس الثاني ●●

- فما تأمر؟.. قال سعيد:

- إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت، فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك!.. وهذه امرأتك، وإذا هي بنت سعيد بن المسيب قائمة خلفه في طوله، فدفعتها في الباب وردة، ومضي.. قال عبد الله:

- ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، وأعرفهم بحق الزوج!..

وكانت ابنته هذه قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد؛ فأبي سعيد أن يزوجها إياه..

هكذا كانت البساطة، لا تعقيد، ولا مساومة، ولا إبطاء، كما لم يسأل الزوج عن مالها، وجمالها، إنما أراد الزواج ليعصم نفسه من زلة قد يقع فيها، أو كبت لا يقوي علي احتماله، ويغير مبادئه، وأخلاقه، وقد تمثل هؤلاء الصفة قول الرسول الكريم عملا، وليس قولا حيث قال صلي الله عليه وسلم:

-«من تزوج امرأة لعزها؛ لم يزد الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها؛ لم يزد الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحبها؛ لم يزد الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصن نفسه؛ بارك الله له فيها، وبارك لها فيه»..

نظم الإسلام الزواج تنظيما دقيقا، وحدد له مقدمة، ونهاية؛ فشرع الخطبة، وهي أن يري الخاطب خطيبته قبل الزواج، ويستمع إلي حديثها، بأن يجلس إليها في وجود الأهل، والأقارب، فقد خطب المغيرة بن شعبة امرأة فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم:

-«أنظرت إليها؟».. قال:

-«لا»، قال:

-«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»..

بمعني أن تتوثق بينكما الألفة، والموافقة..

ولم يعط الإسلام هذا الحق للرجل فقط؛ بل هو أيضا للمرأة، فأمرت الشريعة وليها أن يأخذ رأيها، ورأي أمها التي هي أدري الناس بأحوالها، فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

-«لا تنكح الأيم حتي تستشار، ولا البكر حتي تستأذن»..

وعندما حدث في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم أن فتاة تزوجت بغير رضاها؛ وراحت تشكو إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم، ففسخ الرسول زواجها، تاركا لها حرية الاختيار..

●● الجنس الثاني ●●

وفي الزواج يجب علي الزوجة أن تلبّي رغبات زوجها كلما أراد، في مقابل أن يتحمل هو أعباء الأسرة، وهذا صيانة للرجل، والمرأة معا، وإذا لم تلب ذلك تعتبر ناشزا، بقول النبي صلي الله عليه وسلم:

-«ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رءوسهم - أي لا يقبلها الله - منهم امرأة باتت وزوجها عليها غضبان»..

وهو ما يؤدي باستقرار البيت، ودوام العشرة..

كما لفت التشريع الإسلامي الأنظار إلي المظهر الحسن، والرائحة الطيبة لكل من الرجل، والمرأة، يقول الرسول الكريم:

-«لا يقعن أحدكم علي امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول»..

قالوا:- وما الرسول.. قال:

-«القبلة، الكلام»..

ولا يبيح للرجل أن يهجر فراش الزوجية إلا لعقاب زوجته حال النشوز، يقول تعالي:

-«واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا

عليهن سبيلا» النساء(٣٤)..

وعلي المرأة أن تطلب الطلاق إذا عرض للرجل مرض، أو ضعف يقعده عن مباشرة زوجته؛ حتي لا يؤدي بها الحرمان إلي الفسق، والانحراف، والخيانات الزوجية التي تنعكس علي أهل الزوج، وأهلها، وأولادها - إن كان لها أولاد - وجعل لها الخلع إذا كرهته، أو كرهت عشرته بأن ترد عليه مهره، وصادقها..

ومن حق المرأة ألا يغيب زوجها طويلا حتي لو كان للجهاد في سبيل الله، يروي أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يمر في طرقات المدينة ليلا، فسمع زوجة غاب عنها زوجها في إحدى حروب الفتوح تتغني بشعر تعبر فيه عن شوقها لزوجها، وإحساسها بوطئة الغريزة، ولولا خشية الله لسلكت سبيل الفساد فتقول في شعرها:

وأرقتني أن لا خليل الأعـبه

تطاول هذا الليل واسود جانبه

لحرك من هذا السرير جوانبه

فو الله لولا الله تُخشي عواقبه

وأخشي لبعلي أن تُنال مراتبه

مخافة ربي والحياء يصدني

● ● الجنس الثاني ● ●

فأنزعج عمر لهذا الشعر، وهرول إلى الدار يسأل ابنته حفصة، كم تصبر المرأة علي زوجها؟.. فأجابته: تصبر شهرين، وفي الثالث يقل صبرها، وفي الرابع يُفقد صبرها.. فأرسل الخليفة إلي قواده في جبهات القتال؛ يأمرهم ألا يحبسوا رجلا عن امرأته أكثر من أربعة شهور..

كما أبطل الإسلام ما كان يفعله الجاهليون من القسم بألا يقرب زوجته علي الدوام، أو لمدة قد تزيد علي أربعة أشهر، وكانوا يعتبرونه طلاقا بائنا، لا رجعة فيه، لم يعتبره الإسلام طلاقا، بل يُهمل الزوج أربعة أشهر، فإن لم يستأنف اتصاله بزوجه يُطالب بطلاقها، فإن لم يفعل تُطلق علي يد القاضي، وهو ما يُعرف في الفقه الإسلامي «بالإيلاء»، قال تعالى:
-«للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم(٢٢٦) وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم(٢٢٧)» البقرة..

كما ألغي الإسلام الظهار وقت الغضب بأن يقول الرجل لزوجته؛ أنت علي كظهر أمي، أو أختي، أو عمتي، أو خالتي، وكان عند العرب طلاق لا رجعة فيه، يقول تعالى:
-«الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور» المجادلة(٢)..

وهو بذلك ينفي أن يكون وضع الزوجة كوضع محارمه، وهكذا نجد أن الإسلام قد أبعد الزواج عن كل الأوضاع الشكلية التي تجعله في مهب الأهواء، والنزعات لتؤدي به في النهاية إلي الفصام.. كفل الدين الإسلامي زوجة واحدة للرجل منذ بداية الخلق يقول تعالى: --«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» النساء(١)..
-«هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها» الأعراف(١٨٩)..

ولكن بعد تكاثر الناس، واستعمار الدنيا بالبشر شاع استئثار الرجل بأكثر من امرأة.. وكثر التعدد، وشاع في كل الأمم، والبيئات، ومنها بلاد العرب التي يقال إن بيوتها لم يكن ينقص فيها الزوجات عن عشرة؛ بل كانت الشريعة اليهودية تبيح التعدد، وكثير من أنبياء بني إسرائيل كان لهم أكثر من زوجة كالنبي داوود، والنبي سليمان عليهما السلام، وكانت المسيحية بدورها تبيح تعدد الزوجات، ولا تنكره حتي القرن السادس عشر الميلادي حيث أشار القساوسة علي المتزوجين بأكثر من واحدة أن يختاروا واحدة يُطلق عليها زوجة، وما زاد عن ذلك يطلق عليها «الخرن»، أو

●● الجنس الثاني ●●

«المحظية»، أو «العشيقة»..

وقد فسر علماء الاجتماع ظاهرة التعدد بطبع الرجل الذي يؤثر المرأة فتدفعه إلي الاستحواذ علي أكبر عدد منهن، ويفسر آخرون الظاهرة باتساع المدي الجنسي لدي الرجل الذي لا يحد طاقته الجنسية أي معوق، بينما الطاقة الجنسية لدي المرأة تعترضها فترات الحيض، والوضع، والنفاس، فهناك قوة فاعلة واسعة المدى لدي الرجل، أما الطرف الآخر فمحدود الاستعداد، والقابلية، ويرى البعض أن الطبيعة أسخي علي الوجود بالأنثي أكثر من سخائها بالرجل، بالإضافة إلي تعرض الرجل للحروب، والمهالك التي لا تنقطع في أرجاء المكان، والزمان..

وقد جاء الإسلام بتحديد التعدد، وقصره على أربعة للضرورة:

-«وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمنكم ذلك أدني ألا تعولوا» النساء(٣)..

فقيده فوضى التعدد، وقصره على أربعة فقط، مشروطا بالعدل بينهن، وهو تكريم للمرأة بأن تكون زوجة فقط للرجل المضطر للتعدد دون أن تكون محظيته، أو عشيقته..

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم أسوة حسنة في ذلك، إذ أجاد العدل بين زوجاته في المعاملة، والنفقة، والمبيت، ولكنه لم يستطع أن يقسم حبه بينهن، فكان يقول:

-«اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك»..

وقد أعطي الإسلام رخصة لمن ملك السراري من النساء أن يعاشرهن معاشره الزوجات لقوله تعالي:
-«والذين هم لفروجهم حافظون إلا علي أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم فإنهم غير ملومين»

المؤمنون(٦)..

وجاء القرآن بآيات كثيرة عن ملك اليمين، وقد أسرف المسلمون الأوائل في استخدام هذا الحق، فتوسعوا في هذا الأمر حتي أن بعض الخلفاء، والأغنياء كانوا يملكون من ذلك المئات، وهو ما فتح الباب لظاهرة التسري في الإسلام، وساعد علي ذلك كثرة الحروب، والفتوحات إذ كان من حق الخليفة الأمر باسترقاق نساء، وصبيان المدن المفتوحة، هذا علاوة علي حملات الاختطاف التي كان يقوم بها تجار الرقيق علي أطراف الدولة الإسلامية، وكان عدد النساء يفوق عدد الرجال سواء من المختطفين، أو أسري الحروب، ففي الحروب يقتل عدد من الرجال، ولا تقتل النساء، وفي الاختطاف المرأة أسهل بكثير من اختطاف الرجل، فالمرأة مقاومتها ضعيفة، واستسلامها أسهل، كما شمل الرق، والأسر

● ● الجنس الثاني ● ●

أجناسا شتى من كل مكان؛ الرومية، واليونانية، والفارسية، والتركية، والهندية، والسندية، والسودانية، والإفريقية وغير ذلك..

راجت تجارة الرق كثيرا إبان الدولة الإسلامية؛ فأنشئت الأسواق في كل المدن، وكان حق الشراء مكفولا لمن شاء، ونشأ من ذلك التهاك علي الجنس المباح دون رادع من نفس، أو سلطان؛ فنشأ نوع من الدعارة المقننة كان لها أثرها علي المجتمع، فكان لنظام الرق الذي تنتقل فيه الأمة من سيد بالبيع، أو الشراء أن أصبحت كالبغي، أو المومس تعطي نفسها من يشترى، وكان لذلك أثر علي الزوجات سواء بالغيرة، أو الإهمال، فكان بعضهن يكتمن، ويحتملن صابرات، ولكن البعض أفلت زمامه، وأرخي لنفسه العنان مترديا في مهاوي الرذيلة، كما حدث في روما القديمة عندما كثر بها عدد الإماء، ففرض الحجاب على الزوجات اللاتي تعددن أيضا لدى الرجل (أربع زوجات)، وتشدد فيه الرجل خاصة إذا سمح لها بالخروج من المنزل بمفردها حتى لا يظن الناس في الطرقات أنهم جوارى، وبينما كان بعض الجوارى يجدن الشعر، والغناء، والضرب على الآلات الموسيقية، وسُمح لهن بذلك فقد مُنعت الزوجات منعاً من هذا، فثارت بنات الأسر الراقية، وخرجن سافرات، وطالبن بالتعليم، ومقابلة الشعراء للتغزل فيهن بعد أن استحوذ الجوارى الجميلات المثقفات على عقول رجال العرب، والمسلمين خاصة أن منهن من كن من بيوت عريقة قبل الأسر، وربما قصور وثيرة في البلاد التي تم فتحها..

وأدي تفاقم الرق في الدولة الإسلامية بما كان يحوي من كثرة الحریم بطريقة وبائية إلي إعادة تقييم الوضع مرة أخرى، مما أثر علي الأفكار الإسلامية الراقية التي انطوت علي قداسة حرية الإنسان حتى في الإيمان بالله، والكفر به، فقال تعالي لرسوله:

-«فذكر إنما أنت مذكر(٢١) لست عليهم بمسيطر(٢٢)» الغاشية..

ويقول له أيضا:

-«إنك لا تهدي من أحببت» القصص(٥٦).. ويقول معاتباً له:

-«لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين(٣) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم له

خاضعين(٤)» الشعراء.. ويقول:

-«لا إكراه في الدين» البقرة(٢٥٦)..

فقامت أحكام الشريعة علي الحرية المشروطة التي لا تقوم علي الاستغناء الذي يؤدي إلي الطغيان،

●● الجنس الثاني ●●

والتماذي في الأمور، فيقول تعالي:

-«كلا إن الإنسان ليطغي(٦) أن رآه استغني(٧)» العلق..

وهو من الحرية، وإطلاق العنان للغرائز، والأهواء غير المحدودة بمنطق، أو قانون؛ فالطغيان في اللغة هو خروج الشيء عن حده، كقولهم طغي الماء بمعنى زاد عن الحد، فلم يعد صالحا للشرب، أو الاغتسال؛ بل أصبح وبالا مدمرا يغرق كل شيء، ويزيله..

فقد أفرط المسلمون في استعمال حق قيده الله، وأمر بإزالته، إذ قام التشريع في معظم حدوده في التكفير عن الذنوب علي إزالة الرق بقوله:

-«فك رقبة» البلد(١٣).. أو

-«تحرير رقبة» المائدة(٨٩)..

ولكنهم لم يمارسوا هذا التقييد إلا فيما ندر، وفي فجر الإسلام في عهد النبي، وخلفائه الأربعة، يقول العقاد في كتابه «بلال داعي السماء»:

-«كان في وسع الدعوة الإسلامية أن تمر بنظام الرق في العالم العربي، وفي العالم بأسره، ثم تتركه حيث كان فلا يحسب ذلك عليها، فلم يكن باعث إلي النظر في إنصاف الأرقاء، وهدم نظام الرق القديم غير باعث الفضيلة المثالية التي تعني بطلب الكمال، ولا تحفل بالمصلحة المادية أقل احتفال»..
ويقول عبدالحميد جودة السحار في كتابه «غزوة أحد»:

-«ولو اتبع المسلمون شريعة الله دون تأويل لصفي الرق في جيل، أو جيلين علي الأكثر دون أن تحدث في المجتمع الإسلامي هزات اقتصادية، ونكبات إنسانية من جراء تحريم الرق طفرة واحدة، ولكنها أهواء الناس، وانحرافات الأمراء، وجشع النخاسين التي أبقت الرق في الإسلام دون سند من شريعة الله، أو سنة رسول رب العالمين»..

ونضيف إلى ما قاله العقاد، والسحار وقوع الفقهاء في برائن أهل الكتاب دون الفهم المستقل للنصوص من قرآن، وسنة، وإيثار الدنيا، والمال الحرام لإرضاء الحكام، وتعزيز وهم الخلافة..

كان عصر الحریم، وفقه الجوارى من الآثار السلبية التي تمخض عنها الاحتفاظ بنظام الرق في الدولة الإسلامية؛ فقد كانت المرأة تخالط الرجال في صدر الإسلام في الحياة اليومية العادية، وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية، بل كان النساء يصحبن المحاربين في صدر الإسلام، ويقمن بالتمريض، وتضميد الجراح، وبث الحماس، والنخوة، والحمية في صفوف المقاتلين؛ بل منهن من اشتركت في

● ● الجنس الثاني ● ●

القتال فعلا، وما كان نزول آية الحجاب إلا تنظيما لهذه المخالطة، ووضع الضوابط التي تصون كرامة المرأة دون الاستباحة، وتخطي الحدود، وكان سبب نزولها ما حدث للنبي عند زواجه من زينب بنت جحش، وما رواه أنس بن مالك:

-«لما أصبح رسول الله عروسا بزینب، دعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي منهم رهط عند النبي فأطالوا القعود، فقام النبي فخرج، وخرجت معه حتي جئنا عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع، ورجعت معه حتي دخل بيت زينب فإذا هم قعود، فرجع، ورجعت معه حتي بلغ حجرة عائشة، ثم ظن أنهم خرجوا فرجع، ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ف ضرب بيني وبينه سترًا، ونزل الحجاب»..

ولم تكن هذه الحادثة أيضا هي السبب الوحيد في نزول الآية، فقد كان النبي يقاسي كثيرا من تصرفات لا تليق بحرمة البيوت، وخصوصية كل من فيها، وما فيها، يأتي من يسأل عنه فلا يجده، فتضطر النساء لاستقبالهم، والحديث معهم، وقد يكون منهم من هو فاسد الأخلاق، ضعيف الإيمان.. وقد يكون نظام عزل المرأة، وحجبها من العادات التي اتبعت قديما في الأقوام البدائية، وهي قوانين التابو لغيرة الرجل عليها، وخوفه من اغتصابها، أو خطفها، فلم تكن هذه المجتمعات تراعي فيها القوانين الأمنية، وقد يكون هذا النظام مأخوذا من العادات الاجتماعية التي كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام، أو غيرهم في بلاد الشرق القديم، فتدل الحفريات في بلاد ما بين النهرين أن نظام الحریم كان متبوعا بها منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، كما وجدت آثار هذا النظام قبل الإسلام في بلاد فارس، وكان كل قصر من قصور بلاد اليونان القديمة للأمراء، وكبار المواطنين يحتوى علي أجنحة خاصة بالنساء، ولكن يبدو أن هذا النظام قد بلغ ما بلغه إبان الدولة الإسلامية خاصة المتأخرة منها، فحتي الأسماء المتصلة بهذا النظام لها دلالاتها الخاصة ككلمة حرم، وحریم، وهو المكان المحرم الذي لا يمكن الاقتراب منه إلا من صاحبه، وكان هذا الحرم عبارة عن سجن ينعم فيه المسجونات بكل وسائل الحياة المرفهة، والمنعمة حتي يكن علي استعداد لاستقبال صاحب الحرم إذا أرد الدخول إليه، والاستمتاع بمن فيه..

وكان نظام الحریم يقوم علي قواعد، ونظم، وإشراف دقيق بعيدا عن الهوى، والميل الجنسي فقاموا أول الأمر بتتصيب النساء المسنات لرعاية هذا المكان بمن فيه من زوجات، وجواري، وإماء؛ فالمرأة العجوز لها الكثير من التجارب، والخبرات بأحوال النساء، ونزعاتهن، وحيلهن، ومكائدهن؛ ثم

●● الجنس الثاني ●●

أدركوا أن المرأة المسنة مهما أوتيت من الحكمة، والفطنة، والكياسة ليس لها السلطان القوي علي كل هؤلاء النسوة من أجناس، وأعمار مختلفة، فلجأوا إلي وسيلة أشد، وأحكم وهي الرجل نفسه فهو من حيث الطبع أوفق من يعهد إليه بهؤلاء الحريم، ولا بد في الوقت نفسه ألا تكون لديه القدرة علي الاتصال بهن جنسيا، ومن هنا نشأ الخصيان الذين عرفوا بعد ذلك باسم «الأغوات» الذين لم يكونوا مسلوبو الرجولة تماما، فقد كانوا محسوبين بين الرجال بالهيبه، والسطوة علي النساء، ولم يكن هؤلاء من أصحاب نस्क، وزهد في النساء؛ ولكنهم يستطيعون الاستمتاع بالملاذ الأخرى غير لذة الجنس، ولما جاء الترك سموا هذا المكان «الحرملك»، وعرفته فارس باسم «إندرون»، حتى الهنود سموه «زندناه»..

وتوسعت الدولة العثمانية في نظام الحريم، وعززت من نظامه؛ فعلاوة علي حماية الحريم من النزوات الطائشة كان الخوف من قيامهن بتدبير المؤامرات، والدسائس، وإشاعة الشغب، والفتنة في أرجاء القصر السلطاني، فالمعروف أن نصف الثورات التي حدثت في القصر العثماني قد بدأت في الحريم..

كان علي رأس هذا النظام الحريمي «القيزلي أغا»، وهو رئيس الخصيان السود، ويجلب من إفريقية، والخصيان السمر من الهند، والخصيان البيض، وكان «القيزلي أغا» من كبار رجال الدولة في مستوي الصدر الأعظم، وشيخ الإسلام، وله حق الدخول علي السلطان في أي وقت إذا تطلب الأمر.. وكانت المرأة التي تدخل الحريم السلطاني لا تخرج منه أبدا؛ إلا محمولة علي الأعناق، وكان هذا النظام متبعا أيضا لدي الأمراء، وكبار شخصيات الدولة، وربما كان صاحب الحريم طاعنا في السن فلا يستحسن منهن إلا جلسات المرح، والصخب، والأنس بهن، وشعوره أنه يمتلك كثيرا منهن؛ يسهرن علي راحتته، وسعادته؛ فنشأت لديهن مشكلة الكبت الجنسي الذي ظهر في صورة أمراض عصبية مثل الاكتئاب، وتبلد الشعور، وسرعة الانفعال؛ حتي من كن منهن علي خلق طيب، وقد عمد الرجل لحل هذه المشكلة إلي صرف هؤلاء النسوة عن الناحية الجنسية بتعليمهن هوايات متعددة من الغناء، والضرب علي العود، أو الدف، وبعض الأشغال..

ولما أدخل الإسلام العلاقة الجنسية في عباءة الزواج الذي نظمته، وكفل له كافة حقوقه، وكيفية الدخول إليه، والخروج منه شرع يضرب بيد من حديد علي كل علاقة تخرج عن إطار الزواج تحت أي مسمي، أو ظرف من الظروف، يقول تعالي:

●● الجنس الثاني ●●

-«ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا» الإسراء(٣٢).. وهو يمنع هذا الفعل من مبدئه؛ وهي النظرة المشوبة برغبة تؤدي إلي الإعجاب، وفتنة تؤدي إلي النزوع، والرغبة في الامتلاك، يقول النبي صلي الله عليه وسلم عن النظرة -«الأولي لك، والثانية عليك»..

فالأولي للتبصر، والإدراك، أما إن عاد بالثانية فإنها للتحقيق، والإعجاب، أما سوء سبيل هذا الطريق فهو معروف، وقد حذر منه النبي صلي الله عليه وسلم بقوله -«لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيها ولد الزنا، فإذا فشا فيها ولد الزنا، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب»..

فرقت الأمم قبل الإسلام بين نوعين من الزنا؛ الزنا المطلق، وأسموه fornication، والزنا بزوجة الغير، وأسموه adultery، والنوع الأول هو الاتصال بزوجة ليست زوجة أحد، بصرف النظر عما إذا كان الرجل متزوجا، أو غير متزوج، فيكون العقاب في هذه الحالة هينا، كما شرعت قوانين مصر القديمة، وبابل، وآشور، والهند، ثم انتقلت هذه القوانين إلي تشريعات اليونان، والرومان، كما تأثر بها اليهود إذ كانوا ينظرون إلي هذا النوع من الزنا علي أنه مجرد خطيئة تلزم الرجل عنها غرامة مالية فقط، جاء في سفر الخروج من التوراة(اصحاح ٣٢، الآيتان ١٦ - ١٧):

-«وإذا راود رجل عذراء لم تخطب فأصبح معها، يمهراها لنفسه زوجة، إن أبي أبوها أن يعطيه إياها يزن له فضة كمهر العذاري»..

كما انتقلت هذه التشريعات إلي الديانة المانوية في القانون الديني لمانو:

-«أما رجل زني بنت من طبقة عن رضاها؛ فليس عليه شيء من العقوبة، وله أن يؤدي الأجرة إلي والدها، وينكحها إن رضي به، وأما إذا كانت البنت من طبقة أعلي من طبقة، فلتخرج البنت من بيتها، ويعاقب الرجل بقطع الأعضاء»، أما البراهمة فقد شددوا العقوبة بإحراق البنت حية..

أما النوع الثاني وهو الزنا بزوجة الغير؛ فقد تشددت فيه كل الشرائع لأنه خيانة لرجل آخر، وللمجتمع الذي سيري فيه الرجل المزني بزوجه طفلا ليس من صلبه، ومن ثم سيرته الطفل بعد ذلك؛ مما يؤدي بالمجتمع إلي اختلاط الأنساب، فالزاني، والزانية شركاء في ارتكاب الجريمة، فكان العقاب لدي قدماء المصريين ضرب الرجل بالعصا ضربا شديدا، وجدع أنف المرأة، وسري هذا العقاب في بابل، وآشور، وفارس القديمة، أما الهنود فكانوا يطرحون المرأة للكلاب لتمزقها، والرجل

● ● الجنس الثاني ● ●

يضجعونه علي سرير محمي توقد النار من حوله..

وكان من حق الرجل اليوناني، والروماني قتل الرجل الذي يجده متلبسا بالزنا بزوجته، أو ينال منه غرامة مالية، ثم أصدر الإمبراطور «أغسطس» في القرن الأول قبل الميلاد مرسوماً بمصادرة نصف ما يملك الرجل من مال، وعقار، ثم ينفي من موطنه، وتحرم المرأة من نصف صداقها، وما تملك، وتنفي أيضاً في جهة أخرى..

ولما جاء الإمبراطور «قسطنطين» قضي بإعدام الزاني، والزانية، ثم استبدلت العقوبة بالحبس المؤبد.. أما العقوبة لدى الإمبراطور «جستينيان» فكانت بضرب المرأة بالسياط، وحبسها في دير للراهبات ليخرجها زوجها بعد سنتين، أو يتركها للأبد..

أما اليهود فقط نصت توراتهم على:

-«وإذا اضطجع رجل مع امرأة اضطجاع زرع، وهي أمة مخطوبة لرجل، ولم تغد فداء، ولا أعطيت حريتها فليكن تأديب، ولا يقتلان لأنها لم تعتق» (التثنية، اصحاح ٢٢، آية ٢٢)..
وفي نص آخر:

-«إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان، والمرأة إذا كانت عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة، واضطجع معها، فأخرجوهما كليهما إلي باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتي يموتا، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه، فتنزع الشر من وسطك، ولكن لو وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحفل، وأمسكها الرجل، واضطجع معها يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده، أما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً» (التثنية، اصحاح ٢٢، آيات ٢٣ - ٢٦)..

ولكن اليهود أهملوا تنفيذ هذه التعليمات، وتركوها جانبا في عصر ما قبل السيد المسيح عليه السلام، ولم نستدل من تاريخهم علي حادثة واحدة نفذت فيها هذه التعليمات..

ولما جاء عيسى عليه السلام، وحاربه اليهود كرجل مناهض للقانون الروماني، وفي الوقت نفسه مخالف لتعاليم التوراة، حاصروه بالمواقف الصعبة؛ كما ساقوا إليه مرة امرأة زانية، وسألوه الحكم في أمرها، فإذا قضي برجمها فقد خالف القانون الروماني، وإذا قضي بغير الرجم خالف التوراة، ولكنه تخلص من هذا الامتحان بصفاء قلبه لله الذي لقنه الحكمة فقال:

-«من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم ويرجمها بالحجارة»..

● ● الجنس الثاني ● ●

فبهتوا، وانفضوا من حوله مخذولين..

وكان لهذه الواقعة أثرها في التشريع المسيحي؛ إذ لم يلزموا الزاني، والزانية (رجل غير متزوج، وامرأة بكر) بأي عقوبة؛ بينما انصبت العقوبة علي الزاني المتزوج، والزانية المتزوجة؛ فأباحوا رفع الزوجة لدعوى تطليقها من زوجها الزاني بأخرى، ورفع الزوج لدعوى بطلاق زوجته الزانية بأخر، أما الحكمة فليس للزنا في حد ذاته، ولكن لنقض العهد الذي اتخذه الزوج على نفسه، أو الزوجة على نفسها أمام المذبح في الكنيسة علي يد القسيس، كما أنه من حق الرجل أن ينال غرامة مالية من الرجل الذي زنا بزوجه، غير أن هذه العقوبة كانت موقوفة بقانون آخر يمنع المطلق، والمطلقة من الزواج مرة أخرى، فمن يطلب الطلاق فقد نفسه بالرهابية طوال حياته، وقد لا يقوي عليها فيؤثر كل منهما الصمت، وإن كانت الحياة الزوجية في هذه الحالة قد تدنس لتصبح جحيماً لا يطاق، وربما استمرأ أحد الزوجين الزنا بعلم الآخر..

لم تفرق الشريعة الإسلامية في هذه الجريمة الشنيعة بين الرجل، والمرأة، وبين البكر، والمتزوجة، وأساس التجريم سلوك طريق مخالف للطريق القويم وهو الزواج، فقد سهل له هذا، ولذلك يقول تعالي:

-«الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين(٢) الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك علي المؤمنين(٣)» النور..

ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم:

-«البكر بالبكر جلد مائة، وتغريب عام»..

أما المحصن - أي المتزوج - فعقوبته الرجم بالحجارة حتى الموت..

كما ذهب الإسلام لأبعد من ذلك فهو يحرم زواج من تعود علي هذه الفوضى الجنسية من الرجال، والنساء من الأعفاء الطاهرين من الرجال، والنساء، فلا يبيح للعفيف الزواج من البغي الزانية، أو العكس فقد كان في المدينة بعض بغايا المشركين من النساء الأغنياء، فرغب فقراء المهاجرين في الزواج منهن، واستأذنوا رسول الله فلم يأذن لهم لقوله تعالي:

-«الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك علي المؤمنين»

النور(٣)..

●● الجنس الثاني ●●

وجاء أيضاً القول المأثور:

-«من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»..

ولما كان الإسلام للناس كافة فلم يترك جريمة الزنا بالمثل (الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة) دون عقاب فلم تكن هذه الجريمة منتشرة في الجزيرة العربية وقت نزول الإسلام يقول تعالي:

-«واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتي يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا(١٥) واللذان يأتياها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيمًا(١٦)» النساء..

والزنا الواقع بين النساء يعرف «بالسحاق»، والواقع بين الرجال يعرف «باللواط»، فعقوبة النساء الحبس في البيوت للابتعاد عن الاتصال بالأخريات إلي الوفاة، أو قد يصلح الله حالهن بالزواج، والميل عن هذا الطريق، أما الرجال فعقوبتهم الإيذاء، وقد فوضها القرآن لولي الأمر حتى الإقلاع عن ذلك..

سيكولوجية المرأة (التكوين النفسى)

يرى د.يوسف مراد في كتابه «سيكولوجية الجنس» أن صفاتٍ معينة تفسر لنا شخصية المرأة، ونفسيته، وأول هذه الصفات تطلع المرأة للكمال، وهو أن المرأة تستهدف مثلاً أعلى يفوق في صرامة مطالبه، وفي سموه المطلق - المثل الأعلى - الذى يستهدفه الرجل، فإن المرأة تتطلع أكثر من رفيقها إلى المطلق، وإلى استكمال النقص؛ ولهذا السبب كان طريق الأنوثة أشد وعورة من طريق الرجولة، وإزاء هذه الصعوبات التى تعترض تحقيق رسالتها كاملة كثيراً ما تلجأ إلى التضحيات الضخام، وإلى إنكار ذاتها، إلى البطولة الصامتة، المستترة وراء قناع من الرضا المصطنع..

ويؤيد د.يوسف كلامه بحث نشره «فرويد» عام ١٩٣١ عن «الوظيفة الجنسية عند المرأة» فإذا أردنا أن نفهم تطلع المرأة إلى المطلق، والكمال على حقيقته يجب علينا أن نفهم طبيعتها الجسمية، ودراسة العوامل التى تعين نموها من الوجهة التشريحية، والفسىولوجية، والبيولوجية، وعلى ضوءها ننتقل إلى دراسة العوامل التى تعين نموها النفسى، والاجتماعى، ويتوقف استقرار النمو النفسى، وثباته على مدى استقرار الوظائف الفسىولوجية، وثباتها؛ وبما أن التوازن الفسىولوجى فى المرأة أشد تعقيداً، وأدق تركيباً، وأكثر تعرضاً للتغير، والاختلال منه فى الرجل فلا شك أن التوازن السيكولوجى لدى المرأة سيكون أعسر تحقيقاً، ومن هنا ينتقل إلى الصفة الثانية لتحليل طبيعة المرأة من الوجهة التشريحية؛ فالبنات منذ طفولتها تبدى اهتماماً أكبر فى ملاحظة الفرق بين جسمها، وجسم الولد

●● الجنس الثاني ●●

بحيث تعتبر أن بها نقصا في جسمها عن جسم الولد، ويضعف هذا الشعور بالنقص التقليل من شأن البنت، ورفع شأن الولد خاصة في بيئتنا الشرقية، وهو ما يولد لدى البنت عواطف الحسد، والعداوة، والحقد نحو الجنس الآخر.

والملاحظة الدقيقة لبعض ضروب السلوك لدى المراهقة، والمرأة البالغة، وكذلك المشاهدات الإكلينيكية تدل بصفة قاطعة على بقاء هذه الانطباعات المؤلمة في اللاشعور، وعودتها من جديد خلال الحياة الزوجية.

وعندما نتناول بالتشريح الجهاز التناسلي نجد لدى المرأة أكثر تعقيدا، وأدق تركيبا، وأشمل أثرا من الجهاز التناسلي للرجل، فالمرأة بحكم تركيبها التشريحي، وبحكم وظيفة الحمل مركزة أكثر من الرجل حول نفسها، وحياتها الجنسية مرتبطة بعدد أكبر من الوظائف أهمها وظيفة تكوين الجنين، والرضاعة، ويترتب على ذلك صراع نفسى تتقاسمه قوتان؛ الاندفاع الجنسى من جهة، والخوف من الحمل من جهة أخرى، وقد تتغلب القوة الثانية على الأولى فتؤدى إلى بعض المتاعب النفسية، والقلق، والانحراف.

يقول العقاد عن تناقض المرأة:

-«فالمرأة عضو في بيئة اجتماعية هي الأمة، أو المدينة، أو القبيلة؛ فهي زوجة، أو بنت، أو أخت، أو صاحبة عمل تجمعها بتلك البيئة الاجتماعية صلة العرف، أو الشريعة، والمرأة من جهة غير هذه أنثى لها تركيب حيوى يربطها بمخلوق آخر لا يتم وجودها بغيره، وهى أم تحب أبناءها بالغيرة، والألفة، وتصر في سبيلهم..»

وللأنوثة صفات كثيرة لا تجتمع في كل امرأة، ولا تتوزع على نحو واحد في جميع النساء، فليست كل امرأة أنثى من فرع رأسها إلى أخمص قدمها، أو أنثى مائة في المائة كما يقول الأورويون، بل ربما كانت فيها نوازع الأنوثة، ونوازع غيرها إلى الذكورة..»

وعن أخلاق المرأة يقول:

-«ومتى سقط سلطان الرجال في أمة سقط معه سلطان الأخلاق؛ سواء منها أخلاق العرف، وأخلاق الإرادة؛ فالأمم المهزومة يشاهد فيها طوائف من النساء يجهرون بمخادنة الجنود الفاتحين، ولا يكرهن أنهم قاتلو الأخوة، والأزواج، والآباء؛ لأن الخضوع للغلبة ألصق بطبيعة الأنوثة الفطرية، أو الحيوانية من جميع هذه الأوصار، والآداب..»

●● الجنس الثاني ●●

فالتضحية هي لأسمى فضائل الإنسان، ومن ثم كانت المرأة أقرب من الرجل إلى التضحية في وظائفها النوعية لأنها تستمد تضحيتها من غرائز الأمومة، وتموت في سبيل الذرية.. ويقول عنها في كتابه «الإنسان الثاني»:

-«في المرأة من أخلاق الطفل غيرته المضحكة، ونزقه السريع، واستغراقه في الحاضر الذي بين يديه، وقصور نظره على الظواهر، والقشور، ومرحه، وغرارته، ونفوره مما يهم، ويصلح، ومحاكاته كل ما يراه، وتعويله في أموره على سواه، وتقلبه، وكذبه، وريائه، وأثرته، وولعه باستطلاع المضمرات، والأسرار، وجشعه، وطمعه، وموجدته، وافتتانه بالثناء، والإطراء»..

وكما يقول العالم النفسى «الفريد ادلر» إن الفتاة الناشئة تتصرف فعلا تصرف من يشعر بالضعف، وتتكون لديها الرغبة في التعويض، والنتيجة هي اندفاع الجنسين حين يتعجلان خطط التزاحم، والتنافس التي تشغل كلا منهما بغير ما يعنيه، وما يصلح له..

المرأة فى طور الطفولة:

وقر فى عقلية أسر كثيرة أفضلية الولد عن البنت، خاصة إذا كانت بيئة هذه الأسرة تخضع لأعراف اجتماعية، واقتصادية معينة جعلت للولد حقوقا سلبتها نهائيا، أو جزئيا من البنت، فالولد ينتظر أن يكون الوريث الشرعى، كما أنه أقدر من البنت على تخليد اسم العائلة، ومساعدة أهله، ومواصلة حرفة الأب؛ حتى إن الأم نفسها - وقد كانت بنتا - قد توطن نفسها على استقبال مولود ذكر فتفاجأ بأنها أنثى، ولا تجتهد لإخفاء آثار هذه المفاجأة، فتنتقل إلى البنت حتى فى الأشهر الأولى من الرضاعة - كما يذهب بعض علماء التحليل النفسى - لتنشأ مشبعة بجو تشعر فيه بأنها غير مرغوب فيها، وهو ما تنطبع به كل مظاهر سلوكها، خاصة إذا عزز ذلك مركز الأم الضعيف فى الأسرة..

ويعتقد د. زكريا إبراهيم أن وأد البنت ما زال سمة كثير من المجتمعات الحديثة؛ وإن اتخذ شكلا أكثر تحضرا، وذلك بإلقاء البنت فى «حفرة» النقص، والوضاعة، وحقارة الشأن..

وكما أن البنت الوحيدة بين أولاد قد تنزع إلى اتخاذ الطابع الذكورى، فإن الولد الذى يحيا بين أخوات قد يميل إلى اتخاذ الطابع الأنثوى..

وبالنظر إلى ألعاب كل من الأولاد، والبنت؛ نجد أن الأولاد يتجهون فى العادة نحو الخارج،

●● الجنس الثاني ●●

فيقومون بحركات يهتمون فيها ببناء أشياء يقوضونها، ويعيدون بناءها، أما البنت فتتجه في العادة نحو الداخل حيث تعتمد إلى وضع أشياء داخل البيت الذي ابتنته لنفسها، وتهتم بإحكام غلقه، ولما كانت هذه الألعاب تشي بأن شخصية البنت تدور حول الأمومة كوظيفة تجعلها مسئولة عن البناء، والحفظ، وبناء العش، وحفظ النوع، وهي كلها صفات داخلية، وهو ما تظهر أماراته أيضا في نرجسيتها، فنجد الفتاة الصغيرة التي لم تتجاوز الرابعة، أو الخامسة تشعر بحاجتها إلى التزين، واكتساب إعجاب الآخرين باعتبارها موضوعا للحب، وبينما تملئ الأم الأنوثة على ابنتها بالحد من نشاطها نحو الخارج، وجعلها صورة منها، نراها تحترم رجولة ابنها مهما كان صغيرا، وتدفعه بعيدا عن الداخل، فتتخلى عن الحد من حريته، وسرعان ما يقطع الطفل صلته بأمه، بينما تظل البنت مرتبطة بأمها بتكوينها النسوي، ومحاولة تلقينها واجبات المرأة، كما تعتمد إلى تعليمها القيام بمهام البيت، والتدبير المنزلي..

البنت قبل المراهقة:

وإزاء اكتشاف البنت لبيئتها في هذه الفترة، والواقع من حولها تتميز شخصية الفتاة بالفضول، وحب الاستطلاع بما قد يدفعها للتدخل في شؤون الغير، والتأثير عليه، والقيام بدور إيجابي قد يتخذ صورة مساعدة، أو مشاغبة، وعلى الرغم من ذلك تتخذ البنت طابع السرية، والغموض بما يؤدي بها إلى اصطفاء رفيقة تودعها أسرارها، وقد تستشرى هذه الصفة في الفتاة فتجعل من كل زميلاتها محطا لأسرارها طالبة من كل منهن إخفاء أسرارها، وقد لا يتخطى بعضهن هذه المرحلة فتبقى من مكوناتها النفسية حتى إنها لو لم تجد أسرارها في الواقع، أو افتقر هذا الواقع فإنها تختلق الحكايات المختلطة بين الخيال، والواقع حتى تقع في دائرة الكذب، واختلاق الأساطير، ورغم أن الفتاة في هذه المرحلة الاستطلاعية تنصرف أيضا نحو استطلاع وظائف أعضائها، وتحولات جسمها، خاصة ما يتعلق منها بالحمل، والولادة، والرضاعة، حتى لتتطلع إلى معرفة ما وراء ذلك من أفعال يقوم بها الرجل، فإنها قلما تبتدى من ذلك نشاطا جنسيا بالمعنى المعروف؛ حتى إنها لتقلد المرأة الحامل مع زميلاتها دون تقليد مسببات الحمل، وما يخشى على الفتاة في هذه المرحلة هو التقمص الوجداني في الصداقة مع قرينة لها قد تدخل مرحلة البلوغ قبلها فتتزعزع نزعها نحو الجنس المغاير، وهي لم تنهيا بعد

جسديا، ونفسيا لهذه المرحلة من الانتقال من المثلية إلى الغيرية فيؤدى بها إلى الانحراف، والدعارة..

البنث فى مرحلة المراهقة:

تتميز هذه المرحلة من حياة الفتاة بالالتفات نحو جسمها، والتغيرات الفسيولوجية التى تحدث به، والتهيئة العضوية، فبعد أن كانت تستعمل المساحيق، ومواد التجميل تقليدا للكبار فإنها تستعملها فى هذه المرحلة لإشباع غرورها، وشعورها بأنها جميلة، كما تهتم بأعضائها التناسلية التى ظلت غافلة عنها كل هذه السنين على عكس الولد الذى يراقب تطور عضوه التناسلى طوال فترة ما قبل البلوغ.. وأهم ما يميز هذه الفترة عودة ارتباط البنث بأمتها، والاحتياج إليها بل والالتصاق بها مرة أخرى، وتبدأ فى تغيير صداقاتها، ومعارفها بما يميل بها نحو الجنس الآخر، وعادة ما تتميز هذه الفترة بالمرحلة المبكرة، والمرحلة المتأخرة حيث تتصف الأولى بأطوار طفولية بالمبالغة فى إظهار أمارات البلوغ دون نضوج نفسى؛ فتندفع البنث فى تجارب لا تقدر عواقبها - رغم عدم وجود الدافع الجنىسى فى هذه الفترة - وقد يفلت العيار إزاء أكثر من تجربة فاشلة فيضيع منها أعز ما لديها، ويبتلى المجتمع بالدعارة، والسفاح، والإجهاض، والإصابة بالأمراض التناسلية الخطيرة بوازع الاندفاع الأعمى إلى تقليد المبالغات، مع بطء مواكبة هذا الاندفاع لقمعه، والتعامل معه، فضلا عما يولده الحيض لدى الفتاة من توتر تناسلى، وشيء من الحاجة إلى ممارسة العادة السرية، ومن هنا يمكن أن تتميز هذه المرحلة بالميول الجنسية المزدوجة، بينما تتميز المرحلة المتأخرة بالميول الجنسية الغيرية..

ويعد الحيض من أبرز مظاهر هذه المرحلة حيث يمثل تجربة حاسمة فى حياة الفتاة عضويا، ونفسيا، وهو يرتبط بالعوامل النفسية الكامنة فى شخصية الفتاة من غضب، وخجل، وهبوط نفسى، وشعور بالنقص، وإحساس بالذنب..

ولا يعنى ظهور الحيض اكتمال أنوثة الفتاة؛ بل يصح جسدها كله مرهف الحساسية، فتشعر أحيانا بالاضطراب الجنىسى لأقل ملامسة، فضلا عن انتشار الحساسية فى موضع معين من جسمها، وتدفعها نرجسيتها نحو تأمل نفسها فى المرأة مبدية إعجابها بجمالها، ومفاتن جسمها، وتتقمصها أحلام اليقظة، والخيال، كما تجد نفسها مندفعة لجذب إعجاب الجنس الآخر لترضى غرورها بجمالها، وفتنتها، وقد تؤدى بها هذه النرجسية إلى صعوبة التأقلم مع بيتتها، وأعضاء أسرتها، فقلما تتقبل

●● الجنس الثاني ●●

النقض، كما تشعر بأن أحدا لا يفهمها، ورغم ذلك فإنها تفتح قلبها للحب بسرعة كبيرة ليس لمحبوب في الواقع، ولكن من الممكن أن يكون من نسج الخيال..

وقد تستسلم فتاة هذه الفترة لنوبات اليأس، والحزن، والبكاء، وهو ما يفسر دموع النساء اللاتي يستبقين شيئا من الحاجة إلى المازوشية من مرحلة المراهقة، وتلك الرغبة في الاستسلام لدواعي الأم، والصراع، والهبوط النفسى، ولا يحد من هذه المظاهر سوى الجنسية المثلية حين تفضى إلى صديقاتها بأدق أسرارها، وخباياها الجنسية، والعاطفية، وقد تكون هذه الصداقات المثلية روحية خالصة، أو جنسية متطرفة حسب البيئات، والعادات، والأجناس..

ويتخذ النشاط الجنى لدى المراهقة طابعا خاصا لإدراك الفتاة لصميم وجودها الجنى باعتبارها «رغبة ونداء»، فالنشاط الجنى لديها نشاط خفى مستتر، وقد تجد الفتاة نفسها مضطرة إلى تحمل شهوتها الجنسية كمرض خبيث تجهل أسبابه يثنيها عن التعبير عنه بصراحة مشاعر «الخجل» لاقتزانه بأسباب حيوية، ونفسية، واجتماعية فيتخذ النشاط الجنى لديها طابع الانتظار، والتوقع، والسلبية؛ فتحلم بالارتقاء، والاستسلام، وحيال هذا لابد أن تتقبل الفتاة وضعها «كأنثى» تطلب، ولا تطلب، فتصبو بكيانها كله نحو الرجل الذى سيجعل منها الزوجة، والأم، والذى تستسلم معه لرغبتها الجنسية، ويضمن لها أهميتها فى المجتمع، وهو الذى سيحررها من منزل والدها، وسلطانه..

ويلعب جسم المرأة دورا كبيرا فى تكوينها النفسى لوثوق العلاقة بين الإفرازات الغدية، والجهاز العصبى حتى ليقال إن جسم المرأة «جسم هستيرى» لا فاصل فيه بين الحياة النفسية، والعضوية، وقد يبلغ لدى بعض الفتيات حد المرض، فما يسبب الاضطراب فى جسدها هو الحصر النفسى الناشئ عن مجرد كونها أنثى، فالأوضاع الاجتماعية القائمة هى التى تفرض الرجولة على الرجل، والأنوثة على الأنثى، وهذا ما أضاف لآلام المرأة النفسية التى تنبع من تركيبها العضوى ألما أخرى فرضها عليها المجتمع من قيود، وقوالب، وحدود هى أقرب إلى التقمص، والنفاق اللذين تأصلا فيها دون الرجل الذى منحه المجتمع كل الحرية، والانطلاق مادام رجلا..

المرأة الزوجة:

يرى بعض المفكرين أن نظام الزواج هو التبرير الاجتماعى الوحيد لوجود المرأة، وأن المجتمع ينظر

● ● الجنس الثاني ● ●

للعانس على أنها امرأة ناقصة، فالزواج للمرأة في نظر الكثيرين ضمان لها في كسب العيش، بالإضافة إلى الإشباع الجنسي، والعاطفى الذى ينظر لهما المجتمع بعدم الارتياح إذا أشبعتهما المرأة خارج نطاق الزواج، بل إن بعض المجتمعات تعد سكنات، وحركات المرأة غير المتزوجة، بينما تضع هذا الإصر عن تلك المتزوجة، ويرى العلماء أن الدافع الجنسى واحد عند كل من الرجل، والمرأة، وإن كان الزواج يمثل جزءا من حياة الرجل، فهو كل حياة المرأة..

فالرجل في معظم الحالات أكثر رضا بالزواج من المرأة، وهو لا يجد صعوبة في التوافق، والتكيف في الزواج، بينما لا تتوافر قدرة التكيف، والتوافق إلا من تلك المرأة ذات النزعة الموضوعية التى تقترب بنفسيتها، وذهنها لشخصية الرجل، بينما تفشل أخريات في تحقيق هذا التوافق إذا ما صادفن عوامل نفسية معقدة، وعديدة إبان الطفولة، أو المراهقة، وخرجن بشخصية غير متكاملة، وقد تصاب بخيبة أمل شديدة عندما لا يتطابق مثلها الأعلى مع الواقع، فضلا عن أن الفتاة تدخل مرحلة الزواج، ولديها كثير من الرهبة، والهواجس تتعلق بالغموض الذى يكتنف حياتها الجديدة مع شخص يختلف عن كل الذين كانت تعرفهم من قبل في محيط الأسرة، وخارجها، لاسيما إذا كان الزواج تقليديا دون سابق معرفة، أو علاقة عاطفية، أو كان صفقة تجارية، أو مصلحة، أو لمجرد التخلص من العزوبية، أو على سبيل كسب العيش بطريقة مفيدة..

وقد تتصور الفتاة الحياة الجنسية بصورة حيوانية، فعليها أن تقدم الجنس على مذبح الزوجية، وقد تعتبره إثما منكرا، أو خدمة للزوج خاصة إذا تعزز هذا من جانب الزوج؛ الذى لا يهيمه سوى تحقيق المتعة لنفسه دون اهتمام بنصيب الزوجة منها، وقد تحدد المرأة علاقتها الودية، أو التنكيرية للجنس منذ الليلة الأولى «ليلة الزفاف» بناء على أسلوب الرجل في فض بكاره زوجته، فقد تحقد المرأة على الرجل، وقد تحفره، وقد تحتفظ المرأة بأسوأ الذكريات لهذه الليلة، نظرا لما يحيطه المجتمع من هالة عجيبة من السحر، والقداسة لهذه الليلة، فعلى الزوجان أن ينجزا هذا الأمر في ليلة واحدة بأى طريقة حتى إذا أتى الصباح، وأتى الأهل، والأقارب، والمهنتون وجدوا كل شيء على ما يرام دون النظر لما عانيه من صراع، وعنف، وألم، أو حتى هدوء، واستسلام تمتزج فيها القوة باللطف، والترقب، والاندفاع، والنجاح، وخشية الفشل، وتخيل علامات الاستفهام في العيون خاصة إذا كان الزوجان، أو أحدهما جاهلا بالعملية الجنسية، وأساسياتها..

وقد يصاب بعض السيدات بالبرود الجنسي، أو «عقدة النقص» من جراء الاندفاع الشهوانى للرجل

في هذه الليلة، وقد يصبح الجنس في نظر الزوجة شاقاً تؤديه لمجرد إرضاء زوجها، فقد يختلف إيقاع الحياة الجنسية لدى الرجل عنه لدى المرأة، فالمتعة لدى الرجل لها بداية، ونهاية إذ تبدأ بالإثارة، وتنتهي عادة بالقذف، بينما تظل لدى المرأة ظاهرة نفسية معقدة، وبطيئة قلما تنتهي بشكل حاسم واضح المعالم، وقد ينشأ البرود الجنسي لدى المرأة ليس من إساءة فض البكارة ليلة الزفاف فحسب؛ بل قد تنشأ خلال الحياة الزوجية من اعتياد الرجل إيقاظ الرغبة الجنسية لدى الزوجة، وتركها دون إشباع؛ فتلجأ المرأة إلى هذه الوسيلة كحائط دفاع ضد غريزتها التي تتيقظ دون إشباع، وهناك حالات لا تعرف فيها المرأة اللذة الجنسية عن طريق الاتصال الجنسي بل عن طريق بعض مناطق الحساسية الجنسية المنتشرة على سطح جسمها..

وإذا ما درسنا حالات الخيانة الزوجية النفسية فإنها لا تخرج عن كونها وليدة الاحتجاج، والتمرد، أو التمتع الزائد بالحرية إلى حد الإباحية، ثم يأتي انعدام التوافق الجنسي الذي قد يسعى بالمرأة إلى الحصول على النشوة بعيداً عن زوجها، أو انعدام الجاذبية الجنسية حينما تصبح الحياة الزوجية قائمة على العدا، والاشمئزاز، وعدم الاكتراث..

المرأة الأم:

تتميز الأمومة الإنسانية عن الأمومة الحيوانية في أن الأولى ممتدة طول حياة الطفل، والأم، فما دام الطفل موجوداً في أي مرحلة، والأم موجودة فالعلاقة لا تنقطع وإن اتخذت أشكالاً متعددة خلال المراحل المختلفة؛ بينما في عالم الحيوان تنتهي في مرحلة الأمومة عندما يشب الطفل عن الطوق، ويصبح قادراً على نفسه، بل قد تنهره الأم إذا ما توكل عليها..

والعلاقة بين الأم، والنطفة الموجودة في أحشائها علاقة غامضة، ومختلطة، وتعتبر هي الأساس في بناء هذا النوع الفريد من الحب، وهو الأمومة فوحدة الأم في أحشائها وحدة عضوية تتحد فيها الحاجات العضوية، فهي وطفلها كائن واحد..

وتشعر المرأة السوية إبان الحمل بالسلام، والهدوء، والاطمئنان لتخليها أن سبب وجودها كامن في جوفها، وأن امتلاء بطنها هو في نفس الوقت امتلاء لحياتها، وقد تخضع المرأة إبان تلك الفترة لكل من نرجسيتها التي تصرف اهتمامها نحو العناية بجسمها، ونفسها دون الاكتراث بأي عمل آخر،

●● الجنس الثاني ●●

وأنها تشعر كما لو كانت في إجازة، فينمو لديها الشعور بالأهمية، فلم تعد مجرد موضوع جنسي، أو خادمة؛ بل أصبحت حاملة لرسالة النوع، ينظر إليها المجتمع بالاحترام، والتقدير حتى ليبدو الحمل لديها أداة تستعين بها في تبرير أفعال لا تبدو معقولة، ولا مقبولة، وماسوشيتها التي تتحمل بها آلام الحمل، وتقلباته، ووطأته..

وقد يختلف رد فعل المرأة بالنسبة للإجهاض تبعا للظروف التي أدت إليه، ومع ذلك لا يستتبع هذه العملية لديها إلا الشعور الحاد بالإثم، والإحساس القوي بتأنيب الضمير، ولا تستطيع المرأة تقبل الأمر، أو عدم الاكتراث مهما حاولت القيام بتبرير عقلي لفعاليتها، ولا يرجع هذا الشعور إلى التربية الدينية التي تعتبر هذا الإجهاض قتلًا للنفس فحسب، بل تشعر المرأة في هذه الحالة بالخلاء، أو الخواء مما يتولد عنه أسفها على التضحية، وسخطها على من دفعها لاتخاذ هذا المسلك.. وتتجلى أيضا غريزة الأمومة لدى الفتاة العانس، والمرأة العاقر باتجاهها نحو أطفال الآخرين، أو التبنى، أو حتى إفراغ هذه العاطفة في الزوج، ومن حولها، أو ممارسة مهنة تمارس فيها الأمومة بطريقة تلقائية..

المرأة والشيخوخة:

تتميز هذه المرحلة فسيولوجيا في حياة المرأة بانقطاع الحيض، وتوقف تكوين البويضات، وضمور الأعضاء التناسلية، وظهور أعراض الشيخوخة على باقى أجزاء الجسم، مصحوبا بتغيرات هرمونية، وآثار سيكولوجية تتعرض لها المرأة فيما بين الخامسة والأربعين، والخمسين، ولهذه المرحلة فترة تمهيدية تشبه تماما مرحلة ما قبل البلوغ، وكأن المرأة تحاول بها تأخير انسحاب الشباب، والنضارة تظهر كاضطرابات في الدورة الشهرية، وسرعة التهيج، والهبوط النفسى، وقد يتضاعف نشاط المرأة في هذه الفترة، وربما تشعر برغبة حادة في الحمل، والولادة، ثم ما تفتأ أن تهاجمها الشيخوخة فيؤول الأمر بجهاز المرأة التناسلى إلى كتلة من الأنسجة الليفية، الصلبة، الملتحمة، الزائدة عن الحاجة، ولا تقوم بأى وظيفة فعالة، كما تطرأ تغييرات أخرى على الأعضاء الغدية؛ فتزداد طبقات الشحم تحت الجلد، وينمو الشعر بغزارة (خصوصا فوق الشفتين، وعلى الخدين، وفي الأجزاء المحيطة بالبطن)، فتفقد المرأة تقريبا كل مظاهر أنوثتها التي اكتسبتها طوال فترة مراهقتها، وتقرب أكثر من مظاهر

● ● الجنس الثاني ● ●

الرجولة، فإذا كانت المرأة تخدم النوع طيلة ثلاثين عاما هو نصف عمرها تقريبا، فكيف تقضى بقية عمرها؟..

تكتسب المرأة في هذه الفترة بعض صفات الرجولة، فتظهر الكثير من الوضوح، والموضوعية، والاعتدال في أساليب التفكير، ويقترب سلوكها من رجل الأعمال المتميز بالحزم، واللباقة، والروح الاجتماعية، وليس أدل على تزايد نشاط المرأة العقلي في هذه السن من أن كثيرات لا ينبغن في تخصصاتهن إلا بعد بلوغهن سن الخمسين، فهل يصح لنا القول بأن سن اليأس هو سن تزول فيه الفوارق السلوكية بين الجنسين؟!.. بحيث يتساوى الجنسان في هذه السن، وأن الرجولة بهذا تكون هي المظهر السائد؟.. وعزاء للأئمة..

وعلى الرغم من ذلك فهي لا تتخلى عن الأمومة في هذه المرحلة، فتراها تحمل أولاد أولادها (أحفادها)، وتبذل لهم حبا، وعطفا أكثر من والديهم، وقد تعيش مشاكل ابنتها مع زوجها، ومشاكل ابنها مع زوجته، وهكذا لا تستطيع الخروج من الحياة، فحياتها هي الأمومة، والأمومة هي حياتها، وقد تكون سن اليأس مصحوبة ببعض أعراض التهيج الجنسي، خصوصا لدى النساء اللاتي عانين من فتور الرجل الجنسي بعد الزواج؛ فتشتعل الغيرة في نفسها ظنا بانصراف زوجها عنها نحو امرأة أخرى..

ليس هناك فارق إذا بين الذكر، والأنثى لأنهما متداخلان لقول الرسول الكريم:

-«النساء شقائق الرجال»..

فليس ثمة أنوثة بحتة، ولا رجولة بحتة؛ إذا اعتبرنا العامل الإنساني في الجنسين، والفروق البيولوجية التي يحتمها تقسيم العمل لقوله تعالى:

-«وما خلق الذكر والأنثى (٣) إن سعيكم لشتى (٤)» الليل..

فلا معنى أن تنسى المرأة وظيفتها الأصلية كي تنافس الرجل في أعمال قد لا تكون في حاجة لخوضها؛ كي تثبت لنفسها أنها ليست أقل من الرجال، فهل نازعها الرجل يوما أعز خصائصها، ووظائفها التي لا يقوم بها غيرها من حمل، وولادة، ورضاعة، وتنشئة أجيال من الرجال، والنساء؟.. فأكبر سبب لحسد امرأة هو سعادة امرأة أخرى في الحب، والزواج؛ خاصة إذا عاشت المرأة حياة صعبة في طفولتها، ثم شعرت بعد ذلك بأن زوجها لا يحبها، وأن حياتها الزوجية تخلو من المودة، والرحمة، وقد يبث فيها هذا الحسد روح الثورة، والتمرد، والاستعلاء على زوجها؛ فتنفخ في روحها الغرور بجمالها، وإمكانياتها، وقدراتها، وذكائها، وعلمها، وثقافتها، وشهاداتها، ولهف الرجال عليها، وهي صفة من

●● الجنس الثاني ●●

صفات زعيمات المرأة المناديات بالتحريير، والمساواة ككلمات طائشة جوفاء، فالمرأة التي يريدون تحريرها من بيتها، والمتربعة على عرشه ليست في السجن، والمساواة غير موجودة بين الرجل، والمرأة لاختلاف السعى، والتيسر لما خلق له كل منهما كما بينا..

إن المرأة منذ فترة مبكرة جدا من عمرها تحفظ شكل، وحجم، وموقع كل جزء من جسمها، وعلاقته بالأجزاء الأخرى، وترسم لنفسها صورة جذابة جميلة تتجاوز كل التفاصيل غير الجميلة في مظهرها، وهذا من سمات الشخصية الناضجة إذ يصاحب ذلك حالة معنوية مرتفعة تجعلها تنضح بالحيوية، والثقة بالنفس، وهي بعد مرحلة النضج تقبل بعض النقائص في شكلها مثل حجم الأنف، أو شكل الأذن، أو لون البشرة، أو قصر القامة، أو البدانة إلى آخر تلك العيوب الشكلية، بل تشعر بأن هذه التفاصيل هي سبب تميزها فتشعر بقدراتها الأنثوية، وتأثيرها من خلال ذكائها، وإحساسها بالحب؛ فتندمج في علاقة حميمة مع الجنس الآخر التي تجد نفسها مكملة له، وأن لها دورا أنثويا تجاه الدور الرجولي عن رضى، واقتناع..

إن قناعة المرأة الناضجة بالدور الأنثوى يجعلها تجزع أشد الجزع إذا أصابها مكروه في رحمها، أو ثديها، وامتد مشرط الجراح لكي يستأصل أحدهما مهما طعنت في السن، وأنها من الممكن أن تتخيل نفسها بلا رأس، ولكنها لا تتخيل نفسها بدون رحم، أو بدون ثدى حتى لو كانت لا تحتاجهما وظيفيا..

وقد تضطرب المرأة اضطرابا شديدا بعد إزالة الرحم، فتقل ثققتها بنفسها، وتبدو أكثر عصبية، وحدة، واندفاعا، وشكا، وقيل إلى البدانة لاضطراب النظام الهرموني للجسم، وهي في هذه الفترة أكثر احتياجا لزوجها، وتزداد هذه الأعراض بشدة إذا ما تم إزالة المبيضين من الرحم، كما أنها تهتز اهتزازا عنيفا إذا بتر أحد ثدييها لأي سبب فتتهار ثققتها بنفسها على أنوثتها الضائعة، واستمتاعها بحياتها، واستجاباتها العاطفية، والجنسية؛ فهو محمل ببعض الأعصاب الحسية التي تشكل جزءا من الأحاسيس الجنسية عندها..

شخصية المرأة:

عدد علم النفس الشخصيات، وصنفها، وبين سماتها، وفرق بين مظاهرها، وقد وجدنا أن

● ● الجنس الثاني ● ●

بعضها من الممكن أن يتصف به الرجال دون النساء كالشخصية «الزرجسية»، والشخصية «الاضطهادية(البارونوية)»، فهي لا تتفق مع الأنوثة بحال، ولا نستطيع أن نقول على الأنثى إذا ظهرت فيها أنها زرجسية، أو اضطهادية، وإذا وجد شيء منها في الأنثى فهو من تأثير التنشئة، والبيئة، وما تعرضت له من محن، وصعاب شوه شخصيتها، وأثر على نظرتها للحياة؛ فالشخصية الزرجسية مثلا هي شخصية انتهازية مغرورة معجبة بنفسها محتقرة للآخرين، فتجد أن من واجبهم أن يسخروا أنفسهم لخدمتها، وراحتها، والعناية بها، ولا يتفق ذلك مع طبيعة الأنثى السوية المعطاءة المنكرة لذاتها رغم تفانيها، وتعبها، وإخلاصها..

أما الشخصية الاضطهادية فهي التي تشك، وتساء الظن بكل الناس، وتتمسك برأيها مهما انتقد الذين حولها مزاعمها، وهي شخصية تشعر دائما بنظرات الشماتة، والتحفز، وتوقع العداء، وقد نجد شيئا من مظاهر الشخصيتين في المرأة، ولكنه ليس طبعا أصيلا فيها، ولكن ربما زرع فيها من الرجل سواء الأب، أو الأخ، أو حتى الزوج بالإيحاء، ثم بالتطبع..

والشخصية «الهستيرية» قد تشترك فيها المرأة كثيرا مع الرجل، لأنها إنسانية شائعة أكثر منها جنسية تختص بطباع جنس دون الآخر، فهي شخصية تتميز بالتقلب، والأناية، والحرص الزائد، فإذا أعطت فمن أجل المصلحة، أو حب الظهور، وهذه الشخصية تلفت الأنظار بأى مظهر حتى لو كان فجا، وزاعقا سواء بالإشارة، أو التلميح، أو الملابس الغريبة، والصارخة، أو الضحكات الرنانة، والحديث الصاخب المتواصل، وتحمس لكل جديد، وهذا ينسحب على كل شيء في حياتها حماس، ثم خمود، عواطف جياشة، وعلاقة حميمة، ثم برود، ولا مبالاة قاتلة، إثارة، ثم تبدل، وبرود جنسى، ولا تستجيب أثناء العلاقة الجنسية، ولا تستمتع بها، وقد تنفر منها، فإذا بالغت في هذه الرغبة أثبتت لنفسها، وغيرها أنها مرغوبة، وشهية، ومشبعة، وهي في غيرتها حادة، وعنيفة إلى حد الموت، فلا تطيق أخرى، فإذا ما تم تجاهلها، وتجنبها فإنها تهدد بالانتحار لشدة الانتباه، والاهتمام بها باستمرار، حادة المزاج تثور لأتفه الأسباب، وتدمر، وتحطم، لا شيء يرضيها، وسريعة القابلية للإيحاء.. وهي شخصية قابلة للتفكك، ومن السهل أن تصاب بأعراض جسدية إيمائية؛ كالصداع، والآلام، فإذا ما تم الضغط عليها من البيئة التي حولها فإنها تصاب بالتفكك الكامل، وتنتابها أعراض الإغماء، والتشنج، والشلل المؤقت، أو فقد حاسة من الحواس التي سرعان ما تزول..

أما الشخصية «السيكوباتية» فهي الشر يمشى على الأرض؛ رغم ما يبدو عليها من سمات الوجه

●● الجنس الثاني ●●

السمح، والإنسان البريء الدمث الذي يغطي قلبا مغلفا بالسواد، والحدق الأعمى فينخدع فيه من حوله، وهو لا يضحى من أجل أحد، وإن أظهر التأثر الكاذب، في طبعه الخيانة، والتسلق ليصل إلى أهدافه، وهو مقنع، ولس الحديث، ويحلف بأقدس الأيمان على صدقه، ولكنه لا يتحمل المسؤولية، وسلوكه الجنسي مضطرب، أما الشخصية «الانطوائية» فهي تميل إلى العزلة، وعدم الاختلاط بالناس، كما تعجز عن التعبير عن مشاعرها، وعواطفها، وانفعالاتها، وهي عكس الشخصية «الانبساطية»..

تبادل الأدوار:

لا يستطيع أى إنسان تمثيل دور واحد محدد في الحياة إلا إذا كان إنسانا جامدا، متواضع الفكر، قليل الحيلة، أو خانع، وكسول، وإذا ما جرب الإنسان تبادل دوره مع آخر يحبه، أو شريكا له في شيء؛ فإنه يجلب سعادة لهذا الشريك، وبالتالي يطرد الملل، والنمطية التي ترين على قلبه، وحياته، ومن هنا تحل الأزمات بين الزوج، والزوجة إذا شاركها الرجل حياتها العادية (المنزلية مثلا)، بعد أن شاركته المرأة حياته الخارجية هذه الأيام؛ فأصبح يلتقى بالمرأة في كل عمل خارج البيت، وكذلك إذا شاركته الزوجة اهتماماته داخل، وخارج المنزل، وأنصت باهتمام لمشاكله في عمله، وقد تصل إلى اقتراح المناسب من الحلول، فالاهتمام المشترك عادة ما يوحد الأهداف بينهما، ويعمل على إزالة الاحتقان الناشئ عن إقامة الجزر المعزولة في البيت الواحد..

أكدت دراسة أمريكية حديثة أن صورة المرأة عن ذاتها، والطريقة التي تفكر بها فيما يتعلق بعلاقتها مع الرجال، وكيفية التعامل معهم تتوقف إلى حد كبير على تجاربها، وعلاقتها بالدها في طفولتها المبكرة، وتشير الدراسة أيضا أن البنات اللاتي لا علاقة لهن بأبائهن، أو تكون العلاقة بينهما سطحية يتخلين مبكرا عن متابعة دراستهن، وقد يتورطن في علاقات عاطفية فاشلة نتيجة لاحتياجهن إلى صورة الرجل في حياتهن، وجهلهن بتصرفات الرجل..

والمرأة قيمتها بالرجل، فلا تستطيع العيش بدونه؛ فهي لا تجد نفسها إلا بالاقتران به، يقول «د. عادل صادق» أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس في جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ ٣٠ من مارس ٢٠٠٢:

-«الحب هو محور حياة المرأة، والرجل هو مركز توازنها، وإحساسها بذاتها كأنثى لا يتحقق إلا

●● الجنس الثاني ●●

من خلال وجود الرجل، وإذا لم يتحقق ذلك تصبح كالأرض الجرداء، ولذا فإن حالتها المعنوية تعتمد على الرجل إلى حد كبير صعودا، وهبوطا مثل أمواج البحر، فالمرأة ليست رقم واحد في حياة الرجل؛ بل تأتي في الترتيب بعد العمل، والنجاح؛ فإذا تعارضت معهما فإنه يبتعد عن المرأة، ويختار العمل، والنجاح فهو لا يحب الدوران في فلك المرأة؛ بل العكس يحب أن تدور المرأة في فلكه، وهو لا يحب الالتزام المطلق؛ بل يبتعد، ويقترب من المرأة بقدر احتياجه لها والتي غالبا ما يكون احتياجا حسيا حتى إن هناك حالة مرضية تصيب الرجل أحيانا تسمى «مخاوف الالتزام»؛ وفيها لا يقوى الرجل على ربط حياته نهائيا بامرأة، وبذا لا يتزوج أبدا»..

بينما ترى «د. سامية الساعاتي» أستاذ علم الاجتماع بكلية آداب عين شمس في نفس العدد من الجريدة نفسها:

-«إن الرجل في علاقته بالمرأة يلعب لعبة الصياد، والفريسة فيقترب حيناً، ويبتعد أحيانا حتى يوقع بفريسته، فالرجل يحب أن يلهث حتى يفوز بمن يحب في النهاية، ويرفض أن تكون المرأة هي البادئة بإظهار عواطفها، وإذا ما حدث نادرا وتزوج من التي بادأته محبتها، وصارحته بمشاعرها فإنه في أول مشادة زوجية لا يتورع أن يصرخ فيها:

-أنتِ اللي جريتى ورايا..

فتذوب المرأة خجلا، وتلعن الصدق، والصراحة»..

المرأة والجمال (التكوين الجسدي)

خلقت المرأة من ضلع آدم؛ فهي جزء منه، فلاتحس بأنوثتها إلا إذا رجعت هذه القطعة مرة أخرى إلى مكانها الذي أخذت منه بجوار قلب الرجل، ومن هنا يمكننا تفسير قسوة الرجل على أولاده الذين تكوّن كل منهم من خلية انفصلت عنه، أما المرأة التي تزوجها هي - في الأصل - كتلة كبيرة انفصلت عنه سلفا، وما الإحسان الذي فرضه تعالى على الرجل لأبيه، وأمّه إلا صلة هذه الخلية الوحيدة التي يمكن أن تنسى أصلها في خضم الحياة، والعجيب أن هذه الخلية (الحيوان المنوي) تبحث عن البويضة في ظلمات الرحم حتى يسكن إليها ويحييها..

يتحدث العقاد في كتابه «هذه الشجرة» عن جمال المرأة مفرقا بين نماذج ثلاثة: النموذج «العصري»، ونموذج «العرب»، ونموذج «اليونان»؛ فالنموذج العصري يميل إلى التخفيف من جسم المرأة، ويبالغ فيه، ويكاد يسوى بين قوام المرأة، وقوام الرجل، ويعيب هذا النموذج إهماله النظر إلى وظائف الأعضاء، ويكاد أن يحصر الجمال النسائي كله في قالب واحد يشبه القوالب الثابتة التي تجمد عليها الفراغنة في أطوار الركود، والاضمحلال..

وأما العرب فكانوا يستحسنون من جمال المرأة الوضاحة، والهيف (الطول)، والرشاقة، والخفر، وكانوا يحبون مع الهيف، والرشاقة بروز النهود، والأرداف، وهو ذوق لا يخرج بهم عن سواء الفطرة كما يثبته لنا حب الجمال، وعلم وظائف الأعضاء فمما يعيب المرأة عضويا، أو فسيولوجيا أن تكون

●● الجنس الثاني ●●

رسحاء ضئيلة الردفين، إنها خلقت بحوض عريض ملحوظ فيه تكوين الجنين؛ فإذا كانت صحيحة البنية، سوية الخلق وجب أن تكتسى عظام فخذيها، وعجيزتها، وأن يمتلئ فيها هذا الجانب من جسمها، وإلا أشار هزاله إلى آفة في تكوين الجسم لا توافق حاسة الجمال، وكذلك يستحسن الخصر الدقيق في المرأة لأن ضخامة المعدة قد تؤذى الجنين، وتضغط عليه في الرحم، وتشير إلى التزيد في الطعام فوق ما تستدعيه وظائف الحياة في جسم الإنسان..

أما الذوق اليوناني فقد نظر إلى التكوين المتين، ويميزه على التكوين الرشيق، فكان وسطيا بين المثل الأعلى لجمال المرأة عند العرب، وعند المعاصرين، فقد حفظوا لنا تماثيل رشيقة لجسم المرأة لأنهم مزجوها بالرشاقة الغلامية التي كانوا يحمدها في أجسام فتية الرياضة، وألعاب الفروسية.. ويقول في نفس الكتاب:

-«وكيفما نظرنا إلى مصلحة وجدنا من الخير له أبدا أن يتكفل الذكور بالإرادة، والقوة، والإناث بالإغواء، والتلبية».. ويقول:

-«فالذي يساعد المرأة من قبل الطبيعة على إغراء الرجل هو «الهوى الجنسي» في تركيب الرجل نفسه، فلولا هذا الهوى لكانت حيلتها معه من أضعف الحيل، وسلطانها عليه أهون سلطان».. ولعله قد تأثر كثيرا بنظريات فرويد في العلاقة النفسية بين الرجل، والمرأة.. وفي كتابه «الإنسان الثاني» يقول:

-«شغلها اليوم كشلها قبل التاريخ، لا تزال صارفة كل عنايتها إلى تزيين ظاهرها، وتحسين هندامها، ووسائل إعجاب الرجل بها، ولا يزال لها ولع الهجمى بخرزه، وريشه الطويل، وشغفه بالألوان المبهجة الزاهية، والصور البراقة الخالصة، وما أفادها تقدم العمران، وتدرج العصور؛ إلا أنها جعلت الطلاء مكان الوشم، وعلو الرياحين، والأزهار بدلا من دخان الند، والعود؛ مع شيء يسير من التهذيب»..

مقاييس جسم المرأة والجمال:

جمع د. فخرى فرج في كتابه «المرأة وفلسفة التناسليات» النسب المحددة التي اتفق عليها الأطباء، والمتخصصون للحكم على الجسم الأنثوي من حيث جماله، وملاءمته للقيام بوظائفه الحيوية،

●● الجنس الثاني ●●

والتناسلية:

- متوسط القامة طولا، وعرضا فالجسم الطويل العريض السميك يقترب بها من قوام الرجل..
- عظام الجسم - ماعدا عظام الحوض - تكون أصغر نسبيا من عظام الرجل، فالعظام الكبيرة عادة ما تكون مصحوبة بعضلات ضخمة، واتساع عظام الحوض في المرأة يرجع لسببين، الأول: جعل نصف المرأة الأسفل أضخم قليلا من النصف الأعلى، وهى صفة جمالية، والثاني: المساعدة في القيام بوظيفتى الحمل، والولادة..

- عضلات الجسم رخوة، وأنحف من عضلات الرجل، ولا تظهر على سطح الجسم، وتكون مستورة بطبقة دهنية تعطى شكل أعضاء الجسم نوعا لطيفا من الاستدارة، ولا تتضخم هذه العضلات قليلا إلا في المنطقة المحيطة بالحوض، لتساعد على تكوين تجويف بسيط ظاهر خلف منطقة الكليتين، وذلك بتقوس العمود الفقرى قليلا لما لهذه العضلات من تأثير ميكانيكى مستمر عند الجماع، والحمل، والولادة، وللتحقق من ذلك نلاحظ العلاقة التالية عندما تنام المرأة مسطحة على ظهرها فيجب أن تكون النقطة المتوسطة بين ثديي المرأة أقل ارتفاعا من أعلى نقطة وسط جبل الزهرة (mons veneris) (المنطقة التى تعلو العضو التناسلى للمرأة أسفل البطن مباشرة)، أو العانة، وهو ما يعتبر من أسهل العلامات لاحتمال سهولة الولادة عند المرأة بالنظر إلى مقاييس الحوض..

- المسافة بين نهايتى كتفيها أقل من المسافة بين أعلى نقطتين فوق فخذيهما، لأن ذلك يعنى اتساع الحوض للقيام بوظيفته الطبيعية، وإذا كان الفرق كبيرا نسبيا فهو يعنى أن الصدر ليس بالاتساع الكافى ليسانع الرئتين، والقلب على القيام بوظائفهما الحيوية لجسم المرأة..

- المسافة بين أعلى نقطتين فى عظمتى الفخذ أبعد من مثيلتيهما فى الرجال، وعظمتا الفخذ يجب أن تكونا مستورتين جيدا بالعضلات المتجهة نحو الركبتين فى شكل ضلعى مثلث متساوى الساقين زاويته الرأسية عند الركبتين، ولامتلاء الفخذين ميزتان، الأولى: يؤدى إلى اتصال تدريجى جميل بين العضلات المحيطة بالحوض، وعضلات الفخذين، والثانية: الاتصال الجسدى الجيد، والذى لا يتحقق بوجود فراغ بين أعلى الفخذين بالقرب من العضو التناسلى، ويعطى هذا الامتلاء النصف السفلى للمرأة الشكل المخروطى الجميل، الذى يصغر شيئا فشيئا كلما اقترب من أسفل الساقين..

- الثديين - بغض النظر عن شكلهما - ليسا صغيرين منفصلين جدا عن بعضهما، ولا كبيرين بدرجة تجعلهما يستران كل الصدر، فالنوعان الأوليان يدلان على ضعف نمو المرأة، ومن ثم عجز

●● الجنس الثاني ●●

المرأة عن تغذية أطفالها جيدا بعد الولادة، أما النوعان الكبيران فهما من الضخامة بحيث يجعل شكل الثديين غير متناسبين مع مجمل قوام المرأة، وفي أحوال كثيرة يتناسب الحجمان(الصغير، والكبير) تناسباً عكسياً مع حجم الردفين ربما نتج عن اضطراب في توزيع دهون الجسم أثناء فترة البلوغ، ويختلف شكل الثدي في المرأة اختلافاً أنثروبولوجياً بين الشعوب المختلفة، فمنه المستدير، والمستطيل، والمخروطي..

- حائط البطن يبدأ في الخروج للأمام تدريجياً على مسافة ثلاثة، أو أربعة سنتيمترات فوق السرة ثم يبدأ بالضمور إلى الداخل تدريجياً حتى شعر العانة، أما إذا برزت البطن فوق السرة فإن ذلك يدل على اتساع، وامتداد حوائط المعدة قد تتسبب في حدوث اضطرابات في الجهاز الهضمي، وبرز البطن الزائد للأمام أسفل السرة يدل على ارتخاء البطن، مع تأثير داخلي كبير على الأعضاء الداخلية في البطن نتجت عن تعدد الحمل، والولادة بدرجة شوهت شكل البطن..

- الجلد الأملس - بغض النظر عن اللون - ناعماً، ورقيقاً، وغير مجعد، ولا يتوافر هذا الجلد إلا بوجود طبقة دهنية معقولة تحت الجلد، ولا تتغير نعومة الجلد إلا مع تدهور الصحة عموماً، أو الإصابة ببعض الأمراض كعسر الهضم، والاضطرابات المعدية، والمعوية، والحمى التيفودية، والسل، والدوستاريا، وفقر الدم، ويحدث هذا أيضاً لدى الشباب من تأثير العادة السرية، والأمراض التناسلية غير الميكروبية..

الذكر والأنثى بيولوجيا

يقع الإنسان عموما في تركيبه الجسدى بين الوراثة، والبيئة بعد تلك المعارك التى نشبت بين علماء «الوراثة»، و«الاجتماع»، و«الأنثروبولوجى» إبان القرنين التاسع عشر، والعشرين، والوراثة هى ما احتوى عليه جسم الإنسان من صفات جسدية، وذهنية استحوذ على قدر منها منذ بداية نشوء الإنسان، وخلقه، وما أضافته الأجيال المتتالعة من صفات مرورا بالوالدين، وقد تتأثر الوراثة التى تعتبر هى الأصل بالبيئة المحيطة بالإنسان منذ كان جنينا فى رحم الأم، والذى يؤثر عليه منذ اندماج البويضة، والحيوان المنوى لتكوين اللاقحة Zygote التى عادة ما تتأثر بما فى الرحم من حرارة، ورطوبة، وتغذية، وغيرها إلى أن يخرج الجنين من ظلمات الرحم إلى نور العالم الخارجى الذى يصادف فيه الإنسان المولود عوامل بيئية جديدة تؤثر حتما فى حياته..

يقول العقاد عن الجنس:

-«فى أسطورة يونانية قديمة أن الذكر، والأنثى كانا بنية واحدة فشققها الآلهة شقين، لأنهم أوجسوا خيفة من تمردها، وعصيانها، وأنها لا تفتأ منذ انشقت نصفين يبحث كل منهما عن صاحبه ليتم به، ويرجع معه إلى أصله، ومن علماء الحياة سير «أرثر طومسون Sir. Arthur Thomson»، وسير «باتريك جيديس Sir Patrick Geddes» صاحبا كتاب «تطور الجنس Evolution of Sex» اللذان ينزلان بالفارق بين الجنسين إلى قرارة المادة الحية التى تتمثل فى النبات، ويوشكان أن يجعلها من الأنوثة شيئا من النباتية التى تمكث فى موضعها، ومن الذكورة شيئا من الحيوانية التى تنفق من مادتها للحركة»..

ويرجع علماء الحياة المحدثون مزاج الذكورة، ومزاج الأنوثة في جسد الرجل، والمرأة إلى الهرمونات التي تفرزها «الغدد الصماء»؛ وهى غدد تفرز سائلا شفافا يسرى مباشرة في تيار الدم، ومتى تشخصت الذكورة، والأنوثة ظهر الفارق الأكبر في تركيب «الخصية»، وتركيب «المبيض»، فاختص الرجل بإفراز «المنى»، واختصت المرأة بإفراز «البويضات»، ومن التجارب في بعض الحيوانات كالجرذان يلاحظ أنه باستئصال الغدد المنوية يميل بالحيوان إلى مزاج الأنوثة، ولكن إذا استئصل منه المبيض لا يستعير مزاج الذكورة إلا بإضافة الغدد المنوية إليه..

ومن فحص «البويضة»، و«الحيوان المنوى»، وملاحظة سلوكهما نلاحظ ثبات البويضة، وحركة الحيوان المنوى الدائبة؛ وإلا لما استطاع البحث، والتنقيب عن البويضة الثابتة في مكانها المظلم، ولا اقتحامها، كما أن البويضة تميل إلى الامتلاء، والاكتمال بالمواد الغذائية؛ بينما يقل ذلك في الحيوان المنوى، وتحدث الأستاذ «ارنست كرتشمير Ernst Kretschmer» فأمح في كتابه «نفسيات العباقرة» عن الشاعرة الألمانية «أنيت فون دروست هيلشوف Anette Von Droste Hulshoff» فقال: -«إنها كانت أقرب إلى الرجولة في مزاجها، وكلامها؛ فكانت تتزيا بأزياء الرجال، وتتمنى في شعرها لو كانت صيادا، أو جنديا مقاتلا، أو رجلا على الأقل، ولم تنظم قط في عواطف الأمومة، أو وصف الطفولة، أو حنين المرأة إلى الحب، والألفة، وكان النزوع إلى التشبه بالرجال مشهودا في التاريخ لنساء مشهورات مثل «اليصابات ملكة إنجلترا»، و«كاترين قيصرة روسيا»، و«كريستينا ملكة السويد» فقد نبغن في اقتدارهن على بعض أعمال الرجال بمقدار ما نقص فيهن من صفات الأنوثة»..

وننضح الفروق بين الذكر، والأنثى في ٧ نقاط اكتشفها العلم الحديث:

- تعيين الهرمون الذكري التستوستيرون لجنس الدماغ..
- التطور في دماغ الذكر، والأنثى..
- دماغ الذكر، والأنثى مختلفان بنيويا..
- تباين تعامل الجنسين مع المعارف المستلمة..
- اختلاف مقدرة الجسمين لتأدية الأعمال..

●● الجنس الثاني ●●

- دماغ الإناث مبنى لأعمال متعددة في آن واحد..

- تقلب نشاط، ومزاج المرأة خلال دورة الطمث..

فيما يتعلق بالهرمون الذكري التستوستيرون (Testosterone) فقد برهن العلم على أنه المفتاح في تطور جنس الدماغ إلى ذكر، وأنثى..

فالنطفة الأنثى (xx) المعرضة لكمية قليلة من الهرمون الذكري تصبح أنثى من حيث المظهر، والدماغ، أما النطفة الأنثى المعرضة لكمية أكثر من الهرمون تصبح بدن أنثوى بدماغ ذكري، ويؤدي تعرض نطفة الأنثى إلى فيض من ذلك الهرمون إلى أن يكون بدن الجنين ذكراً، ودماغه ذكراً أيضاً، ومن هنا يميز هذا الهرمون دماغ المرأة عن دماغ الرجل..

وعن التفاوت بين تطور دماغ الذكر، والأنثى فقد ثبت - بالتجربة - أن البنين أبطأ من البنات في فهم اللغة، واستعمالها، وأن دماغ البنين أعلى في التخصص، وفي القدرة على إنجاز الأعمال، وجزء الدماغ المعنى بمهارات التفاعل الاجتماعي هو أكثر تطوراً في البنات من البنين.

وتشير بعض الأبحاث لعلماء أمريكيين، وكنديين أن دماغ الرجل يعطيه قابلية متميزة على المرأة في التركيز على الشيء المراد إنجازه؛ بينما دماغ المرأة لا يساعدها كثيراً على التركيز، وبينما ينشغل الجانب الأيسر من دماغ الرجل بالسيطرة على قدرات الفعل، والجانب الأيمن بالسيطرة على قدرات الإبصار، نجد أن كلا من الجانبين عند المرأة ينشغلان في التعامل مع كافة المسائل، ولذا فإن النساء يتميزن على الرجال في ميدان إتقان اللغة، وقواعدها، ومن الاختلافات التشريحية بين دماغ الرجل، ودماغ المرأة «الجسم الجاسئ» Corpus Callsum وهو عبارة عن كتلة ألياف عصبية موصلة يربط شطري الدماغ نصف الكرويين، وفي الإناث يكون ذلك الجسم أسمك، وأكثر انتفاخاً، ووزناً، وهذا الفارق يجعل المرأة أكثر طلاقة، ووضوحاً من الرجل في التعبير الملفوظ، ويساعدها في أعمال تتطلب التقريب بين يديها، والتنسيق بينهما كما في الحياكة، والتطريز، والأعمال المنزلية..

أما علاقة الدماغ مع المعارف، والحواس فنجد أن سمع النساء يفوق سمع الرجال، وإبصار الرجال يفوق إبصار النساء نهاراً، بينما إبصار النساء يفوق إبصار الرجال ليلاً، واللمس اليدوي عند النساء أقوى من نظيره عند الرجال، وكذلك الشم، والذوق..

والآن نتقل إلى المهارات لنجد الإناث يتفوقن على الذكور في المجالات المتعلقة بالأعمال الدقيقة، والتنسيق الحركي، والتجميع، والخياطة، والصيدلة؛ أما الرجال فيتفوقون في المهارات البدنية التي

تتطلب التركيز، والرياضيات، وغيرها من النشاطات المحفوفة بالخطر..

نشرت جريدة أخبار اليوم عن العالم الكندي «ميشيل روبير» أستاذ علم النفس بجامعة مونتريال أن المرأة لها مجالات محددة تتفوق فيها على الرجل كاللغة، والقدرة على التذكر؛ بينما يظهر الرجال تفوقا عقليا في الأمور العلمية كالعمليات الحسابية، وعلوم الفضاء، وقد أظهرت الأشعة أن الفص الأيسر في مخ المرأة أطول منه عند الرجل، وهو المسئول عن التحكم في اللغة، والقدرات السمعية.. تحيض المرأة كل شهر ابتداء من سن البلوغ، وحتى الخامسة والأربعين من عمرها، والحيض معناه أن البويضة لم تلقح، وتعتمد عملية التبويض على التنسيق الهرموني الذي يسيطر عليه المخ أساسا بواسطة جزء منه يعرف باسم «الهيپوثلامس Hypothalamus» يتحكم في غدة أساسية موجودة في قاع الدماغ تسمى «بالغدة النخامية» pituitary gland وهو الغدة المسئولة عن نمو الإنسان، والمتحكمة في بقية الغدد، وتتحكم بدورها في المبيضين اللذين يفرزان «هرمون الاستروجين -es- terogen»، «والبروجسترون» progesterone وهما المسئولان عن إعداد الرحم لتلقى البويضة الملقحة، وعن الدورة في حالة حدوث الحمل، كما أنهما المسئولان عن الثديين، وهو ما تلاحظه المرأة من ازدياد حساسية ثديها للألم فترات معينة كل شهر، ويتأثر بهما أيضا المهبل، وعنق الرحم في منتصف الشهر بين الدورتين (اليوم الرابع عشر تقريبا)..

يزداد هرمون الاستروجين ليؤدي إلى زيادة بلل المهبل، وعنق الرحم بمزيد من الإفرازات التي تساعد على الإيلاج المحكم الذي يؤدي في النهاية إلى مساعدة الحيوان المنوى الأقوى في رحلته الطويلة لتلقيح البويضة، وفي هذا الوقت تنفصل البويضة عن المبيض لتمر عبر «قناة فالوب» Fallopian tube وعند ذلك يبدأ دور هرمون البروجسترون فينهار الجدار الرحمي بما يحتوي من دم ليخرج من المهبل فتبدأ معاناة المرأة من هذه التغيرات الفسيولوجية منذ الأسبوع الذي يسبق الدورة التي قد تكون شديدة، وقاسية، وتستمر يومين، أو أكثر بعد بدء الدورة، ثم تختفي الأعراض تماما..

وأول هذه الأعراض تذبذب حاد في الحالة الوجدانية للمرأة بانقلاب مفاجئ يبدأ في لحظة معينة، ويصل إلى أقصى مداه في نفس اللحظة التي بدأ فيها الشعور بالحزن، وقد تنهمر دموعها أحيانا، وتتحول إلى إنسانة عصبية نائرة غاضبة دون مؤثرات خارجية معينة، ثم تهدأ الثورة، وتعود من جديد فترى كل شيء حولها مثيرا للغضب، وداعيا إلى الحنق لتصبح أحيانا عصبية عدائية إلى أقصى

●● الجنس الثاني ●●

حد حتى إنها قد تخرج عن الحدود اللائقة في التحدث مع الآخرين، وقد تتفوه بألفاظ نابية تندم عليها بعد الهدوء، والشفاء، وتلازم المرأة حالة من القلق الحاد، والتوتر المستمر، وكأنها في سجن، أو على حافة هاوية مشدودة متحفزة تتوقع مصيبة، أو مشكلة، وقد تسيطر على المرأة حالة من الاكتئاب، والضيق في الصدر، والكرهية لذاتها، وشعورها بالندس فتفقد حماسها، وإقبالها على الحياة فينطفئ النشاط، وتقل الحركة، وتذوى الابتسامة في لحظة الانتظار الكبرى؛ انتظار مصير استقبال حياة، أو إعدام هذه الحياة، حتى إن هناك دراسة أمريكية أثبتت العلاقة بين فترة الدورة الشهرية للمرأة، وارتفاع معدلات الجريمة التي قد تكون المرأة أحد أطرافها خاصة إذا اقترنت الدورة الشهرية بفترة معينة من دورات القمر..

وكما حدث توقف للوجدان يحدث أيضا توقف للتفكير، فتجد صعوبة في التركيز، والفهم، والمتابعة، ومن أسوأ الأعراض العنف، والعدوانية، والعداء لكل من حولها، ويكون الزوج غالبا هو أحد هذه الأهداف، وقد يلازمها الأرق، أو تنام ضعف ساعات النوم المعتادة، كما تحس بالنفور من أطعمة معينة، أو روائح معينة، وقد تقبل على الأكل بشهية زائدة، كما يمكن أن يلازمها الصداع النصفي، وآلام الثديين، وتورمهما، وهو ما ينبغى أن يفهمه الرجل عن المرأة في أيامها الصعبة هذه فجعل الله الرحمة من الزوج التي تحتاجها في هذه الأيام..

هرمون التستوستيرون يكون مطلوباً عقب انتهاء الدورة الشهرية التي تخرج منها الأنثى مجهددة، وقليلة الثقة بنفسها، وإذا كان الهرمون يصنع القادة بين الرجال فإنه وراء النزعة العدوانية لدى بعض أولئك القادة عندما تكون إفرازاته زائدة عن الحد، وهو المسئول كذلك عن طموح المرأة، وسعيها الدائم إلى النفوذ، والسلطة، وقد تكون المرأة عدوانية؛ ولكنها تستنفذ هذه الطاقة العدوانية في شيء مفيد؛ وهو الطموح في عملها، الأمر الذي يشعرها بالاغتراب بينها وبين نفسها، وبينها وبين المجتمع، ومع هذا فإن معدل إفراز هذا الهرمون مهما ارتفع في المرأة فإنه لا يدنو بحال نحو نسبته لدى الرجل..

يقول د. ماهر مهران رئيس لجنة الصحة والبيئة بمجلس الشورى عن صحة المرأة بعد الأربعين لمحبوبتي في العدد الصادر يوم ٢١ من مارس ٢٠٠٢ إن سن التغيير هو مرحلة تستمر من ٥ - ١٠ سنوات؛ تبدأ في سن ٤٥، وتنتهي عند الخمسين، وإذا أردنا تحديد سن معينة لانقطاع الحيض الذي هو العلامة الواضحة لهذه المرحلة؛ فهي سن الثامنة والأربعين، وأن هذه السن متغيرة، وتختلف من

امرأة لأخرى، كما أن أعراض هذه المرحلة وهي عديدة لا تأتي بصورة واحدة، ولا بدرجة واحدة.. وهناك أربعة عوامل مؤثرة؛ وهي الوراثة؛ فهناك عائلات مبكرة في هذه السن، وعائلات متأخرة، وتكون الظواهر متشابهة في التوأم، ثانياً؛ الأدوية والعقاقير التي تؤثر في امتداد سن الخصوبة؛ ثالثاً العيوب الخلقية فإن مجيء الحيض ليس من علامات نشاط المبيض فقط، ولكنه يأتي من نشاط الغدة النخامية في قاع المخ التي تفرز هرمونات تنشط المبيض الذي يفرز هرمونات تؤثر على الرحم فتأتي الدورة، وأن أي عطل يأتي في هذه السلسلة يؤدي إلى عدم نزول الحيض؛ مثل عدم وجود الرحم، أو ضموره الخلقى، أو عدم وجود المبيض، وعدم وجود بويضات به، أو أي خلل خلقي يصيب الغدة النخامية، أو مراكز التنشيط الموجودة في المخ، رابعاً؛ سن الزواج، ولا علاقة بينه، وبين الإنجاب، وانقطاع الدورة..

والهرمونات هي المنشط الذي يبدأ، ويدير، ويتابع الجهاز التناسلي في المرأة، فهي التي تظهر علامات البلوغ، والنمو لدى الفتاة، وما يحدث لها من تغيير جسدي من زيادة في الوزن، وكبر حجم الثديين، واستدارة في أعضاء جسمها، ومو في شعرها، وتغيير في صوتها، والانتقال إلى إحساسات عاطفية، وجنسية تؤهلها لمرحلة الزواج، ونفس هذه الهرمونات تحدث التغيير في سن انقطاع الطمث نتيجة لاختفائها تدريجياً بسبب الضمور الذي يحدث في المبيض بعد اختفاء البويضات، وتوقف التبويض..

واختفاء هذه الهرمونات عادة لا تؤثر فقط على الجهاز التناسلي للمرأة؛ بل تؤثر على كل أجهزتها (فالمرأة جهاز للحمل، والإحساس، والعاطفة)، وعلى كل خلية من جسمها سواء في المخ، أو العظام، أو الجلد، أو الكبد... إلخ؛ والنمو الطبيعي للعظام يحتاج إلى هذه الهرمونات، كما يحتاج إلى معادن أهمها الكالسيوم، وإلى فيتامينات أهمها فيتامين(د)، وأن أي نقص في هذه المكونات في سن الطفولة، والشباب يؤدي إلى ضعف العظام، ثم هشاشتها بعد سن الأربعين بالنسبة للمرأة، كما أن هناك هرمونات تعويضية لهذه السن تقى المرأة من هذه الظاهرة الخطيرة التي قد تؤدي إلى الوفاة إذا تهشمت العظام لأي سبب..

والأعراض المصاحبة لما بعد انقطاع الطمث مثل نوبات العرق الليلي، والإحساس بالتوتر، وعدم التركيز فقد اكتشف حديثاً عقار «التييلون» المستخلص من الأعشاب الطبيعية الذي يساعد على حماية الجهازين التناسلي، والبولي من حدوث ضمور بالأنسجة نتيجة نقص هرمون «الاستروجين»،

●● الجنس الثاني ●●

كما أن هذا العقار يحمى العظام من أمراض الهشاشة دون أعراض جانبية؛ حيث إن استعمال الهرمونات التعويضية قد يؤدي إلى حدوث أورام الثدي، وليس فيه ضرر على الجهاز الدورى، والقلب..

انتشر، وذاع مصطلح «سن اليأس» لدى السيدات، وهى مرحلة من مراحل حياة المرأة حتى جاء من يتسمون بمحررى المرأة لينقضوا هذا المصطلح بجهل غير مسبوق، وذلك أن هذه الكلمة هى تعبير قرآنى بلاغى دقيق فى محله؛ فالمرأة تحيض من سن ١٥ إلى ٤٥ سنة تقريبا من عمرها، فعلى طول ثلاثين عاما تحيض حوالى ٣٦٠ - ٣٧٠ مرة، أو أكثر، أو أقل فى حياتها، فهل إذا عبر القرآن عن انقطاع هذه الدورة التى انتظرتها ٣٧٠ مرة من حياتها باليأس من الانتظار يكون قد جانبه الدقة فى التعبير، والكمال فى وصف تلك الفترة؟..

ويتعرض الرجل أيضاً لهذه السن، ولكن فى مرحلة متأخرة من العمر تأتى بعد الستين، وتكون أقل حدة، ولا تتعارض مع استمرار خصوبة الرجل فى هذه السن، وهو يستطيع العلاج أيضاً بالهرمونات التعويضية كالمراة تماماً..

فى دراسة أعدها مجلس السكان الدولى تحت إشراف خبراء دوليين؛ تناولت العلاقة بين أنماط بناء الأسرة، ومعدلات الخصوبة؛ تبين منها أن تأجيل الإنجاب يسهم فى تخفيض الخصوبة التى يبلغ معدلها الإجمالى فى مصر ٣,٨ طفل لكل سيدة..

يقول د.يوسف القرضاوى رئيس مركز السيرة والسنة بجامعة قطر فى حديثه لملاحق جريدة الجمهورية «محبوبتى» فى ١٨ من أغسطس ٢٠٠٥:

-«روى أن اليهود، والمجوس كانوا يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها، وكان النصرارى يجامعوهن، ولا يبالون بالحيض، وأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لا يأكلوها، أو يشاربوها، أو يجالسوها على الفراش، ولا يساكنوها فى بيت مثل اليهود، والمجوس، لذا توجه بعض المسلمين بالسؤال إلى النبى صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم، وما يحرم عليهم فى مخالطة الحائض فنزلت الآيية:

-«ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن» البقرة(٢٢٢)..

وقد فهم أناس من الأعراب أن «اعتزلوهن فى المحيض» بمعنى ألا يساكنوهن؛ فبين لهم النبى صلى

●● الجنس الثاني ●●

الله عليه وسلم المراد من الآية وقال:

-«إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم»،

فلما سمع اليهود هذا قالوا:

-«هذا الرجل لا يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»..

كما كشف الطب الحديث ما في إفرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم إذا بقيت فيه، أو

تمت ملامسته..

خلف المرأة:

المصادر التي احتوت على خلق المرأة محدودة، وما تحدث منها عن خلق المرأة موجز، ومختصر كالحدث نفسه؛ فعملية الخلق تعتبر عملية بسيطة، وسهلة بالنسبة لإله قادر عظيم، ومن أقدم الكتب التي حدثتنا عن خلق المرأة «كتاب التوراة» وهو من حيث المحتوى يغلب عليه طابع السرد، والتاريخ؛ فتحكى التوراة في الإصحاح الثاني من سفر التكوين:

-«فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلعه، وملاً مكانها لحماً، وتبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي، هذه تدعى امرأة لأنها من امرأة أخذت»..

وقد أشار القرآن إلى هذا الخلق بقوله في أول سورة النساء:

-«وخلق منها زوجها»..

وعن نشرة أصدرها «صندوق الأمم المتحدة للطفولة» أن امرأة تتوفى كل دقيقة خلال الحمل، أو الولادة؛ حيث يموت في العالم حوالي ٥١٥ ألف امرأة كل عام، وتحدث ٩٩٪ من هذه الوفيات في الدول النامية..

ولا تناط القوة، والضعف ببنية الجسد، وقوته فقد أكدت الأبحاث العلمية حكمة ارتباط الخصائص التشريحية للجسم البشري بالغرض من خلقه، وتكوينه على هذا النحو المتباين في تعزيز الشراكة الحياتية لكل من الرجل، والمرأة لتحقيق ثلاثة أمور أساسية هي؛ التناسل، والانتشار، والإعمار، فإذا كان الرجل يتباهى بقوته الجسدية فإنه لا شك يحسد المرأة لقدراتها على فعل أشياء تعجز قوته

●● الجنس الثاني ●●

الجسدية، وتركيبته الذكورية عن الإتيان بها مثل الحمل، والولادة، والأمومة فهي على حد تعبير المحللة النفسية الأمريكية «كارين هوري» كلها أنشطة تنطوي على المشقة، والجلد، والصبر، وقوة الاحتمال رغم ما يبدو عليها من وهن..

وبعد ظهور علوم الغدد الصماء، واكتشاف إفرازاتها، ودراسة تأثير تلك الإفرازات على شخصية الإنسان؛ بل وعلى جنسه لم يعد هناك مبرر للتمييز العنصري الذي يزكّيه أنصار تحرير المرأة، وعدم التمييز ضدها، وما إلى ذلك، فكلا الجنسين فيه صفات من الجنس الآخر، وتزيد الصفات، وتنقص على طول مراحل العمر، ولعلنا نذكر في هذا صدق الرسول الكريم عندما أخبرنا بهذا قبل ظهور هذا العلم بما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان؛ عندما قال:

-«النساء شقائق الرجال»..

امراة العربية

في اليونان القديمة أعلن أرسطو - أحد رموز الحضارة الإغريقية - أن العبودية أمر عادل تتطلبه طبيعة العبد، وطبيعة المرأة، وعليه قسم الموجودات إلى قسمين: الأشخاص؛ وهم الرجال الملاك الأسياد..

الأشياء؛ وهم العبيد، والنساء، والحيوانات..

تتحدث «ماجدة مهنا» بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٨ من ديسمبر ٢٠٠١ عن المرأة، والزوجة اليابانية التي تتساوى بالرجل؛ لكنها مساواة على الورق فقط، فهي تقل عنه في المرتب بمقدار ٤٠٪، وأنها لا بد أن تذهب إلى العمل قبل زميلها الرجل بنصف ساعة لترتيب العمل لها، ولزميلها؛ حتى إنها تخدمه أثناء العمل إذا احتاج إلى كوب من الشاي، أو غيره، أما في البيت فهي السيدة الآمرة التي تتولى أمر البيت، والأولاد، وليس للزوج سوى القيام بالأعباء المالية، والعمل طول النهار، ولا يأتي البيت إلا من أجل النوم، والاستيقاظ مبكراً للعمل في الصباح..

وعن المرأة اليابانية تقول قرينة السفير المصري في طوكيو «ياسمين كارم» في جريدة الأهرام الصادرة في ١٩ من أبريل ٢٠٠٢ إنها مطيعة، وتخدم الكبير، ونظيفة، وتغرس كل القيم الخيرة، والنبيلة في نفوس أبنائها، والمرأة اليابانية هي «سى السيد» في بيتها، وتتكفل بكل ما يحتاجه البيت؛ فالزوج لا علاقة له بشئون بيته، وقد يكون هو أيضاً «سى السيد» ولكن خارج البيت، ويقوم بتسليم دخله الشهري لزوجته للتصرف به في إدارة البيت، ولا يحتجز غير مصروفه فقط حتى إن الزوجة اليابانية إذا عاشت مع أسرة زوجها فهي تتولى أيضاً شئون أسرة الزوج..

وتحصل المرأة على نصف أجر الرجل في الولايات المتحدة..

من مقال نقلته جريدة أخبار اليوم في ٢ من مارس ٢٠٠٢ بقلم كل من جاكلين جاكسون، وجورج برومبرج جاء فيه:

-لماذا تصطف الأمريكيات من ذوات البشرة البيضاء بأعداد كبيرة أمام عيادات التجميل؟.. لماذا يسلمن وجوههن لمشرط الجراح، أو أجسادهن للمواد السامة تحشرها حشراً حتى تصلح ما أفسده الدهر؟.. لماذا لا تنزعج كل منهن عندما تنفق ١٠٠ دولار شهرياً لتحافظ ببشرة ناعمة، وجميلة خوفاً من الترهل، أو تصلب الملامح، أو زحف التجاعيد..

الاحتفاظ بالجمال هو من أبرز ملامح الثقافة الأمريكية لتسويق المرأة الباحثة عن القوة، والتأثير، والنفوذ في المجتمع الأمريكي للتغلب على الخوف من التهميش، والتجاهل، والشعور بالإهمال. فالمرأة التي تتجاوز الخمسين هناك أقل تأثيراً ممن هي في ربيع العمر، ومن الصعب في هذه السن أن تحتفظ بمنصب قيادي في مجال البيزنس، أو الجامعة، أو الطب، أو الإعلام، أو الترفيه، ونادراً هو من لديه الشجاعة لتوظيف هؤلاء النسوة اللاتي يتمتعن بالخبرة، وحكمة السنين..

وعلى الرغم من الامتيازات العديدة التي حصلت عليها المرأة الأمريكية خلال السنوات الماضية؛ إلا أن جمال الشباب له سحره وبهاؤه، ويبقى هو الشكل المثالي لقوة حواء، ونفوذها، وتأثيرها.. ولكن سوق الجمال الأمريكي يفتقد إلى العدل، وتكافؤ الفرص حيث إن ٧٥٪ من الأمريكيات التي يتقدم بهن العمر من طبقة الفقراء، وهي التي تحتاج مالياً وفيراً في السن المرتفعة للاحتفاظ بالجمال، والرشاقة ولا يستطيعن إلا نساء الطبقة الغنية للاحتفاظ بجمالها، ورشاقته لفترة أخرى من العمر، وهذا ما يؤكد ظهور بعض نساء المجتمع الأمريكي على غلاف المجلات الشهيرة أحياناً لمجرد أن صاحبته ثرية استطاعت بمالها إخفاء التجاعيد، وطمس التجاوبف، وضخ كميات هائلة من الضوء على وجهها ليبدو مشرقاً وضاءً، أليس في المجتمع الأمريكي عناصر أخرى غير الجمال مثل الإبداع، والكفاءة، والقدرة؟..

ويتحدث د.حامد عمار في أهرام ١١ من فبراير ٢٠٠٥ عن رئيس جامعة هارفارد الأمريكية «هـ. سمر H.Summer» الذي دعى إلى مؤتمر نظمه المكتب القومي للبحوث الاقتصادية في مدينة «بوسطن»، وفي أثناء حديثه خلال جلسة من جلسات المؤتمر أدلى برأى يفسر به ظاهرة عدم إقبال الطالبات، وتخلفهن في مجالات العلوم، والرياضيات فينسبها في اعتقاده إلى فروق وراثية بين الإناث،

●● الجنس الثاني ●●

والذكور من الطلاب..

وما إن بلغ هذا التفسير مسامع اللجنة الدائمة لشئون المرأة في كلية الآداب والعلوم بالجامعة حتى بادرت بعقد اجتماع انتهى بتوجيه خطاب إلى رئيس الجامعة في لهجة عتاب، واستنكار، وفي عبارات مقتضبة تضمن خطورة التفسير في تصريحه؛ حيث إن ملاحظتك خلال المؤتمر لا تخدم رسالة مؤسساتنا؛ بل إنها تمثل ضربة موجعة لجهودنا في اجتذاب أساتذة، وطلاب في المجالات العلمية، وأن مثل هذه الآراء تفرز تيارا في ثقافة المؤسسة بجامعة هارفارد يدأب في سعيه إلى إقامة عديد من العراقيل لتمثيل العنصر النسائي في الكلية، وتبعث مثل تلك الآراء في أحسن التقديرات بإشارات، ورسالة مختلفة إلى الطالبات المتميزات، وإلى الخريجات من كلية هارفارد، ومن غيرها من مؤسساتنا الأكاديمية، والمهنية..

ورغم اعتذار رئيس الجامعة، وتصريحه في الصحف، ووكالات الأنباء أن ما قاله رأى شخصي اشتبكن معه مرة أخرى، ولكن بمشاركة ٥٠ رجلا هذه المرة من أساتذة الجامعة..

عرضت عايذة رزق في عامودها «فتنازيا» بالأهرام في عدده الصادر في ١٦ من نوفمبر ٢٠٠١ مقال كتبه «جوان بيرشتاين» الأستاذة بجامعة سيراكوز الواقعة شمال نيويورك بعنوان «التربية الناقدة من منظور المساواة بين الجنسين» انتقدت فيه كتاب «هنري بيركنسون» بعنوان «تعليم بغير أهداف» الذي ترجمه إلى العربية د.عبد الراضي إبراهيم، ثم تحدثت عن التمييز في أمريكا بين الأولاد، والبنات فسأقت واقعتين إحداهما لأستاذ مادة الإحصاء في إحدى الجامعات الأمريكية عندما اعترضته إحدى الطالبات بسؤال فيما يشرح فاعتذر بأن الإجابة معقدة، وتحتاج إلى وقت طويل، وعندما سأل طالب نفس السؤال بعد قليل بطريقة أخرى بادر بالإجابة المطولة في الحال، والواقعة الأخرى كانت في إحدى مدارس الأطفال عندما سألت المدرسة وأجاب ولد، وبنيت بتخمينات خاطئة؛ فاتجهت المدرسة إلى الولد وشرحت له الإجابة الصحيحة، بينما لم تجد البنت منها أي اهتمام، وتذكر المؤلفة أن هذا يحدث مئات المرات في المدارس، والجامعات الأمريكية، كما تنوه أنه أينما وجهت نظرك إلى أي مكان في الولايات المتحدة تجد التمييز الصارخ للعرق، أو الطبقة الاجتماعية، أو اللون فما بال الجنس على الرغم من دخول الولايات المتحدة بأنفها في شئون كل شعوب العالم، تحت شعار حقوق الإنسان التي تنتهكها الولايات المتحدة جهازا نهارا داخلها، وخارجها..

تحرير المرأة

أيتها المرأة انتبهى.. لقد بدأ عصر خطير اسمه «عصر الرجل»..

هكذا حذر مصطفى محمود المرأة في كتابه «في الحب والحياة»..

فلم تكن المرأة قبل هذا العصر في حاجة إلى أى مجهود لاجتذاب الرجل، فهو دائماً منجذب إليها بغريزته، يتلصص عليها؛ فيظل واقفاً بالساعات في الشارع، على أمل أن يظهر ظلها من خلف المشربية التي صنعت خصيصاً لكي ترقب هي كل من في الشارع، ولا يراها أحد، أو قد تظهر يدها وهي تمدها إلى صينية القل، أو إلى أصيص الزهر، وكان الطريق الوحيد للوصول إليها هو الزواج الصاخب، والمباغت للطرفين..

ولكن كيف تغير الحال؟..

نشأ زعماء النهضة النسائية، وتربوا في عصر الحریم، والحرملیک؛ فعندما اجتاحت الأتراك العثمانيون العالم العربي، وجعلوا أنفسهم خلفاء، وأمراء على كافة العرب، والمسلمين، بعد أن اكتسحت جيوشهم بعض البلاد الأوروبية التي كانت فيها المرأة ملكاً مستباحاً للاقطاعي صاحب الأرض، حتى لو كانت متزوجة من أحد الفلاحين، أو الأقتان - كما أطلقوا عليهم في أوروبا العصور الوسطى - ولأن عصرهم (الأتراك العثمانيين) كان نكبة على مستعمرهم حيث تميز بالفتن، والمؤامرات، والبدخ، والترف الزائد الذي كان من سماته المميّزة المرأة، التي حرصوا على أن تبقى جاهلة، متخلفة لتكون أداء فقط للمتعة، والمؤامرات يوجهونها حيث يشاءون، فأنشأ لها الحكام القصور الخاصة، ثم تبعهم المحكومون بتخصيص الحرملیک، فأضافوا إلى جهلها، وتخلفها السجن بين الجدران الأربعة كتحفة، أو قطعة من الأثاث، وكان معهن الجوارى ذوات التربية الخاصة التي بموجبها تفعل ما تؤمر دون

اعتراض، حتى إنها تنسى أهلها، ومعارفها، ولا يكون لها من الدنيا سوى سيدها الذى اشتراها، أو أهديت إليه؛ فانسحب هذا الأمر العبودى على الزوجات، والبنات الأحرار، ولا مانع لها من رؤية الرجل إذا كان سيحرسها، ويسليها، أو يقوم بالأعمال الشاقة التى لا يستطيع الإماء القيام بها بشرط أن تُنزع منه رجولته(حَصَى) بلا ذنب جناه سوى أنه عبد يُباع، ويُشترى، فيقوم من اشتراه بالتحكم فى غريزته من أجل من يتحكم فيهن من الحريم..

وإذا ما أكرمها بشيء من التعليم فهو فقط لحسن الهندام، والأحاديث المنمقة، وطريقة المشى، والوقوف، والجلوس(ما يطلق عليه الآن فن الاتيكيت)، وحفظ، وإلقاء بعض الأشعار لإرضاء سيدها عندما تسرى عنه، وعن ضيوفه فتتحفه بما تعلمت لتتميز قليلا عن تلك التى جعلوها للمتعة، والولادة فقط، وكل هذا - فى النهاية - لحساب النخاسين لزيادة أسعار بيع الجوارى المتميزات..

كانت تلك هى البيئة التى ظهرت فيها أفكار «قاسم أمين»، وزعيمات النهضة النسائية، وهى بيئة تتميز بالاستبداد عموما؛ بيئة استعمار، واغتصاب، وقد كانت المرأة على مر العصور هى أولى مظاهر الخضوع للمغتصب، فما بال الدولة(التركية العثمانية) التى جثمت على مقدرات المنطقة العربية قرابة أربعة قرون من الزمان، وكان همها الدائب حجب رعاياها عن نسمة هواء، أو طاقة ضوء، فما بال المرأة، وفى هذا الجو طرح قاسم أمين(ذو الأصل التركى)، رأيه عن المرأة، ووضع المرأة متشعبا بفكرة تحسين حالة المرأة، غير أنه بدا من كتابه أنه يجهل حقيقة المرأة المصرية(التي نشر أفكاره فى بيئتها) جهلا تاما..

وإذا طالعنا حياة زعيمات النهضة النسائية وعلى رأسهن «هدى شعراوي»، ونشأتهن نجد أن هناك صفات مشتركة بينهن؛ وهى الحقد على مكانة الرجل، وكراهية تميزه، فقد أشارت فى مذكراتها إلى المقارنة الدائمة بينها، وبين أخيها الأصغر، وكراهة أنوثتها لحرمانها من التعليم، والحرية التى ينالها الولد - دوغما ذنب للولد فى ذلك - ومن الصفات المشتركة أيضا محاولة تقليد الرجل فى كل شيء، حتى فى رجولته، والمطالع لكتاب د.نوال السعداوى «مذكرات طبيعية» يلحظ مقدار هذا الحقد العنصرى، وسرورها الطاغى وهى تقوم بتشريح جثة أحد الرجال، التى أودعت بين يديها كأمانة علمية، عليها تجاهها أمانة العلم، والطبيب الذى يأمنه الإنسان على جسمه، وعرضه، فهؤلاء الزعيمات لم ينلن درجة التعليم التى وصلن إليها إلا عن طريق الرجل، متمثلا فى الأب، أو الأخ، أو الزوج، أو كلهم معا.. ويلاحظ الدكتور فخرى فرج من كتابه «المرأة وفلسفة التناسليات» إصابتها بثلاثة أمراض عندما

●● الجنس الثاني ●●

اندفعن لتطبيق أفكار قاسم أمين لتحرير المرأة؛ الأول تعصبهن الأعمى «لجنس المرأة» (العنصرية الممقوتة)، والثاني الحكم على كل النساء من واقعهن، وظروفهن، وتعليمهن دون النظر إلى واقع الأخريات، وظروفهن، أما المرض الثالث فهو الرغبة في الزعامة، والغرور بتلك الزعامة، أما من جاروهم من الرجال فانقسموا إلى ثلاث طوائف، الأولى شعرت بضعفها عن الظهور وسط الرجال؛ فبحثوا عن الزعامة وسط النساء بتبنى أفكار الحركة النسائية، مع عدم إيمانهم بتلك الأفكار، ولا يطبقونها في حياتهم، والثانية تؤمن بهذه الأفكار، وتتفهمها، ولكنها لا تتخلى في الوقت نفسه عن استبداد الرجل، وحقه في حبس المرأة، فالطائفة الأولى، والثانية تظهر صداقتهما للمرأة، وتملقها، والثالثة لا تدرى شيئا عن هذا، ولا ذاك اللهم إلا إذا بدا أن هذه المبادئ، والأفكار يمكن أن تخدم مصالحهم الشخصية فقط، ولا تهمهم المرأة في شيء، ولكن السؤال بعد كل هذه الضجة، وافتعال القضية؛ أين هي المرأة من كل هذا؟!..

ويتحدث د.يوسف مراد عن نصيرات تحرير المرأة في كتابه «سيكلوجية الجنس»:

-«وإننا لا نبالغ إذا قرنا أن بعض الحركات التحريرية؛ التي يدعو إليها بعض زعيمات الأحزاب النسائية المتطرفة، صادرة عن عقد نفسية لم تجد حلها الطبيعي، فصارت تبحث عن وسائل التعويض في ميادين تفرض على المرأة أعباء لا تتلاءم مع طبيعتها؛ فهي وسائل تعسفية للتعويض إن أرضت المرأة في بادئ الأمر، فإنها لا تلبث طويلا حتى تضيف ألوانا جديدة من الشقاء إلى الشقاء الذي تعانيه نتيجة لجهل المربين، أو لما يعانيه - هن - أنفسهن من انحرافات نفسية»..

وينوه العقاد عن هذه القضية في كتابه «هذه الشجرة»:

- «ولكننا لا نعرف استغلالا للمرأة هو شر من استغلال قضيتها في ترويج المذاهب الاجتماعية التي تهدم الأسرة، وتبطل المرأة باسم المساواة بين النساء، والرجال؛ فهذه القيم التي هي مكسب الحياة النفيس من مخلفات الزمن القديم هي الثروة التي يعصف بها بعض الدعاة حين ينكرون الأسرة، وينكرون الفوارق بين النساء، والرجال، وعزا إلى كارل ماركس، وأتباعه نظرتهم إلى الأسرة فأنكروا فضلها من خلق الأواصر، والعواطف، وتوليد الحقوق، والواجبات بين الأفراد من الأقرباء، والبُعداء، ولم يعرفوا لها إلا أنها أعانت الاستغلال في عصور الإقطاع خاصة؛ فارتبط بها نظام الميراث، وقامت عليها قواعد الملك، والادخار، والتوريث، وتعاقب السادة من النبلاء، والفرسان»..

ويقول أيضا في كتابه «الإنسان الثاني»:

● ● الجنس الثاني ● ●

-«هذا المجتمع معركة ضروس، والنساء فيه آسيات جروحه، وضامدات كلومه، وجابرات كسوره؛ فكيف به وقد طرح آسياته المراهم، واللفائف، وتبدلن بها الخناجر، والقدائف، ثم برزن للنضال بين المتناضلين»..

إن عقدة «احتقار الجنس» هو منهج حياة زعيمات الحركات النسائية، وهن لا يحتقرن جنسهن فقط، بل يحقدن على مكانة الجنس الآخر؛ جنس الرجال، فالرجال هم الذين يحكمون العالم، وهم أبطال التاريخ، والروايات، والأساطير، والسير الشعبية، وكلهن يتقمصن أفكار «سيمون دى بوفوار» الثائرة على جنسها، وعلى جنس الرجال أيضا، والتي تقول:

-«إن آلهة الرجل كائنون في سماء بعيدة، وحتى لكأن ليس له في الحقيقة من آلهة، وأما بالنسبة للفتاة الصغيرة فإن الآلهة ذوو وجوه بشرية، وهى تحيا معهم تحت سماء واحدة»..

وإذا نظرنا للعالم بعد «النهضة النسائية» التى أوصلتنا إلى الدفع بالمرأة إلى أحط المواقف، وأقسى الظروف، بل أوصلتنا إلى تكليفها بمشاركة الرجل في نشاط الحياة الصناعية، بدرجة تعجز معها - بطبيعتها - عن القيام بأعباء جهدها الجسدى، كما أوصلتنا إلى «شقاء الطفل»، وبؤسه بدليل ازدياد أعداد «الأطفال غير الشرعيين»، والمتسربين من التعليم ليلجأوا إلى العمل في سن صغيرة لاكتساب معاشهم، وازدياد عدد أولاد الشوارع، ولم تؤد هذه النهضة أيضا إلى تحسين «حالة الأرامل»، بل إلى دفعهن بأطفالهن إلى أسواق البغاء لاكتساب ما يقتتن به، وما يغذى أطفالهن، ولم توصلنا إلى تحسين «حالة الخادومات»، بل قذفنا بالفتيات، والشابات في قصور، ومنازل الأغنياء لتمتلى بطونهن بثمار ملذاتهم، ثم يقذفون بهن في الشوارع، ليُلدن أطفالا حكموا عليهم سلفا بأن يصيروا لقطاع، ولم تخفف هذه النهضة وطأة فتك «الأمراض التناسلية» لكثافة انتشار البغاء العلنى لدرجة إنشاء نقابات للعاهرات، ومعاش عند التقاعد..

كتب محمد عيسى في مجلة «الأهرام العربى» بتاريخ ١٧ من مارس ٢٠٠١ مستهلا مقاله بسؤال:

-«هل تأتى نهاية العالم على جناح الجنس؟..»

فالأرقام، والإحصاءات، والحقائق تؤكد أن «الدعارة» أصبحت نشاطا عالميا رسميا، وأن ممارسة البغاء تحولت في دول عديدة إلى مهنة معترف بها، لها قوانين، وأنظمة، وتديرها شبكة ضخمة، ولكن الجديد أن دولا عديدة باتت تلجأ إلى تقنين الدعارة بهدف محاربة شبخ البطالة، والفقر، فبدلا من بقاء النساء في البيوت بلا عمل، فلماذا لا يخرجن ليبيعن أجسادهن لكل الرجال؟..

●● الجنس الثاني ●●

فقد عقد أخيرا في العاصمة الألمانية المهرجان الدولي الأول من نوعه «للمومسات» للاعتراف ببيع أجسادهن كمهنة، ورفع الحاضرات شعار «العمل بشرف»، وطرحن الأوضاع السيئة التي يعشنها، وطالبن بضرورة إنشاء نقابة تحميهن..

وتبلغ عائدات هذه التجارة المليارات من الدولارات سنويا، ففي اليابان مثلا تقدر عائدات تجارة الجنس بنحو ١٪ من إجمالي الناتج القومي، وهو ما يعادل ميزانية الدفاع، وفي هولندا ٥٠٠ مليون، أما تايلاند فتصل إلى أعلى المعدلات فيما بين ٢٢,٥ - ٢٧ مليار سنويا، وقد أثارت هذه الأرقام قلق مسئولى الصحة بالأمم المتحدة خوفا من أن يؤدي ذلك إلى تزايد حالات الإيدز.. وللإيدز حديث ذو شجون نشره أحمد بهجت في ملحق الأهرام الأسبوعي «صندوق الدنيا» الصادر يوم ١١ من مايو ٢٠٠١:

-«خمسة وثلاثون مليون مريض بالإيدز في العالم نصفهم من إفريقيا، حيث تصل نسبة الإصابة في أواسط إفريقيا إلى ٢٥٪، وفي أمريكا إلى ٢٪، ويمثل ضعف العدد مقارنة بأوروبا الغربية، أما أوكرانيا، وروسيا فتصل الإصابة إلى ١٪، أما مصر فمعدل الإصابة بها ٢٪، والعلاج المتاح لوقف فيروس الإيدز متوافر فقط في أمريكا، وأوروبا حيث يتكلف العلاج عشرة آلاف دولار سنويا أى ما يعادل ٢٠٠ مليار دولار سنويا للقارة السوداء»..

وعن علاقة الدين بهذا الوباء في تحقيق نشرته مجلة الأهرام العربي في ٢٤ من مارس ٢٠٠١ عن «ملك اليمين» كتبت يسرا زهران على لسان الشيخ «خالد الجندى» عضو لجنة الدفاع عن الإسلام في وزارة الأوقاف المصرية:

-«إن الرق (رق المرأة) موجود بالفعل في المجتمع الحديث ولو بشكل غير مقنن، وصوره كثيرة مثل «زواج المتعة»، و«الزواج العرفي» بغير ضوابط، وتفشى ظاهرة البغاء، وسباقات ملكات الجمال، وعندما تستخدم المرأة في إعلانات البيع بدءا من فرشة الحلاقة، وانتهاء بالدبابات، وعندما يزوج أحدهم ابنته التي لا تكاد تبلغ من العمر عشر سنوات إلى شيخ طاعن في السن من الأثرياء، وهذا نوع من الرق المدون بأوراق رسمية»..

ويعلق أحمد بهجت بملحق جريدة الأهرام صندوق الدنيا في ٢٠ من أبريل ٢٠٠١ على خبر نقلته وكالات الأنباء عن:

-«إقلاع سفينة تقل ١٨٠ طفلا من «بنين» بإفريقيا، وقد بيعوا كعبيد في بلادهم بسبب فقر أسرهم،

●● الجنس الثاني ●●

وحاجتهم إلى المال.. بأن هذا لم يكن جديداً على إفريقيا، فقد حدث هذا في القرن الثامن عشر، وخلال عشر سنوات عندما أقلعت سفن ميناء أوروبا واحد هو «ليفربول» نحو ٩٠٠ مرة لجلب الرقيق، فاصطادت ثلث مليون رأس قيمتها ١٥ مليون جنيه، وكان ربحها الصافي ١٢ مليون جنيه، وكان تاجر الجملة المختص يشتري الإفريقي بثمانية جنيهات، ونصف، ويبيعه بأربعين جنيهًا، وكان ذلك ثمن الإنسان في إفريقيا، ترى كام ثمنه اليوم؟..

لم يقدم «قاسم أمين» شيئاً لتحرير المرأة بقدر ما قدم أدلة كثيرة عن وجوب تحرير المجتمع المصري ككل، وهو ما اتخذ ظاهراً جانب المرأة، الأمر الذي أثار المجتمع عليه في هذه الفترة المتحفزة لكل ما هو أجنبي مستورد، فقد تمثل فكر قاسم أمين في الهجوم على النظام الإقطاعي البالي، والترويج للأفكار البرجوازية..

أورد طلعت حرب في كتابه «تربية المرأة والحجاب» في الرد على كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة» أسباب الهجوم الضاري على قاسم أمين:

١ - ظهرت بالصحف مقالة بالإنجليزية ترجمتها إلى العربية «مجلة المقتطف» لأحد علماء الهند المسمى القاضي «أمير على» يدعو فيها لمثل ما يدعو له قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة»..

٢ - نوقش قاسم أمين في هذه الأمور النسائية عندما كان يتعلم في أوروبا، ولكنه لم يحفل بها، ولم تؤثر عليه بدليل أقواله، ومدافعاته عن حالة المرأة المسلمة، واحتجاجها في مؤلفه «المصريون» الذي رد به على كتاب «دوق داركور»، وهي الآراء التي طرح نقيضها تماماً في كتابه «تحرير المرأة»..

٣ - استياء المصريين من الغرب بصفة عامة بمدنيته، ونظمه الاجتماعية، والتي كان يمثلها الاحتلال الإنجليزي طيلة ١٨ عاماً دون أمل في تحقيق الإنجليز لادعائهم أن وجودهم بمصر يعد احتلالاً مؤقتاً، مما حدا بالمصريين بالتمسك بعاداتهم الموروثة، حتى كرهوا تعليم البنات، والتمسك بحجاب المرأة في البيوت، وخارجها، كشيء من التمسك العنيف بالجذور، والتشبث بالمرورث، وتعنيف من أراد غير ذلك، متهمين إياه بمجارات الاحتلال..

ولذا يرجح د.محمد عمارة في كتابه «قاسم أمين وتحرير المرأة» أن تكون هذه الآراء قد كتبها الشيخ «محمد عبده»..

يقول محسن محمد في عدد الجمهورية الأسبوعي الصادر يوم ١٥ من سبتمبر ٢٠٠٥:

-«اعتبرت الجمعيات النسائية في العالم أن المرأة تحررت حقيقة لا يوم حصلت على حقوقها

●● الجنس الثاني ●●

الدستورية للتصويت، والترشيح في البرلمان؛ بل يوم ظهرت حبوب منع الحمل، فالمرأة - يومئذ - أصبحت صاحبة الحق الوحيدة في التصرف في جسدها، تملك أن تحمل، وتلد، وتملك أن تمتنع عن ذلك بإرادتها وحدها سواء عرف زوجها، أو أخفت عنه»..

في أحدث بحث علمي أثار سخط أصحاب المحلات، والتجار - الإنجليز خاصة - نشرته «المجلة الطبية البريطانية» في صيف ٢٠٠٤ يحذر السيدات، والفتيات صغيرات السن من ارتداء الملابس القصيرة، والعارية خاصة فترات النهار لاحتمالات إصابتهم بمرض عضال يصيب الجلد وهو «الميلانوما الخبيثة» يعد من أندر أنواع السرطان، والمصابات به في تزايد مستمر خاصة من هن في مقتبل العمر..

ويبدأ المرض بإصابة الساق المعرضة لأشعة الشمس فوق البنفسجية فترة طويلة، فيبدأ بتكوين بقعة صغيرة سوداء اللون متناهية الصغر في الساق، أو القدم حيث لا تفيد الجوارب الشفافة، أو الثقيلة في الوقاية منه، ثم تبدأ البقعة في الانتشار في أماكن مختلفة؛ حتى تصل إلى الغدد الليمفاوية بأعلى الفخذ فتغزو الدم، وتستقر بالكبد لتدمر خلاياه، وتوقف عمله، أو تستقر في العظام، أو الأمعاء، أو الكليتين، وينتقل المرض أيضا إلى الجنين في بطن الأم الحامل، ولا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقي أنواع السرطان حتى إنه لا يستجيب للعلاج بجلسات الأشعة..

أفكار سيمون دي بوفوار كدراسة لدعاة حركة تحرير المرأة:

ولدت «سيمون دي بوفوار» في فرنسا سنة ١٩٠٨ وهى رائدة الأفكار التى يتبناها، ويردها كل المتعصبين لجنس المرأة، تقول فى كتابها «الجنس الآخر» سنة ١٩٤٩:

- «المرأة لا تولد امرأة؛ بل تصبح امرأة، بمعنى أن المجتمع هو الذى يضع المرأة فى قلبها الأنثوى، وليست الطبيعة، أو البيولوجيا»..

وهى تردد ما قاله «سيجموند فرويد» من قبل «Anatomy is destiny»، وجاء علم الوراثة الحديث ينفى ما قاله هذا، وذلك؛ مؤكدا أن الصفات الجنسية موزعة بين طرفى البشر الرجل، والمرأة، كما نادى بهذه الأفكار أيضا كاتبة سابقة عنها ولدت بإنجلترا عام ١٨٨٢ تدعى «فرجينيا وولف»، وقضت أيامها الأخيرة مع المرض النفسى حتى ماتت منتحرة سنة ١٩٥٤..

●● الجنس الثاني ●●

عرفت هذه المرأة كإحدى دعاة حركة تحرير المرأة من حملتها ضد الزواج، والأسرة كنظام اجتماعي كنتيجة «لعقدة الذكورة»، والنظرة القديمة إلى الجنس، والثورة على كلمة أنثى، ونظرة الصلة بين الجنسين كصلة تفضيل، لا تكميل، وتمحور آراؤها في هذا الشأن حول هذه الأفكار:

- الزواج نظام اجتماعي فاشل(الرغبة من التحرر من تبعات الزواج، ومسئوليته، أو السأم من الحياة الزوجية)..

- الزواج يقضى على شخصية المرأة، ويحيلها إلى كائن تافه، عديم الأهمية..

- اكتمال نمو المرأة الجسمي، والنفسي لا يكتمل إلا بالأمومة؛ لذا يجب السماح للمرأة بالفصل بين حياتها الزوجية، وحياتها الجنسية(المصلحة الفردية تغلب مصلحة النوع)..

- الزواج يقتل الحب..

- الزواج ما زال هو المستقبل الوحيد الذى ينتظر المرأة، وأن علاج هذا الحال لا يكون إلا بمنح المرأة حرية اقتصادية، وجنسية تجعلها على قدم المساواة مع الرجل..

- انخفاض مستوى المرأة العقلى، والاجتماعى بسبب انحصارها في دائرة ضيقة لا تخرج عن أعمال التدبير المنزلى، والحياسة، والطبخ، والتعامل مع الأطفال، والخدم..

- تعيش المرأة في هم مقيم، وحياتها سلسلة من الانتظارات؛ انتظار الحب، وانتظار الزواج، وانتظار ولادة طفل، فهى تنتظر من الرجل أسباب حياتها، ومبررات وجودها..

حقوق المرأة:

يرى العقاد في كتابه «هذه الشجرة» أنه ليس من المهم أن تتساوى المرأة مع الرجل في الحقوق، والواجبات، ولكن المهم أن تكون حقوقها مساوية لواجباتها؛ بمعنى أن تكون لها مثل ما عليها كما نص كلام الخالق:

-«ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» البقرة(٢٢٨)..

وهذه الدرجة ينفرد بها الرجل دونها، وهى درجة الإشراف على الحياة العامة، ودرجة العدل عند التفرد بحق تعديد الزوجات، والمخالفة التى يراها العقاد فى الجنسين تساير فطرة الله التى فطر الناس عليها، ونوه عنها فى القرآن الكريم بقوله:

●● الجنس الثاني ●●

-«وما خلق الذكر والأنثى (٣) إن سعيكم لشتى(٤)» الليل..

نقل الشيخ محمد الغزالي في كتابه «قضايا المرأة» عن «مستر جاك سترو» المتحدث الرسمي لشتون التعليم بحزب العمال البريطاني قوله:

-«وهناك جهل شبه تام بدور المرأة في اللاهوت الإسلامى، وفي تاريخ الإسلام نفسه، وعند التأمل نرى وضع المرأة المسلمة أهم من وضع المرأة اليهودية، أو النصرانية في الأيام الماضية، ثم إن النبي محمدا أعطى النساء حق الإرث في كل الممتلكات قبل أن تفعل ذلك الحكومة البريطانية بثلاثة عشر قرنا»..

وقد ذكر الغزالي هذا في معرض حديثه عن أوضاع المرأة في الإسلام المستقاة من أصلى التشريع «القرآن»، و«السنة»، والتفسيرات التى وضعها الشراح ليضعوا المرأة في قوالب عصورهم المضطربة، وتقاليدهم المتوارثة دون استلهاهم روح الدين الصحيح، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم التى وصفته زوجته السيدة عائشة بأنه كان «قرآنا يمشى على الأرض»، فيقول مثلا أن النبي أوصى أن تذهب النساء إلى المساجد تفلات، أى غير متعطرات، ولا متبرجات، ولكن القسطلاني فى شرحه للبخارى يرى أن تذهب إلى المساجد بثياب المطبخ، وفيها روائح البقول، والأطعمة، ويرى غيره ألا تذهب بالمرءة على خلاف قول النبي، وكأنه لا يعجبه..

ويرى الغزالي أيضا أنه فى كل عصر توجد نسوة نوابغ متقدمات قارئات فقيهاات جعلن بيوتهن مساجد عامرة بالخير «فأم ورقة» أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها كما روى الصنعاني عنها فى الحديث، وهل تحتفى المرأة بدين يحرم عليها الكتابة كما روى الحاكم فى حديث المستدرک، أو حديث صاحب الزوائد أن المرأة لا ترى رجلا، ولا يراها رجل، وغيرها من الأحاديث الموضوعة، والمتروكة التى حكمت بها المرأة قرونا وصلت بها إلى قمة الجهل، والخرافات فلم تظهر بعد صدور الإسلام العاملات المتصوفات، وراويات الحديث الشريف، تلك الفترة التى شهدت فيها المرأة «بيعة العقبة»، وكانت تصلى الصلوات الخمس بالمسجد، ويشاركن فى معارك النصر، والهزيمة، ويأمرن بالمعروف، وينهين عن المنكر..

تولت الصحابية «السمراء بنت نهيك الأسدية» الحسبة(تشتمل على شئون الأسواق التجارية) بمكة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تولت الحسبة فى عهد عمر بن الخطاب «شفاء بنت بنى عدى»، وهى ثانى امرأة فى الإسلام تتولى شئون الحسبة، والأسواق..

واجه الدكتور طه حسين معركة نشبت ضده بعد أن أذن لعدد من الطالبات بدخول كلية الآداب عندما كان عميدا لها، يقول قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة»:

-«سبقت الشريعة الإسلامية كل شريعة أخرى في مساواة المرأة بالرجل؛ فأعلن الإسلام حريتها، واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، ومنحها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية، من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها، أو زوجها، وهذه المزايا لم تصل إليها حتى الآن بعض الغربيات»..

ليس للمرأة عندنا وزن ثقافي، ولا سياسى، ولا دخل لها في برامج التربية، ونظام المجتمع، ولا مكان لها في صحن المساجد، ولا ميادين الجهاد، وإن كان لا تسلط الأضواء إلا على الراقصة، أو الممثلة، أو عارضة الأزياء، وكأن لا دور للمرأة في حياتنا إلا الإغراء، وإثارة الغرائز.

من هنا كان ظهور الحركة النسائية مقترنا بحركة العمال للاستحواذ على السلطة، فاحتضنت حركة النساء، ومبدأ التساوى مع الرجل في حقوق، وواجبات العمل..

لقد كان الهجوم الشامل الذى قوبل به كتاب قاسم أمين عن تحرير المرأة من قبيل البدييات في مجتمع إقطاعى يحتمى بنصوص دينية استخلصها لهذه الطبقة رجال دين موظفون لديهم، وهى الطبقة التى كادت تخرج من عصر الجوارى؛ بل كان العصر مازال يحتفظ فيه البعض بالجوارى، فجاءت دعوة قاسم أمين بعد انتهاء هذا العصر لتجرد الرجل مما بقى لديه من حريم (أكثر من زوجة)، ويضع حدا للطلاق المتكرر، وهما من أهم القضايا التى ناقشها فى الكتاب، وهوجم من أجلها، أما الحجاب وهو القضية الثالثة فمعناه سفور المرأة، وقد توجس المهاجمون من الفكرة لأن السفور ليس ماديا كما قصد إلى ذلك قاسم أمين؛ بل من الممكن تخطيه إلى السفور المعنوى فى الروح، والأفكار..

قسم د.محمد عمارة تراث العرب، والشرق من حيث نظرتة للمرأة إلى تيارين رئيسيين متمايزين، فإذا وجدت الحركات الفكرية العقلانية، أو الثورية التقدمية وجدنا للمرأة دورا ملحوظا فى صفوفها، كما يشوب حديثهم الكثير عن المرأة، ودورها فى الحياة كما نلاحظه لدى المعتزلة، والخوارج، وبعض فرق الشيعة، وإذا وجد القهر، والتخلف حيث السهم الأكبر له تبرير مظالم الحكم، وإضفاء الشريعة على تصرفات المستبدين بالسلطان كان هناك أيضا الاحتقار للمرأة على أنها مخلوق جميل، وضعيف، وسلعة خلقها الله زينة لإمتاع الرجال، وهو ينسب التيار الثانى للصور المملوكية، والعثمانية..

● ● الجنس الثاني ● ●

لقد كان نظام المماليك، ومن ثم الإمام، والجواري الذى غاصت فيه الدولة الإسلامية إبان حكمها وبالا على المرأة؛ متخذين من الحروب، والفتوح حجتهم للحفاظ، والإبقاء على هذا النظام الذى قوضه القرآن، وجاء عليه من القواعد بكافة أحكامه تقريبا، فلكى يتم التمييز بين الأمة، والحرّة، وبين العربية الأصيلة، والجنسيات الأخرى وضعت عليها القيود، وتركت الحرية للأمة، والجارية، ودون العربية؛ فأقيمت القلاع كقلاع الحرب، وحوصرت المرأة داخل الجدران السميكة بغرض الصيانة، والمحافظة، وعدم اختلاطها بالجواري خاصة خلال حكم الدولة الأموية التى كانت تتعصب لكل ما هو عربي حتى النساء، وبالتالي كثر الجواري، والمماليك الذين استعانت بهم الدولة العباسية فيما بعد، وحتى عندما سمحت الدولة العباسية لبعض العناصر غير العربية بالاشتراك فى الحكم كالبرامكة لم تتخل نهائيا عن هذا المبدأ بدليل نكبة البرامكة على يد هارون الرشيد عندما علم بزواج أخته العباسة بجعفر وزيره، وزعيم البرامكة (أحد الأسباب)، وقد كان هذا هو مبدأ الدول المحاربة عبر التاريخ كالرومان - مثلا - لتأمين نساءهم، فجاء هذا النظام وبالا على المرأة عبر التاريخ، وهذا النظام من وجهة النظر البيولوجية ليس صحيا لمن يحيا فيه لأنه يتنافس تنفسا لا هوائيا فتصاب البيئة كلها بالعفونة بمرور الوقت، وإلصاق هذا النظام العفن بالإسلام يعتبر تجنيا عليه، وجهلا بالتاريخ.. خلقت المرأة من أجل الرجل، وهى لم تخلق من عناصر الأرض مثله، ولكنها خلقت منه، وله، وعليها دارت صراعات الرجل من بدء الخليقة فأول قتال بين بنى آدم كان من أجل المرأة، ثم تطور الرجل ليخرج من حيز المادة التى كلف بها لإشباع الجسد من طعام، وشراب، وجنس عندما انتقل إلى المجتمع الزراعى الإنتاجى بعد أن كان جامعا، ومستهلكا للثمار، ثم صائدا، ومقتنصا للحيوانات، والنساء حيث الاستقرار، والأرض فأصبحت المرأة غير مطلوبة فى حد ذاتها بقدر ما كانت وسيلة لزيادة عدد الأفراد اللازمين للحرث، والزراعة، وجمع المحاصيل، ونقلها، وتخزينها..

ثم نشأ مبدأ تقسيم العمل فأخذ الرجل إلى شىء من الراحة ليتجه بتفكيره إلى ما حوله، وسرت روحه فى الكون تستكنه أسراره، فنشأ التفكير الفلسفى الذى أخذ حيزا من التفكير فى المرأة، واشتعل فى نفسه الصراع من أجل قيم أخرى كالأرض، والثروة، والماء، وغيره؛ فكرس المرأة معملا لتفريخ الرجال من أجل الصراع، ويبدو أن المرأة قد أسعدها هذا الدور إلى جوار الرجل، بل تخطته لتعمل بجانبه فى الزراعة يدا بيد، وذابت المرأة من حيث لا تدري فى كيان الرجل، وذاب الرجل من حيث لا يدري فى كيان الحضارة، والدولة، والنظام، والسهر عليهم، وحمياتهم بكل الوسائل فتتبعه المرأة

●● الجنس الثاني ●●

لدعم الأمن، والاستقرار؛ فإذا ما تزعزع الأمن، والاستقرار صارت سبية وطن، وعاهرة لا تملك من أمرها شيئاً..

تجتاح أوروبا منذ بداية الستينيات حركة عرفت باسم «Feminism»، أو الحركة النسائية، وهى تدعو لتحرير المرأة من سطوة الرجل، والاستقلال عنه، ونبذ فكرة الزواج، وإنجاب الأطفال وهو ما نادى به بعض الروائيات الإنجليزيات من أمثال «إنجلا كارتر»، و«مرجريت درابل»، كما ظهرت أفكار تدعو إلى التشبه بالرجل في مظهره، وحركاته، وتصرفاته، ومنها التدخين، أو رفض المرأة لأعمال البروتوكول التى تدعو إلى مبدأ «ladies first» فترفض أن يفتح لها الرجل باب السيارة لتركب قبله، أو يسحب لها الكرسي، ويجلسها في أى مكان عام قبل أن يجلس هو، أو مساعدتها في ارتداء معطفها، أو مد يده لها في الصعود، والهبوط..

وتنتقد د.نوال السعداوى مقالا قرأته في إحدى المجلات يقول إن المرأة ناقصة في العقل بسبب الهرمون المؤنث في جسمها، ولأن مخ الرجل يزن أكثر من مخ المرأة، وقد ظلت تقرأ مثل هذا الكلام أكثر من نصف قرن، وكانت تتصور دائماً - على سبيل المقارنة - أن عقل الحمار يتفوق على عقل الرجل لأنه أكبر، وأثقل وزناً..

ومن أمريكا ترصد الكاتبة تراجع الأصوات المطالبة بتحرير المرأة من القهر المزدوج (الاقتصاد، والجنس) بسبب الضغوط المتزايدة من قوى اليمين الصاعد تحت شعارات سياسية، أو دينية، وهناك أيضاً الأصولية المسيحية التى تدعم النظام الرأسمالى الطبقي الأبوى (كما كانت تدعمه أيام سلطة البابا في روما إبان عصر النهضة)، وتدعو إلى عودة المرأة إلى حظيرة البيت، والدين كما تتبنى الأفكار العنصرية المعادية للطبقات الفقيرة، والبشرة السوداء؛ فهل تحرص المرأة على ذلك الدين الذى ساوى بينها، وبين الرجل؛ كما جنبها المسئولية كي تتفرغ لعملية التعمير، والاستمرار البشرى على الأرض:

-«ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» البقرة(٢٢٨)..

ولا نرى في الدعوة إلى تحرير المرأة سوى الترف الفكرى الذى قام عليه أفراد من أبناء البيوتات الراقية نقلوها عن تلك المرأة الكادحة مثل الفلاحة التى ترافق زوجها في زراعته، وحصاده، وتلك المرأة الكادحة في المدينة ممن يبعن في الأسواق، ويتجولن بسلعهن في البيوت (وكأنهم يحسدونها على كدحها، وشقاؤها)، فدعوة تحرير المرأة ليست سوى نعرة أرستقراطية، وترفا أخلاقيا من بذخ الأغنياء، والصفوة في المجتمع، وما كان نداؤهم، وتحمسهم إلا مللا من نسايتهم الخاملات في القصور،

●● الجنس الثاني ●●

والبيوتات المتزوجات، أو غير المتزوجات اللاتي كان أكبر عمل يقمن به هو التثاؤب، وهذا لا يحدث إلا إذا قمن أصلا من النوم، والحياة الفارغة التي كن يعشنها، والكسل المرضى، كما جاءت فكرة حجب المرأة في البيوت أصلا من ذلك الرجل الذي نفذ يده من شئون الحضارة، والتطوير الذي هو سنة الحياة، وركن إلى الدعة، والكسل، وحية الترف بجوار الحريم، فشيد لهن القصور، وخصهن بالأجنحة المعزولة ليقتنى منهن ما يروق له كما يقتنى التحف، والأثاث..

يقول قاسم أمين في كتابه «المصريون» إنه كان لا يجوز للرجال دخول أماكن السيدات، والعكس، ولكن المشكلة في كتابه «تحرير المرأة» أنه سمح لنفسه بدخول «الحرملك»، أو مكان السيدات، وهو قد كتب كتابه وعينه على سيدات الطبقة العليا من المجتمع، وبعض المتوسطة اللاتي يتطلعن بعاداتهن نحو سيدات الطبقة العليا، ولم ينظر لحال سيدات الطبقة الدنيا من العامة، والمعيلات البائعات، والكادحات من أجل لقمة العيش، وقد كتب عن مشكلة أخرى ألمت بالمجتمع المصري الذي تعلم، وتفرنج فجأة في عهد محمد علي، والخديوي إسماعيل فظهر النوايح، والمتعلمون، والفنيون في الشئون العامة، وتعلم بعضهم في الخارج فرأى المرأة الأوروبية تختلط به، وتناقشه، ولما رجع إلى مصر، وأراد أن يتزوج وجد المرأة المصرية من الطبقة العليا، والمتوسطة التي تناسبه في ثبات عميق، فكيف يتزوج إلا من ابنة القصور التي تعلمت داخل القصر، أو من شركسية، أو تركية (كانت نسبة التعليم مرتفعا فيهن آنذاك)، أو أوروبية..

لم يأت «قاسم أمين» بجديد بشأن تعليم المرأة، فقد سبقه «رفاعة الطهطاوي» بكتابه «المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين»، كما أنشأ «زكي مبارك» المدرسة «السنية» لتعليم البنات، وأنشأ «محمد علي» من قبل مدرسة «لتعليم التمريض»، وتم كل هذا في صمت - ربما لم يحسه أحد - بينما سفهت أفكار قاسم أمين عقول الأمة في هذا الشأن فثاروا عليه..

نشرت الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٢ من مايو ٢٠٠٣ تبشر القراء ببداية الحرب ضد «عنترة»، و«أبوزيد الهلالي» تحت عنوان «تنظيم نسائي» يعيد كتابة التاريخ الذي شوهه الرجال، وهن يشعرن بجسامة المسئولية تجاه نساء العرب، والعالم، فيردن تغيير عناصر القصص الشعبية التي تميز الرجل، وتجعل للمرأة أدوارا تقليدية، وأدوار الشر هما يعتبرنه تمييزا ضد المرأة حتى إنهن يردن تغيير حكايات ألف ليلة وليلة؛ ذلك التراث الشعبي العربي الذي يفخر به العالم، ولكنه تطرف الهوس الأنوثي نحو التحرر، في مقابل تطرف الهوس الديني نحو الانغلاق..

امراة الحديدية

رصدت الصحف القاهرية في شتاء ٢٠٠١ جنازير، ومطاوى، وسنج، وسكاكين، وبعض القطع الحديدية في جيوب، وحقائب أنسات إحدى مدارس البنات في سن الخامسة عشرة، والسادسة عشرة من العمر، فهل تعلم المدرسة، وأولياء الأمور بوجود هذه الأسلحة معهن؟.. وهل أصبحت المدارس مجرد أماكن لإيواء الأبناء خلال فترة الصباح؟.. وفقدت وظيفتها التعليمية، والتربوية بعد أن وجدت مصلحة الضرائب موردا جديدا لا ينضب؛ من مطاردة المدرسين الذين يطاردون التلاميذ بدورهم من أجل أموال الدروس الخصوصية؟.. فأصبح الطالب الموهوب، والمحبوب هو الذى يدفع لهم..

هل ما زالت هناك بالمدارس مجموعات الهوايات؛ كالرسم، والموسيقى، والفلاحة، والشعر؟.. كما كان الحال في الماضي!.. ناهيك عن الرياضة، ما دور رجال مراكز الأبحاث، وأقسام علم الاجتماع، وأساتذته من كل هذا.. هل حذروا؟.. وهل نظر أحد بعين الاعتبار لهذا التحذير؟.. هل هناك علاقة بين التلفزيون، وهذا التسبب؟.. وهذا العنف، خاصة وأن أصحاب المحطات التليفزيونية يؤكدون أن هذه السن من المشاهدين يجلسون أمام الشاشات البيضاء قرابة ٤٠ - ٥٠ ساعة أسبوعيا، هل المسئول هو الضوضاء، والزحام، والتلوث، والفن الهابط، والبطالة، وضيق السكن، وقبحه، وقذارة ما حوله من شوارع تمتلئ بالفضلات، وأكياس القمامة، والقطط الضالة، والكلاب العاوية، وبرك المجارى، ومستنقعات المواسير المكسورة التى تنضح بالمياه طول العام، كيف ظهرت قيم اللامبالاة، والأناية، والانتهازية؟.. وإذا كانت البنت في هذه السن، وفي هذا المكان المقدس تتصرف بهذا السلوك العدواني، أو الشروع في العدوان، فكيف ستكون في الجامعة، وكيف ستكون وهى زوجة،

ثم وهى أم؟..

في إحصائية نشرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية تقول إن ٣٨ ٪ من الأزواج يعانون من ضرب الزوجات لهم، وجاء في التفاصيل أن كثيرا من الحالات لجأت إلى البوليس، والنيابة لأن الضرب كان مبرحا، وأصاب البعض بعاهات، وجروح غائرة..

وتستصر د.إجلال إسماعيل حلمى أستاذ علم الاجتماع بآداب عين شمس هذه النسبة، وتقول إنها لا تقل عن ٥٠ ٪ لأنها والباحثين يرصدون حالات شكوى الرجال فقط، بينما هناك الكثير من الحالات لا يشكو فيها الرجل حيث يخجل من الشكوى من ضرب زوجته له، وإهانته..

وقد درست د.إجلال ٣٠٠ حادث عنف ضد الأزواج نشرتها الجمهورية بتاريخ ٢٢ من أبريل ٢٠٠٤ تبين منها أن ٢٥ ٪ من الأزواج تعرضوا للإيذاء من الزوجات..

وترجع د.ثرثيا جبريل الأستاذ بمعهد الخدمة الاجتماعية في عدد الجمهورية الصادر في ٢٩ من أبريل ٢٠٠٤ أسباب المشكلة إلى الزوجة التى نشأت في بيت تكون فيه الأم هى المسيطرة، وعندما تكبر تجد نفس الظروف المواتية في بيتها من ضعف الزوج، أو تنازله، أو مرضه، أو تدنى مستوى دخله فتمارس العنف ضده..

ويرى د.فاروق لطيف أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس أن محصلة ضرب الرجل تساوى محصلة ضرب المرأة مرتين، أو ثلاثة فالمقبول أن يتعدى الرجل على المرأة، وليس العكس؛ فالمرأة مهيأة من الناحية النفسية لقبول ذلك، والتسامح فيه، وليس العكس..

ومن مقال محمود نافع بالجمهورية ٢٢ من أبريل ٢٠٠٤ الذى يرى أن الرجل من المفترض أنه رب الأسرة، والقائد حيث يفترض أنه واع، وفاهم، ومتمكن فهو المسيطر، والممسك بدفة الأمور، أما أن تنتزع منه الزوجة ذلك، وتستحوذ هى على دفة الأمور، ثم تقوم بالهجوم من أجل الدفاع عن المساحات التى استحوذت عليها من سلطته، وكيانه، وإن كان الرجل أحيانا يتنازل عن ذلك برضاه بزعم انشغاله، والتزاماته، أو سفره الدائم فتحل الزوجة محله في البيت، وتمسك الزمام، وتوجهه حتى إنها توجه الزوج أيضا، الرجل هو كيان الأسرة؛ فهل تنازل طوعية عن ذلك؟..

وفي العام الماضى أكدت دراسات المركز القومي للبحوث الاجتماعية أن ٣٠ ٪ من الزوجات يضرين أزواجهن، ولكن هذا العام وصلت النسبة ٣٨ ٪ بلا تراجع، ويفسر علماء الاجتماع ذلك بأننا كنا نتحدث عن تحرير المرأة في الماضى، والآن بعد أن تحررت، وأخذت كل حرياتنا أصبح الحديث منصبا

● ● الجنس الثاني ● ●

على تمكين المرأة؛ أى تمكينها من كل شىء، المراكز العليا، والوظائف الممتازة، وبجانب هذا تمكينها من قيادة الرجال، ويدللون على ذلك بالدراسات، والإحصاءات؛ ففي عام ١٩٦٨ قبل التمكين كانت النسبة ١٪ ثم ارتفعت إلى ٢٥٪ عام ١٩٦٩، وإلى ٣٠٪ فى ٢٠٠٥، ثم ٣٨٪ فى ٢٠٠٦ .. ويقول الاجتماعيون إن الاستقلال، والاستقرار لبعض النساء أعطاهن شعورا بالندية، والمنافسة، والمناطحة للرجل؛ فهى مثله تعمل، لها ماله، وعليها ما عليه، ولذا فهى ترفض منه أى وصاية، ولا تسمح بأن يكون له ميزة، أو تفوق عليها.

ومن مقال محمود نافع فى الجمهورية بتاريخ ١١ من مايو ٢٠٠٦ الذى عرض فيه دراسة لمركز البحوث الاجتماعية عن تصنيفات عنف المرأة تجاه زوجها، فرصدت الدراسة ٥٨,٨٪ عنف يصل إلى حد القتل العمد للزوج، ٥٩٪ ضرب أفضى إلى الموت، ٣٦,٦٪ استخدمت الزوجة آلة حادة، ١٤٪ عمليات خنق، ١١٪ إشعال حرائق فى الزوج، وهو ما يحير علماء التشريح والفسولوجى عن تحول هذا المخلوق الوديع إلى مخلوق لا يطاق..

دراسة قامت بها كل من د.ناهد رمزى، د.سميحة نصر من باحثات المركز القومى للبحوث الاجتماعية تؤكد تنامى العنف ضد الرجل فيما بين ٢٠٠٣ - ٢٠٠٦ من ٢٣٪ - ٢٨٪ لتتربع مصر على المركز الأول فى هذه الجريمة البشعة، تليها بريطانيا، وتعلق جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ١٤ من ديسمبر ٢٠٠٦ بأن البحث إنذار للمجتمع يهدد مؤسسة الأسرة..

وتعزى د.سهير عبد العزيز أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر، وصاحبة دراسات ميدانية فى هذا المجال الظاهرة إلى قوانين الأسرة التى جاءت لتقلب الأمور رأسا على عقب، وركزت فى تحسين وضع المرأة دون النظر لحال الرجل، أو ما يحدث نتيجة لهذا الخلل؛ فأعطت القوانين للمرأة حق الطلاق للضرر، والخلع، ولم تعالج قضية السكن، والإقامة للطرفين باعتبارهما ركنى المجتمع، وإمّا منحت المرأة حق الحصول على الشقة، والإقامة فيها، وحق النفقة، وحق الحضانه وغيرها؛ ولم تعط للرجل أى حق فى المقابل، فالرجل المخلوع يصير إلى الشارع، وعليه أيضا نفقة الأولاد، وتؤكد أن هذه القوانين ليست ضد الرجل وحده؛ بل ضد المجتمع، وفى نتائجها الأخيرة ضد المرأة نفسها، وضد أبنائها من هذا الرجل الذى يهان أمام أولاده، وبالتالي كانت النتيجة عزوف قطاعات كبيرة من الشباب عن الزواج «الطبيعى» الذى يحفظ للمرأة كرامتها إلى الزواج «العرفى» الذى لا يلتزم فيه الرجل بأى مسئولية سوى الإشباع الجنىسى، وعلى المرأة كل مسئوليات الحياة، وكذلك زواج «المسيار»، والزواج

●● الجنس الثاني ●●

«الخادع» الذى يأتى فيه الرجل بشقة لا يملكها، ولا يحق له الإقامة بها مدداً طويلة حتى إذا اختلف مع زوجته ترك الشقة لصاحبها، وترك زوجته..

وفي المقابل انخفضت جرائم القتل التى كانت تقوم بها المرأة ضد الزوج في مصر، وذلك في الفترة من سنة ١٩٩٤ إلى سنة ٢٠٠١ مع ازدياد فرص العمل النسائية، ودخولها مجالات عديدة وجدت فيها متنفساً لطاقتها التى كانت تستنفدها في العنف، والعنوان الذى يتطور إلى القتل، وربما كان للأحكام الرادعة من القضاء المصرى لمثل هذه الحالات أثره الذى لا يمكن تجاهله..

وبالنسبة لهذه المشكلة (ضرب الأزواج) بعد أن تخطت المرأة حاجز الخوف، والمباغطة بالقتل، والتمثيل، نرى أن الظاهرة في طريقها إلى الانحسار، فبعد القتل، والتمثيل ضرب، وتنكيل؛ بما يعنى التراجع الذى يوحي أنه لم يعد في جعبة المرأة شيء آخر، فقد أصبحت قوة الرجل مصطنعة هذه الأيام؛ فلا معنى للرجولة في عصر الفياجرا؛ فالمرأة هي دائماً أدق المقاييس، وأكثرها حساسية لرجولة الرجل؛ حتى إنها لا تتسامح في أى ضعف من الرجل..

جاء في ملحق الجمهورية محبوبتى، العدد الصادر بتاريخ ٢٨ من فبراير ٢٠٠٢ أن النساء أكثر عرضة للانتحار من الرجال بنسبة تصل في بعض الأحيان إلى ٣٠٪، وترجع هذه الظاهرة إلى ضغوط المجتمع على المرأة، والتقاليد، وحجم الكبت الذى تعاني منه دائماً أكثر من الرجل، ويؤكد د.أسامة الغنم أستاذ جراحة المخ والأعصاب بجامعة الأزهر أن مرض الاكتئاب الذى يؤدي إلى الانتحار يمكن أن يصيب الأشخاص أصحاب الشهرة، والمكانة المرموقة، ويرجع د.عادل الكردوسى خبير علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية سابقاً السبب إلى الوحدة مع المرض النفسى، وإلى الطلاق، والبطالة، وتأخر سن الزواج، والمعاش المبكر..

وهناك ظاهرة تفتشت هذه الأيام؛ وهى الجمع بين الأزواج (بعد انحسار الجمع بين الزوجات) يحلل أسبابها د.فكرى عبد العزيز أستاذ الأمراض النفسية والعصبية في ملحق الجمهورية محبوبتى بتاريخ ٢ من أغسطس ٢٠٠١ بأنها ظاهرة نفسية قد تصل في بعض الأحيان إلى المرض العقلى؛ فهذا السلوك الشاذ لا يصدر عن إنسانة طبيعية، والأسباب النفسية سببها التفكك الأسرى، وانهاية العلاقة بين الأبوين مما يوحي للفتاة بتسيب القيم، ويرى أن وسائل الإعلام لها دور في ذلك في المساعدة على هذا التسيب القيمي بإظهار الزوجة التى تسأم الحياة الزوجية، وتهتم برجل آخر غير زوجها، وتفكر في الارتباط به، أو الهرب معه إذا لم يحلها زوجها من الارتباط؛ أما عن الجانب المرضى فرمما يوجد

●● الجنس الثاني ●●

مرض عقلى كالفصام؛ خاصة الفصام البسيط، وهو يتميز بالاضطراب الوجداني، والافتقاد للإرادة، ويشير إلى أحد الأبحاث التى أجريت فى مصر على من يمارسن الدعارة أكد أن نسبة عالية منهن يعانين من مرض الفصام البسيط..

البنات المسرجلة:

قد نصادف هذا النوع من البنات عندما يكون الأب هو المشرف الحقيقى على تربية البنت، أو تكون بيئة البنت مذكرة، ليس فيها سوى الأولاد، أو تكون البنت بتكوينها الطبيعى ذات ميول عدوانية، أو يكون أهلها قد اعتادوا تدليلها بإطلاق اسم ولد عليها، أو دأبوا على معاملتها معاملة الأولاد؛ فتراها عندئذ تتنكر لأنوثتها، وتنزع إلى منافسة الأولاد فى قدراتهم الذكرية، والتفوق عليهم؛ محاولة إثبات أنها ليست دون الأولاد الذين ينسب لهم السبق، والألوية، ويستبعد د. زكريا إبراهيم أن يكون هذا وليد «عقدة الذكورة»، بل مجرد تعبير عن رغبتها الدفينة فى التنكر لتلك الدعوى التى يجابهها المجتمع بها حينما يخلط بين «الضعف»، و«الأنوثة»، وتقع الفتاة حيال ذلك بين تحديات الذكورة، وإغراء الأنوثة، حتى إنها لتتخذ «الإغراء» أداة عدوان، فتبدو الفتاة « كغانية صغيرة» تتبرج، وتظهر مفاتها، وحين يستشرى هذا الداء مستقبلا فقد تقع فريسة للكثير من العقد النفسية التى قد تنحدر بها أحيانا إلى هوة الدعارة..

المرأة والقانون المصري

يتعرض د. خالد منتصر في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» لقانون العقوبات المصري الذي يتوافق مع الرجل ضد المرأة في نص المادة ٢٣٧ التي تعاقب الرجل بالحبس الذي قتل امرأته متلبسة بجريمة الزنا، وإذا فعلت هي ذلك تعاقب بالعقوبة المقررة للقتل العمد، والمادة ٢٧٣ لا تجوز معاقبة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها، ولا تسمع دعوى المرأة على زوجها الزاني في مسكن الزوجية، ونص المادة ٢٧٤ بحبس المتزوجة إذا ثبت زناها بما لا يزيد عن سنتين، ولزوجها الحق في إيقاف هذا الحكم، ومعاشرتها، وكذلك جرائم الدعارة التي يؤخذ فيها الداعر شاهداً على الداعرة التي مارست الرذيلة معه..

وحول المادة ١٧ من قانون العقوبات يقول أبو ضيف المحامى في جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٢ من سبتمبر ٢٠٠٥:

-«رغم مساواة الشريعة الإسلامية بين الزوج، والزوجة في المعاملة خاصة في مسألة الزنا؛ إلا أن القانون الوضعي جعل الرجل أفضل من المرأة، ويستفيد كثيرا إذا ارتكب جريمة القتل»..
ويؤكد المستشار محمد السطوحى رئيس محكمة جنايات الأقصر في نفس العدد:
-«إن هذا القانون ليس له أى سند دستوري، ولا بد من تغييره إذ يفرق في المعاملة بين الزوج، والزوجة في حال القتل؛ فالقانون الحالى يستفيد منه الزوج فقط إذا قام بقتل زوجته أثناء ضبطها متلبسة؛ بل يقوم أيضا بقتل العشيق لتعتبر الجريمة جنحة، أما الزوجة إذا قامت بقتل الزوج فتعتبر الجريمة جناية، والأدهى من ذلك أن القانون يفرق بين زنا الزوج، وزنا الزوجة، فإذا كان زنا الزوج داخل مسكن الزوجية يعاقب الزوج بالحبس لمدة سنتين، أما إذا كان خارج مسكن الزوجية، وبرز

● ● الجنس الثاني ● ●

الطرف الآخر فلا تكون هناك أى عقوبة إذا كانت الفتاة تتجاوز ١٨ سنة، ويشترط النص القانوني عنصر المفاجأة حتى يحصل الزوج على العقوبة المخففة في المادة ٢٣٧ من قانون العقوبات على اعتبار أن الزوج هو المجنى عليه..

تقرر الشريعة الإسلامية أن واجب الطاعة يقع على الزوجة تجاه زوجها متى كان الزوج قد أوفى لها بحقوقها الشرعية، وهياً لها الحياة الكريمة، وتعد الزوجة ناشزاً إذا خرجت من بيت الزوجية دون مبرر؛ غير أن القانون لا يجبرها على طاعة الزوج بالعودة إلى مسكنه، إذ الطاعة سلوك نفسى، وليس مجرد انتقال الجسد، غير أن المشرع أثر أن يدخل واجب الطاعة ضمن اختصاص القضاء؛ فبعد أن كانت الزوجة تساق جبراً إلى زوجها أصبحت الآن تحرم من النفقة بسبب نشوزها؛ وذلك بعد اتخاذ إجراءات قضائية تذهب بالبقية الباقية من حبل المودة بينهما..

تقول المادة ١١ مكرر ثانياً من القانون ١ لسنة ٢٠٠٠ أن الزوجة إذا امتنعت عن طاعة الزوج دون مبرر فإن ذلك يوقف نفقة الزوجية من تاريخ الامتناع، وتعتبر ممتنعة دون حق إذا لم تعد لمنزل الزوجية بعد دعوة الزوج إياها للعودة بإعلان على يد محضر لشخصها، أو من ينوب عنها، وعليه أن يبين في هذا الإعلان المسكن، وللزوجة الاعتراض على هذا أمام المحكمة الابتدائية خلال ثلاثين يوماً من تاريخ الإعلان، وعلى المحكمة أن تتدخل عند نظر الاعتراض لإنهاء النزاع بينهما صلحاً، ولكن - كما يعلق المستشار طه الشريف النائب الأسبق لرئيس محكمة النقض - ما حاجة المشرع هنا لإيراد إنذار الطاعة، والاعتراض عليه، وتكليف الزوجة برفع دعوى قضائية لنظر الاعتراض؟.. وعليه شُغلت المحاكم بآلاف القضايا دون مبرر، ولا تلجأ معظم الزوجات لرفع دعوى النفقة حيث يصطدمن بعدد هائل من القضايا يرفعنها، أو تُرفع عليهن - كدعاوى كيدية - للتعطيل، وتضييع الوقت، أما حكاية الصلح فتقتضى البوح بأسرار قد تكون فاضحة، وكاشفة لما يجب ستره على مرأى من الناس قضاة، ومحامين، وكتبة، وشهود، وغيرهم..

إن التقاضى في شأن الحقوق الزوجية وإن كان يؤدي بعد جهد جسيم إلى استقصاء بعض الحقوق؛ إلا أنه بالقطع يؤجج لهيب العداوة بينهما، ويدمر حياة الصغار يوماً بعد يوم..

تقول هدى بدران رئيس مجلس إدارة رابطة المرأة العربية إنه يكفى أن نعلم أن قانون الأحوال الشخصية الذى نتعامل معه تم وضعه سنة ١٩٢٠، ثم طرأت عليه تعديلات سنة ١٩٣١، ثم قانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٥٢، وكل هذه القوانين في كثير من الأحيان ترجع كثيراً من الإجراءات إلى قانون

●● الجنس الثاني ●●

المرافعات، وإلى أرجح الأقوال من مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان.. وتشير نادية الشربيني المحامية بالنقض، والدستورية العليا، وعضو مجلس إدارة رابطة المرأة العربية إلى أن القانون القديم يستغله الرجال لإهانة المرأة، وتهديدها، وليجعلوا منها كعب داير على المحاكم، ولكثرة تعديلاته أصبح شاقا ليس على المتقاضين؛ ولكن أيضا على المحامين، والقضاة.. أما الرجال مثل د.محمود غنيم رئيس مفاوضي المحكمة الدستورية العليا، ود.محمد الشحات الجندى عميد حقوق حلوان فلهما رأى آخر وهو أن الأسوياء لا يحتاجون في علاقاتهم إلى المحكمة، عندما ينشأ بينهم خلاف؛ فلماذا نفس قانون الأحوال الشخصية، والبدء من الصفر؛ هل الأسرة المصرية في الخمسينيات، والستينيات أقل استقرارا من الآن؟.. رغم وجود مزيد من القوانين مثل الخلع، وتيسير الإجراءات؛ كان العرف قديما هو الملجأ الأول، والأخير، وهو ما نص عليه القرآن عندما قرر حكما من أهلها، وحكما من أهله، ورغم هذا نتساءل:

- لماذا يوجد لدينا الآن ٥٠ ألف قضية إثبات نسب أمام المحاكم؟!..

- لماذا زادت حالات الطلاق، والتفكك الأسرى؟..

- ماهى العوامل التى تؤدى إلى سرعة الطلاق بين الشباب؟..

- لماذا يوجد لدينا زواج يستمر لمدة أيام؟..

- كيف تحدث علاقات حميمة بدلا من إعلان الحرب؟..

ويقرر د.حسنى الجندى أستاذ القانون الجنائى فى حديثه لمعلق الجمهورية الأسبوعى محبوبتى فى ١٨ من أغسطس ٢٠٠٥ أنه لا وجود لما يسمى «بيت الطاعة» فى الإسلام، ولم يأمر الإسلام بالقهر إطلاقا، وإنما أمر الزوج، والزوجة بالامتثال لأمر الله، ورسوله فى أمور الزواج، وحل المشكلات التى تظهر بينهما بالحسنى، أما بيت الطاعة المعمول به فى القانون المصرى فهو منقول نصا من «القانون الرومانى» وفقا للقانون المصرى (الحاكم القضائى)، فى ظل ما يسمى بالزواج (التوافقى) المعروف بالعرفى الآن؛ حيث لا توجد فيه حقوق، وواجبات متبادلة بين الزوجين؛ لذا كان من حق المرأة العودة لبيت أبيها فى حال أى نزاع، وليس لزوجها أى سلطة عليها، كذلك ابتدع الحاكم القضائى دعوى قضائية تمكن الزوج من استرداد زوجته من بيت ذويها بالقوة الجبرية، وكانت تسمى (دعوى استرداد)، وهى الدعوى التى نقلتها «مجموعة نابليون» فيما أسماه «إدخال الزوجة منزل زوجها بالقوة الجبرية»، وهى نقلت من «القانون الفرنسى» إلى المحاكم الشرعية فى مصر حتى الآن..

التحرش والاعتصاب

جرائم هتك العرض، والاعتصاب المسجلة رسمياً تصل إلى ٢٠٠ حالة في عام ١٩٨٧، ١٩٩ حالة في عام ١٩٨٩ على سبيل المثال لا الحصر، مقابل ٩ حالات عام ١٩٢٤، ١١٢ حالة عام ١٩٣٠ حسب ما ذكره أشرف توفيق في كتابه «جرائم المرأة.. العالم السرى للنساء»، ومن بين هذه الأرقام عمدت المرأة إلى العنف رداً على هتك العرض في ٤٣ واقعة خلال الفترة من ٨٤ - ١٩٨٨، وفي ٢٣ واقعة في الفترة من ٨٩ - ١٩٩٣..

وفي دراسة أعدها مركز النديم لعلاج إعادة تأهيل ضحايا العنف في ١٩٩٤ فسئلت ٥٠٠ سيدة عما إذا كن قد تعرضن للتحرش الجنسي، فأجابت الأغلبية بنعم، وقال نحو الثلث إن هذا التحرش أخذ شكل الملامسة الخادشة للحياء، وأكدت ٧٦٪ منهن أنهن وقعن ضحية مضايقات جنسية في مجال العمل، ٣٠٪ دعوات لممارسة الجنس، ٢٠٪ غزلاً صريحاً، ١٧٪ تحرشاً جسدياً..

وفي بلد مثل مصر فإن ١٤ ألفاً، ٨٦ شخصاً اعتقلوا بتهمة التحرش الجنسي في عام واحد سنة ١٩٩٤، بينما كان الرقم ٩٧٣٨ عام ١٩٩١، ووفق تقرير الأمم المتحدة الصادر في ١٩٩٥ فإن ٤٥,٥٪ من السيدات في القاهرة تعرضن لأحد أشكال التحرش الجنسي، ولم تبلغ سوى ٢,٥٪ منهن الشرطة عن هذه الجريمة، والسبب معروف، وهؤلاء السيدات كن من ساكنات مصر القديمة، وبولاق، ومصر الجديدة؛ أي من أنحاء العاصمة..

في تحقيق بجريدة صوت الأمة في ١٥ من أغسطس ٢٠٠١ أشار ياسر ثابت إلى بحث طريف بعنوان «فتاة الجينز مجنى عليها أم جانية؟».. ضمن بحوث أخرى عن جرائم الخطف، والاعتصاب في مركز بحوث الشرطة بالقاهرة يقول:

● ● الجنس الثاني ● ●

- «في سنة ١٩٧٧ كان المبنى عليهن في جرائم الاغتصاب؛ سواء حدثت المواقعة، أم لم تحدث ٨٥٪ منهن يرتدين البنطلون الجينز وقت وقوع الجريمة»..

وحول الاغتصاب أعدت د.ناهد رمزي الأستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية دراسة عن أكثر أنواع العنف شيوعاً ضد الفتيات، وهو العنف الجسدي، والانتهاك البدني أقرت فيه ٣٨,٩٥٪ من الفتيات عدم استبعادهن لاحتمالات اغتصابهن، وأن ٧٠,٧١٪ منهن يعتقدن أنه من الممكن أن تتعرض إحدى أقاربهن للاغتصاب..

كما تشير دراسة لمعهد التخطيط القومي نشرتها محبوبتي في ١٠ من مايو ٢٠٠١ إلى أنه في عام ١٩٩٤ حدثت ٧٦٠ حالة اختطاف، واغتصاب؛ وهي الحالات المبلغ عنها عدت تلك التي لم يبلغ عنها لاعتبارات اجتماعية تتعلق بوضع الفتاة، وأسرته، كما تطرقت الدراسة إلى الاستغلال الجنسي الذي كثيراً ما يحدث داخل الأسرة، ومن خلال المحارم، أو غيرهم من محل الثقة، مما يترتب عليه إحداث تأثير نفسي سيئ على الأطفال الإناث، وأن ٦٦٪ من الفتيات يتعرضن للعنف في أماكن عملهن، ويأخذ العنف في مجالات العمل عادة طابعاً جنسياً، ويتراوح ذلك ما بين:

- المعاكسة بالكلام أو الألفاظ ذات المعاني الجنسية ٣٠٪..

- التحرش باللمس ١٧٪..

- الغزل غير المقبول ٢٠٪..

ويترتب على هذه المضايقات إحساس الفتاة بالارتباك، والخوف، والإحباط بنسبة ٢٣٪، أو الشعور بالمهانة، والغضب، والرغبة في الانتقام ٤٢٪ من الحالات، كما بينت نتائج الدراسة أن من العينات:

- ٢٨,١٪ يعتقدون أن الرجل هو المسئول عن الاغتصاب..

- ٣٤,٤٪ يعتقدون أن الفتاة هي المسئولة..

- ٢٥٪ يعتقدون أنهما الاثنان معاً..

- ١٢,٥٪ يعتقدون أن المجتمع هو المسئول..

ويورد د.خالد منتصر في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» إحصائية عن المضايقات التي تقابلها المرأة العاملة في عملها من زملائها الذكور بنسبة ٤١٪، ومن الجمهور عموماً بنسبة ٣٢,٨٪، ومضايقات بسبب التمييز ضد المرأة ٥,٤٪، وفي تقرير عن رابطة المرأة العربية ذكرت د.ناهد رمزي أن ٦٦٪ من الفتيات يتعرضن للعنف في أماكن عملهن، وهو ما يأخذ عادة طابعاً جنسياً، وتتوزع

●● الجنس الثاني ●●

كالتالي:

- ٣٠ ٪ معاكسة بالكلام، أو الألفاظ ذات المعاني الجنسية..

- ١٧ ٪ تحرش باللمس..

- ٢٠ ٪ غزل غير مقبول..

كما أشارت ٦٧ ٪ من الحالات إلى عدم استطاعتهم ترك العمل بالرغم من هذه المعاناة لأسباب اقتصادية..

وفي دراسة عن معايشة المرأة «الزوجة» دون رضاها أفادت ٩٣ ٪ من عينة أحد الأبحاث أنهن يعتبرن المعايشة الزوجية بدون رغبة الزوجة عنفا، وهو ما يطلق عليه «الاعتصاب الصريح» الذي ينشأ عن جهل الزوج بالزواج، والزوجة، والحياة الزوجية، و جهل بالدين..

امرأة صحية النقاليد

الختان:

يبحث د.خالد منتصر في التاريخ عن أصل لعادة الختان في مصر عن طريق عروس النيل لدى الفراغنة في موسم «وفاء النيل» الذي كان وقتا مناسباً لختان البنات في مصر القديمة عن طريق الدايات، وكانت الأجزاء المقطوعة من الأعضاء التناسلية للفتاة تلف في حجاب، وتربط بخيط حول عنق الفتاة حتى تلقى في النهر يوم الاحتفال بعيد الفيضان، وكان الاعتقاد أن الفتاة التي لا تفعل ذلك تبقى عانسا، وإذا تزوجت لا تنجب، وإذا أنجبت لا يعيش أطفالها..

ومن أقدم الدراسات الميدانية التي قام بها د.محمد كريم أستاذ أمراض النساء والتوليد بطب عين شمس سنة ١٩٦٥ على عينة من سيدات نادى القاهرة (٢٠٠ سيدة)، وجاءت النتائج أن ٧٤٪ منهن أجريت لهن عملية الختان، ثم عاود البحث على عينة من سيدات نفس النادى سنة ١٩٩٤ فأتضح أن ٩٨٪ منهن مختننات؛ وهو ما يدل على انتشار هذه العادة، وزيادتها مع زيادة عدد السكان، وعند إجراء البحث على المترددات على العيادة الخارجية بطب عين شمس وجد أن هناك علاقة رقمية بين الفقر، والأمية، وتقل النسبة مع تقدم التعليم بالنسبة للوالدين، وزيادة الدخل..

وفي فصل عن الآثار النفسية للختان يقرر د.خالد في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» أن التسلط الاجتماعى من الذكور على الإناث، وأيضا من النساء على النساء هو الذى يفسر ظاهرة الختان نفسيا، حيث إن الرجل يطرق كل وسائل التقوية الجنسية، فلماذا لا تكون المرأة مثبطة جنسيا بالختان؟.. ويرجع سبب ذلك إلى تعدد الزوجات، والفرق الكبير في السن بين الزوجين..

وهو يعدد الأضرار الصحية للختان في فصل خاص ومن أهمها ضعف التجاوب الجنىسى للمرأة

●● الجنس الثاني ●●

بسبب إزالة «البظر» في عملية الختان الذي يعتقد أن إزالته تكبح الشهوة الجنسية، بينما الشهوة الجنسية أصلاً مصدرها المخ، والأعضاء التناسلية التي ما هي إلا أداة المخ - المحرك الأساسي للشهوة الجنسية - وكل ما تخرج به البنت من هذه العملية هو عدم قتل الرغبة؛ بل قتل الإشباع الذي أجمع المؤيدون، والرافضون للختان في الاتفاق على شيوع تعاطي الرجال للحشيش للوصول إلى إشباع المرأة سواء كانت غير مختونة - فهي لا تشبع كما يقال - أو مختونة، فهي لا تصل إلى الإشباع من جراء قطع وسيلته وهي «البظر»، وأن هناك نسبة من الأزواج مقترنون بزوجة أخرى حلاً للمشاكل الجنسية، والأسرية، وهناك أبحاث تؤكد حدوث الاكتئاب لدى بعض السيدات، والعصبية، وإثارة النكد من بعضهن الآخر لعدم الوصول إلى إشباع رغباتهن، وقد يملن للانحراف في حال السيدات ذات التنشئة الاجتماعية غير القويمة في سبيل الوصول للإشباع الجنسي المفقود..

ولمن ينسبون هذه العادة للدين الذي لم يقترب منها بنص، أو بفعل؛ بل أقر القرآن الخلقة الربانية التي لا ينبغي تغييرها بالقطع لأي غرض:

-«فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» الروم(٣٠)..

-«الذي أحسن كل شيء خلقه» السجدة(٧)..

-«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» التين(٤)..

-«وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً» النساء(١١٩)..
ويعلق د.محمد سليم العوا في مقال له بجريدة الشعب في ١٨ من نوفمبر ١٩٩٤ على الآية الأخيرة بقوله:

-«إن القرآن الكريم جعل من المعاصي قطع بعض الأعضاء ولو في الحيوان؛ بل هو مما توعده الشيطان أن يضل به بنى آدم في أنعامهم، وقرنه بتغيير خلق الله، والختان للإناث بصورته التي يجرى بها في مصر، وفي أجزاء أخرى من العالم الإسلامي فيه تغيير لخلق الله من قطع لبعض الأعضاء المعصومة ما لا يخفى، وإذا كان هذا في الحيوان من إضلال الشيطان؛ فكيف يكون في حق الإنسان؟!»..

أما الأحاديث فلم يصح منها ما قيل في هذا الشأن على نحو ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عطية: -«إذا خفضت فأشمى، ولا تنهكى، فإنه أسرى للوجه، وأحظى

عن الزوج»..

علق عليه أبو داود بقوله إن حديث ختان المرأة روى من أوجه كثيرة، وكلها ضعيفة، معلولة، مخدوشة، ولا يصح الاحتجاج بها..

ويعلق الشيخ محمود خضر في ١٩٩٧ على أحد الأحاديث بقول الرسول صلى الله عليه وسلم للخاتنة:

-«إن كنت فاعلة»..

إنما دل على أن الأمر من أوله لآخره مكروه، وأن الأفضل البعد عنه نهائياً، وقد جمع الإمام «الشوكاني» في كتابه «نيل الأوطار» كل هذه الأحاديث، وحكم عليها بالضعف..

وقضية الختان من القضايا التي شغلت الرأي العام المصري، كما شغلت قنوات الإعلام الغربي، وحتى يومنا هذا، وقد أفردت د. نوال السعداوى جزءاً كبيراً من كتابها «المرأة والغربة» لمناقشة هذه القضية، وكانت البداية عندما ناقشت الموضوع في مجلس نقابة الأطباء متأثرة بما يقال في أمريكا بخصوص هذا الموضوع؛ حيث إنهم يريدون منع الختان لكل من الإناث، والذكور، وهو ما رفض أطباء المجلس مناقشته من الأساس، بل ذكروا أن عضو المرأة الذي يُقطع في الطهارة ليس له ثمة فائدة، بل العكس إنه ضار، إذ يجعل المرأة تنصرف إلى إشباع رغبتها الجنسية على حساب مصلحة الزوج، والأطفال..

حدث الختان على مدى التاريخ في جميع المجتمعات البشرية، وليس في إفريقيا فقط كما يشاع، وهي تعتقد أن الختان انتشر مع انقسام البشر إلى عبيد، وأسياد؛ فكان الأغنياء يقدمون اللحم قرباناً للآلهة، أما الفقراء فيقدمون ما يزرعونه في الأرض من خضراوات، وفاكهة، والعبيد الذين لا يملكون سوى أجسادهم فعليهم بقطع جزء من أجسامهم لتُقدم قرباناً للآلهة..

وهي تتعرض لرأي أحد الدعاة المشهورين عن الختان، وهو

-«الختان (أو الخِفاض) كرامة للمرأة لأنها بالختان تفقد شهوتها فلا تكون طالبة للرجل (بل مطلوبة منه)، فالرجل لا يحب المرأة الذي تطلبه، أو الغوراء (بعيدة الشهوة، أو الشبقية)؛ بحيث إذا ركبت دابة، واهتزت فارت شهوتها، فالختان إذا كرامة للمرأة»..

وهي تعلق على ذلك طبيياً أن المخ هو العضو الأساسي في الجنس، وهو مصدر الإثارة الجنسية، وأن هناك تصورات خاطئة، أو عدم دراية بالمرأة، في خيال، وأحلام بعض الرجال الكامنة في اللاوعي

●● الجنس الثاني ●●

تجعله يتصور أن المرأة ستصاب بالإغماء من شدة الشهوة إذا ما لمسها بيده، إنها إحدى الخرافات المتوارثة تاريخيا منذ نشوء العبودية، أو النظام الطبقي الأبوى الذي أدان شهوة المرأة الطبيعية، وحرّم عليها اللذة، واعتبرها مجرد أداة للولادة، والخدمة في بيت الزوجية، وانعكست هذه القيم على كُتاب بعض الكتب المقدسة مثل التوراة بدليل وجود هذه الفقرة لعقاب حواء عندما أكلت من الشجرة في الجنة:

-«تلدن في الأسى، والألم، ويكون اشتياقك لزوجك، وهو يسود عليك»..

وفي التوراة أيضا يدعو الرجل في صلاته:

-«أحمدك يارب لأنك لم تخلقني أنثى»..

إن بتر أعضاء المرأة خاصة «البظر» يفقدها جزءا من قدرتها الجنسية، إلا أنه لا يفقدها الرغبة، والإثارة التي تنبع عادة من المخ، ولكن القدرة على بلوغ اللذة الجنسية تعتمد على الأعضاء الجنسية خاصة «البظر»، فالمرأة المختونة تعيش في إثارة جنسية مستمرة دون القدرة على تصريفها عن طريق العلاقة الجنسية، هذا التصريف للطاقة لا يتم إلا عن طريق بلوغ قمة اللذة Orgasm، ومن بعده تنتهي الإثارة، وتعود المرأة إلى طبيعتها، فحرمان المرأة من بلوغ اللذة يوجب الإثارة في عقلها، وخيالها دون إشباع تفتك بصحة المرأة الجسدية، والنفسية، وتسبب لها عديدا من الأمراض؛ أولها الاكتئاب، وهو ما يعرف في الطب النفسى «باكتئاب الزوجات» الذي يرجع إلى عدم بلوغ اللذة في أى علاقة جنسية مع الزوج..

جدول يحنوى على أعداد النساء المخنونات فى الدول التى تمارس خنان الإناث سنة ١٩٩٨، وكلها دول إفريقية نسبهم جمعيا مصر، وهى مرتبة تنازليا (عن كتاب الخنان والعنف ضد المرأة):

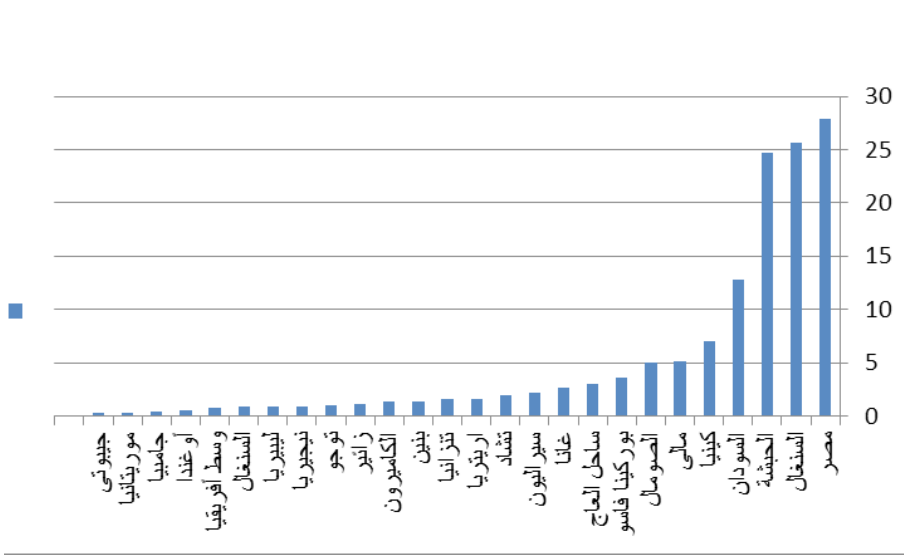
٢٧,٩٠٥,٩٣٠	مصر	١
٢٥,٦٠١,٠٠٠	السنغال	٢
٢٤,٧٢٣,٩٥٠	إثيوبيا	٣
١٢,٨١٦,٠٠٠	السودان	٤
٦,٩٦٧,٥٠٠	كينيا	٥
٥,١٥٥,٩٠٠	مالى	٦
٥,٠٣٤,٢٦٠	الصومال	٧
٣,٦٥٦,٨٠٠	بوركينافاسو	٨
٣,٠٤٨,٢٧٠	ساحل العاج	٩
٢,٦٣٥,٢٠٠	غانا	١٠

٢,١٦٧,٢٠٠	سيراليون	١١
١,٩٢٣,٠٠٠	تشاد	١٢
١,٥٩٩,٣٠٠	إريتريا	١٣
١,٥٥٢,٠٠٠	تنزانيا	١٤
١,٣٦٥,٠٠٠	بنين	١٥
١,٣٣٦,٨٠٠	الكاميرون	١٦
١,١٠٧,٩٠٠	زائير	١٧
١,٠٤٤,٥٠٠	توجو	١٨
٩٢١,٢٠٠	نيجيريا	١٩
٩٠٢,٤٠٠	ليبيريا	٢٠
٨٣٨,٠٠٠	السنغال	٢١
٧٥٩,٨١٠	وسط إفريقيا	٢٢

●● الجنس الثاني ●●

٥١٣,٠٥٠	أوغندا	٢٣
٣٩٦,٨٠٠	جامبيا	٢٤
٢٥٩,٢٥٠	موريتانيا	٢٥
٢٤٨,٩٢٠	جيبوتي	٢٦

رسم بياني يوضح انتشار الظاهرة في مصر والسودان وإثيوبيا (الحبشة)



نقائيد أخرى:

لا أدري قد تأتي متاعب المرأة من امرأة مثلها، كخطف الرجال مثلا - على حد قولهن - أو عند تزويج الأبناء من مطلقات، فلا يواجه الابن الاعتراض إلا من والدته..

عصابة الصين التي كتب عنها «محسن محمد» في الجمهورية يوم ١ من فبراير ٢٠٠٧ تعتمد على تقاليد صينية قديمة تقول؛ إن الحى يجب أن يحقق رغبات الميت، بأن يطلبون عروسا لابنهم الذى مات يقولون إنهم سيزوجونها له، ثم يأخذون الفتاة، ويقتلون، ويدفنونها مع الابن الميت، وأحيانا يعطون الأب المهر بعد أن يكونوا قد قتلوا الفتاة دون علمه..

وتقتل الفتيات في مناسبات كثيرة دون أن يعرف أحد، وتباع لأسرة الشاب الميت بمبالغ تصل إلى ٥٠٠٠ دولار، وتدفن الفتاة بجوار الميت حتى يجدها الشاب عندما يستيقظ، وقد قبضت الشرطة في إنجلترا، والصين على عصابات كثيرة من هذا النوع..

ضرب الزوجات:

في مقال محمود نافع بجريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ٢٢ من أبريل ٢٠٠٤ عرض لرسالة جامعية أعددتها د. إيمان بيبس عن ضرب الزوجات، وقد أجرت دراسة ميدانية قوامها ٤٤٤ سيدة ٩٦٪ منهن يتعرضن للضرب بشكل مبرح، وتعرض نسبة كبيرة منهن للضرب ١٠ مرات على مدى الحياة الزوجية، وكانت النتيجة أن ٦٠٪ من سيدات المناطق العشوائية يتعرضن للضرب بالكابل الكهربائي، ٢٠٪ من السيدات يتعرضن للضرب بالحزام، ٢٠٪ من السيدات يعاقبن بتوليفة من اللطم، واللکم على الوجه، والركل، والإصابة بالكدمات..

ينص تعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة عن أشكال العنف الموجه ضد المرأة في الأهرام بتاريخ ٦ من أغسطس ٢٠٠٢ على أنه فعل قائم على أسلوب عنيف ينجم عنه الإيذاء، أو المعاناة الجسمية، أو الجنسية، أو النفسية، أو الحرمان النفسى من الحرية في الحياة العامة، أو الخاصة، وعلى ضوء هذا التعريف أجرى د. ناهد رمزى، د. عادل سلطان بالمركز القومى للبحوث دراسة اجتماعية أثبتت أن المرأة في المجتمع المصرى تتعرض لثلاثة أشكال من العنف الأسرى، والعنف المؤسسى، والعنف

●● الجنس الثاني ●●

الاجتماعى، وأكثر هذه الأشكال هى العنف الأسرى تجاه المرأة فى مختلف أدوارها سواء كانت زوجة، أو ابنة مثل الضرب، والمعاملة القاسية، والختان، أو السخرية، والاستخفاف، والتهديد بالطلاق، أو المماطلة فيه، أو الاقتران بأخرى، أو هجر للزوجة فى سن كبيرة دون رعاية..

وصنفت الدراسة الممارسين للعنف ضدها بين الزوج ٧١,٩٪، والأب بنسبة ٤٢,٦٪، والأخ بنسبة ٣٧٪، ويندهش الباحثان من أن ٩٢٪ من نساء عينات البحث أجمعن على أن للزوج الحق فى عقاب زوجته دون النظر إليه باعتباره عنفا ضدها، أما العنف المؤسسى فيتمثل فى استبعاد المرأة من مراكز السلطة، وحرمانها من الترقى، وإظهارها بصورة سطحية، وباهتة فى وسائل الإعلام المختلفة، أما العنف الاجتماعى فيبدو من تعرض المرأة للمعاكسات، والتحرش الجنسى، والترهيب، والاعتصاب..

الإسلام والمرأة

ليس أدل على مكانة المرأة، وقدرها في المجتمع الإسلامي من سيرتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُبلغ هذا الدين، والمبشر به، ومع صحابته، وخلفائه الراشدين الذين ثبتوا أركان هذا الدين بعد أن تشرّبوا روحه، وتعاليم رسوله الكريم؛ فمن فحطنا للعلاقة بين الرجل، والمرأة في هذه الفترة الزاهية من تاريخ الإسلام الذي وجدوه متمشياً مع فطرتهم السليمة؛ فالرسول الكريم بعث للإنسانية كلها رجالاً، ونساء فلم يمتنع عن المرأة، وتحدث معها دون زوج، أو محرم ما دام يعظها، ويبسط لها أمور دينها تماماً كما يفعل مع الرجال، ولم نعثر في السيرة، ولا في الحديث، ولا حتى في القرآن على تخصيص معين يجعل المرأة في وضع مميز عن الرجل، أو أقل منه، ولم نقرأ، أو نسمع في السيرة أن الرسول الكريم قد حجب إحدى نساء بيته، أو جعل الكلام عنهن حظراً على نفسه، أو على أحد، فتراه يقول عن بنته السيدة فاطمة رضی الله عنها في حديث مشهور:

-«والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»..

فاطمة؟!.. من أهل بيته؟.. حرمه صلى الله عليه وسلم؟..

وفي حديث على الملاء سجلته الكتب، وسجله التاريخ؟.. عندما نزل الأمر:

-«وأنذر عشيرتكم الأقربين» الشعراء(٢١٤).. لم يتأن صلى الله عليه وسلم فصعد إلى جبل الصفا في

مكة، ونادى بأعلى صوته:

-«يا صفيّة عمّة الرسول».. وليست صفيّة فقط بل يعطف عليها ابنته فاطمة فيقول:

-«ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً، سلاني من

مالي ما شئتما»..

كل هذا القدر للنساء في تبليغ آية؟.. ولم يذكر رجلاً واحداً؟..

●● الجنس الثاني ●●

نعم فهو ليس رسولا عنصريا إنما بعث للناس كافة؛ الذكر، والأنثى، فلم يأمر بالحجر عليها كما يفعلون الآن، ولم يطلب أن يتكلم مع وليها من دونها في شئونها التشريعية الخاصة، حتى كتب الحديث ذكرت رواياتها للحديث دون مواربة، ولا استتار، وما روت سيرة النبي في حرم بيته، وفي سكونه إليهن إلا نساؤه الفاضلات فلم يرد أنه نهى عن ذكرهن، أو الأخذ منهن، ولم يتحرج الرواة من ذكرهن، والبحث في سيرتهن كالرجال تماما، أقام الرسول الكريم مجتمعا نقيًا نظيفًا كان فيه الرجل الطاهر المدرك لرسالته، وبدت فيها أيضا المرأة الطاهرة المدركة لرسالتها، فتهاجر المرأة مع الرجل في الصحراء المجذبة التي تخلو كثيرا من البشر، وعند الزواج أقدس علاقة بين الرجل، والمرأة تطلب المرأة الرجل الذي يصلح لها، كما يطلبها الرجل، ولاتبالي من الناس..

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت:

-«ما أخذت «ق والقران المجيد» إلا من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسا بلا وسيط»..

متى؟..

يوم الجمعة يقرأ بها على المنبر في كل جمعة(كانت تحضر الجمعة مع الرجال في مكانها في المسجد)..

بايعت الرسول يوم العقبة الثانية «نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف» التي اشتهرت «بأم عمارة الأنصارية»، والثانية «أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى» من بنى سلمة من الخزرج.. هل هي مجرد صدفة - ولا تجوز الصدفة في رسالات الله إلى البشر - أم أن وجود هاتين الصحابيتين الجليلتين في هذا الحادث الحاسم من تاريخ الإسلام رمزا يدل على عهد جديد للبشرية لا يرى فيه الإسلام فرقا بين عنصريها الرجل، والمرأة في مسئولية هذا الدين، والتبشير به بين الناس؛ فيرضى رسول الإسلام لامرأتين تخرجان مع قومهما بعد منتصف الليل حالك الظلمة، وتذهبان خلصة إلى شعاب الجبال في أقصى شمال مكة في اجتماع كان من الممكن أن يقوم به الرجال دون النساء على قلتهن.. ولنعرف مقدار هذه السيدة وما تحمل من روح فلنذهب معها إلى معركة أحد؛ عندما خرجت مبكرة تحمل إناء من الماء تسقى به الجرحى، فأبليت بلاء حسنا، وجرحت اثنا عشر جرحا بين طعنة رمح أو ضربة سيف، ثم تحيط برسول الله هي، وزوجها، وأبناؤها تذب عنه بينما هرب الرجال، وتركوه لينظر رسول الله لمن حوله فيلمح أحد الهاربين يحمل ترسه بعد أن تركوا رسول الله يلقي مصيره فينادى عليه صلى الله عليه وسلم:

●● الجنس الثاني ●●

- «يا صاحب الترس ألقى ترسك إلى من يقاتل»..

فلما ألقاه التقطته أم عمارة بسرعة لتحمي به رسول الله، وتحمي نفسها وهي تدافع عنه؛ حتى شهد لها بذلك فيما أخبر به عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم:

-«ما التفت يميناً، أو شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني»..

ثم يأتي معاتيه الكذب على رسول الله ليقولوا:

-«النساء ناقصات عقل ودين»..

ويعتمد بعض معاتيه الفقهاء على ذلك فيسقط العبادات عن مغيبى العقل، ولا ينقصها لمن هي ناقصة عقل ودين، فمن بالله من هو أنقص عقلاً وديناً؟!... ثم يتصدر المسلمون بالفتوى، وليذهب الإسلام بعده إلى العقلاء ليسفهوه، ويرفضوه، ويلوذوا بالإلحاد من هذا الهراء، ولأنهم معاتيه عقل ودين فقد نسوا أن يردفوه بحديث يعلنوا فيه أن الرجال كوامل عقل ودين، ولماذا - والأمر كذلك - أخذوا الأحاديث عن عائشة، وأم سلمة، أم كانتا جنسا آخر بين الرجال والنساء، وقد انتقدت عائشة الفهم السقيم، والقاصر لبعض الرجال في تفسير آيات القرآن..

لقد تزوج كل الداعين للمتعة من المسلمين رغم زهدهم في الحياة، وعوزهم بحجة أن رسول الله حبيب في المرأة، والزواج، ونهى عن العزوبية؛ فهل عرفوا عن رسول الله أنه لم يطلق امرأة أبداً على كثرة زيجاته؟.. ولما حدث منهن ما حدث اكتفى باعتزالهن، ثم جاء من بعده من ابتدع في الإسلام ما لم يأت به، وما لم يعرفه الرسول، وصحابته، فابتدعوا الفقه (والفقه يعني الفهم، فهل كانوا أفهم للإسلام من رسوله؟!..)، فأباحوا الطلاق بكم هائل من التيسيرات حتى أصبح الزواج في نظرهم متعة الرجل وحده (وكانهم يستعوضون به عن تحريم الخمر، والميسر، كما أضافوا إليه التسرى)، فإذا لم يجد المتعة طلق الزوجة، وأذلها، وشرذ أولادها لأتفه الأسباب، ولا بأس طالما أدى النفقة - ما أقلها وأيسرها، وما أقصر مدتها - ومؤخر الصداق..

النساء والمساجد:

بدأت الكارثة بحديث غير مقصود لذاته عن السيدة عائشة بعد وفاة الرسول قالت فيه:

-«لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد، كما منعت

● ● الجنس الثاني ● ●

نساء بنى إسرائيل..

فترك كثير من الفقهاء أحاديث الرسول كلها، والسلف الصالح، وتمسكوا بهذه المقولة لزوجة من زوجات الرسول حكموا بها بقعود النساء في المنازل، ومنعوهن من دخول المساجد، ومشاركة الرجل إقامة الشعائر، والعلم، والجماعة في بيت الله..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

-«لا تمنعوا إيماء الله مساجد الله»..

وفي عهد الخلافة الراشدة أمر عمر بن الخطاب سليمان بن أبي حثمة أن يؤم النساء في مؤخرة المسجد في شهر رمضان، كما روى ابن حزم أن عليا بن أبي طالب كان يأمر الناس بالقيام في رمضان، فيجعل للرجال إماما، وللنساء إماما، قال عرفجة - الراوي - فأمرني فأقمت بالنساء.. وروى الزهري أن عاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب كانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان يقول لها:

-«والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا».. فقالت:

-«والله لا أنتهي حتى تنهاني».. فقال عمر:

-«إني لا أنهاك».. فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفي المسجد..

روى مسلم عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

-«لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنتكم إليها».. فقال له بلال ابنه:

-«والله لمنعهن».. فأقبل عليه عبد الله بن عمر فنهره، وقال:

-«أخبرك عن رسول الله، وتقول والله لمنعهن».. وروى مسلم كذلك:

-«لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد»..

وفي الصحاح عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاهن:

-«إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا»..

والطيب هو المطهر الذي يقتل الجراثيم، ويمنع الروائح الكريهة، فلا يكون نافذ الرائحة، ملفتا للنظر، ويعلق ابن حزم على رواية «إن صلاة النساء في البيوت أفضل» متسائلا:

-«لما تركهن رسول الله في الحر، والبرد، والليل، والنهار يعانين التردد على المساجد إذا كانت بيوتهن

أفضل؟.. ولماذا أمرهن بالخروج تفلات غير متبرجات؟.. أما كان يستطيع منعهن صراحة؟»..

●● الجنس الثاني ●●

وقد أمر النبي بإخراج النساء إلى مصلى العيد حتى الحوائض، وأمر من لا جلباب لها أن تستعير من جارتها جلبابا لتخرج..

وقد بلى العالم الإسلامي بهذا المنع فأصبح النساء لا هم لهن إلا الأسواق، واجتماعات اللهو، وتضييع الوقت في القيل، والقال، وإدمان برامج التلفزيون التي تورث الغباء، وإبهار النساء بما لا يتفق مع ديننا، وقوميتنا، وأصبحت تخرج في أى مكان بلا حذر، ولا حرج إلا المساجد، والارتباط بها للتعرض للرحمات حتى أصبح الرجال أيضا يلتصقون بالنساء في هذا الأمر، وهجروا هم أيضا المساجد إلى كل الأماكن، فلا يمنع المرأة من المسجد إلا مشاغل البيت، والزوج، والأولاد، ورعايتهم، فإذا فرغت من هذا فلماذا لا تصحبهم إلى بيت الله؟..

ويروى البخارى عن سهيل بن سعد:

-«كانت منا امرأة تجعل من مزرعة لها سلقا، فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير مطحون فتكون أصول السلق عرقة (مرقة)، فكنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة، فنسلم عليها فتقرب بنفسها ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها»..

ذلك مجتمع سوى محترم، أما لو وجدت هذه المرأة في أيامنا هذه لطعنوا فيها بالأقاويل الباطلة، ليس من الرجال الموتورين المغرورين المعقدين نفسيا فقط، بل من النساء الأكثر عقدا، ونقصا لخوفها أن تخطف زوجها الهمام..

يقول صلى الله عليه وسلم:

-«إنك إن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك».. ويقول:

-«إذا أنفق الرجل على أهله نفقة، وهو يحتسبها كانت له صدقة»..

كما حث على الحلال فقال:

-«لإتيان زوجتك أجر، قالوا أفي هذا أجر يارسول الله، قال رأيت لو ألقاها في الحرام أفلا يجازى

عليها، كذلك إذا ألقاها في حلاله يؤجر»..

يقول الأطباء في نشرة منظمة الصحة العالمية:

-«إن أجل دور للمرأة في الحياة هو دور الأمومة، وتربية النشء»..

إن أعضاء المرأة الظاهرة، والخفية، وعضلاتها، وعظامها، وكثيرا من وظائفها العضوية مختلفة

●● الجنس الثاني ●●

إلى حد كبير عن مثيلاتها في الرجل، وليس الاختلاف في البناء الهيكلي، والعضلي فقط؛ بل التكوين العاطفي كما يقول العقاد:

-«فملازمة الطفل الوليد لا تنتهي بمناولة الثدي، وإرضاعه؛ بل لابد معها من تعهد دائم، ومجاوبة شعورية تستدعي كثيرا من التناسب بين مزاجها، ومزاجه، وبين فهمها، وفهمه، ومدارك حسه، وعطفه، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرا في أطوار حياتها من صباها الباكر، إلى شيخوختها العالية، فلن تخلو من مشابهة الطفل في الرضا، والغضب، وفي التدليل، والمجافاة، وفي حب الولاية، والحدب ممن يعاملها، ولو كان في مثل سنها، أو سن أبنائها، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة، أو تتركه باختيارها»..

وهذا الدور تؤكدُه البويضة التي تفرزها المرأة كل شهر منذ البلوغ، إلى سن اليأس، والمرأة طوال هذه الفترة (ثلاثون عاما تقريبا من حياتها، أي نصف عمرها غالبا) بين حمل، وولادة، ونفاس، وإرضاع، وما يكتنف ذلك من آلام، ومتاعب أعفتها الشريعة الإسلامية من بعض التكاليف في العبادة، كالصلاة أثناء الحيض، كما نهتها أيضا عن الصوم، وقضائه في أيام آخر، فإذا كان خالقها تعالى قد وضع عنها هذه التكاليف أيام معاناتها فلماذا نحملها ما لا تطيق بمزاعم مساواتها بالرجل، وهي بذلك تكون الأنثى الوحيدة بين سائر الكائنات التي تضطلع بهذه الآلام، والتبعات فلا تفرز الإناث بويضاتها إلا في فترة محدودة من العام، ولا يقربها الذكر نهائيا إلا في موسم التزاوج خاصة إذا حملت، بينما على المرأة إخماد شهوة زوجها كلما أراد..

وقد ينبهنا من يقول:

-«إن كل أم امرأة، ولكن ليست كل امرأة أما»..

-«ويجعل من يشاء عقيما» الشورى(٥٠)..

نعم هي عقيمة بكل مقاييس الخلق، والعلم، ولكن ألا تتوق إلى هذا الدور مع أي طفل حتى لو كان زوجها؟..

ورغم أن رعاية الصغار عبء مشترك إلا أن آلاما قد تحتل النصيب الأكبر من هذا العبء إذا كانت متفرغة بالمنزل، مع انشغال الزوج في الخارج سواء في خضم عمله، أو سفره، أو حتى موته؛ وقد تنقطع لأطفالها وهي لا تدري أنها من أجل القربات إلى الله سبحانه وتعالى كما بين الرسول الكريم:

●● الجنس الثاني ●●

-«أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة، مشيرا بأصبعيه السبابة، والوسطى، امرأة آست من زوجها ذات منصب، وجمال حبست نفسها على نيامها حتى باتوا، أو ماتوا»..
والزواج وهو الميثاق الغليظ عهد، ووفاء لا يغيره إلا سفيه، ففي الحديث الشريف:
-«أما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر، أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، بيت الغدر في نفسه، خدعها فمات، ولم يؤدي إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان»..
فالرجل الذي لا قبل له بالزواج، وتبعات الزواج من كفاءة، وصحة، ومال فلا زواج له، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة، فهو عطاء، وإنكار للذات:
-«هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» البقرة(١٨٧).. ويقول الرسول الكريم:
-«من استطاع منكم الباءة - القدرة على الزواج - فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»..

أى قاهر للغريزة، ويقول موصيا آباء البنات:

-«لاتنكحوهن إلا بإذنهن»..

القوامة، وحق الطلاق ليست حقا مطلقا للرجل لا يناقش، فقد أنزل الله الأمر بالشورى في جماعة المسلمين وهم بمكة، فلم تكن هناك بعد شئون عسكرية، أو إدارية لدولة، بل كانت للجماعة الإسلامية، ونواتها الأولى الأسرة، والبيت، ويبين الكاتب «أحمد موسى سام» ذلك بقوله:
- «إن القوامة للرجل لا تزيد عن أن له بحكم أعبائه الأساسية أن تكون له الكلمة بعد المشورة ما لم يخالف شرعا، أو ينكر معروفا، أو يجحد حقا، أو يجنح إلى سفه، أو إسراف، ومن حق الزوجة عليه إذا انحرف أن تراجع، وألا تأخذ برأيه، وأن تحتكم في اعتراضها عليه بالحق إلى أهلها، أو إلى سلطة المجتمع الذي له، وعليه أن يقيم حدود الله»..

وهذا الأمر ضيقه الله تعالى بالحدود التي ذكرها في آيتين من آيات الطلاق ست مرات، حدود تمنع الفوضى، والاستخفاف، والاستضعاف، فيقول تعالى:

-«الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون(٢٢٩) فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم

●● الجنس الثاني ●●

يعلمون(٢٣٠)» البقرة..

والنفقة من أمور القوامة معصوبة بجبين الرجل وحده، وإنفاق المرأة في البيت مؤقت، وتطوع غير ملزم، ولا يحق قبوله إلا برضاها..

روى الشيخان أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره أن امرأته خرجت للحج، وهو يكتب في إحدى الغزوات، فرد عليه قائلا:

-«انطلق فحج مع امرأتك».. فليس من النخوة أن يترك زوجته وحدها تطوى الطريق بالليل، والنهار مخافة تهجم السفلة، وقطاع الطريق عليها، هذه قوامة لا يتنحى عنها الرجل، ولا تترك للمرأة مهما ساد الأمان..

صوت المرأة، ووجهها ليس بعورة كما شاع بين الناس الذين ساءت طباعهم، وأخلاقهم، فلكثرة ما دأبوا على الإثم، وانتهاك الحرمات عزوا هذه الأقوال، واعتقدوها متوهمين أن ذلك يحفظ عليهم زوجاتهم، وبناتهم متناسين قول الرسول الكريم

-«الزاني يزني به ولو بجداره»..

روى مسلم عن أنس أن أم سليم رضی الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرا، فرأها أبو طلحة، فقال يارسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما هذا الخنجر؟.. فقالت اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل رسول الله يضحك..

وأخرج الطبراني عن مهاجر أن أسماء بنت يزيد، وهى من المبايعات فى العقبة قتلت فى معركة اليرموك تسعة من الروم بعمود خيمتها..

وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نغزو فنسقى القوم، ونخدمهم، ونرد القتلى، والجرحى إلى المدينة..

وروى مسلم عن أم عطية الأنصارية قالت غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوى الجرحى، وأقوم على الزمنى(أصحاب الأمراض الطويلة، أو ما نطلق عليها هذه الأيام «المزمنة»)..

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال إذا حَرَّمَ الرجل امرأته فهى يمين يكفرها(يعنى لا يقع طلاقا)، وفى رواية أخرى أن رجلا جاءه، وقال له إني جعلت امرأتى حراما فقال له ابن عباس كذبت ليست عليك بحرام، ثم تلى قوله تعالى:

●● الجنس الثاني ●●

-«يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم(١) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم(٢)» التحريم.. عليك كفارة يمين..

إن هواة خراب البيوت العامرة، وجعل المرأة أيها، والأولاد يتامى، وأبوهم حى يرزق؛ يتذرعون بمذهب الإمام مالك بأن التحريم يعد طلاقاً بائناً بينونة كبرى..

يردد البعض الذين يأخذون الدين من الأفواه، وما تعارف عليه الناس، أو كتب غير منقحة أحاديث لم تخضع للتحخيص بعد عرضها على القرآن لبيان نسبتها للرسول، أو أنها موضوعة لغرض في نفوس منحرفة، مثلما ذكر الجزء الثالث من «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته..» أخرجه أبو داود..

أثرت البيئة كثيرا، والعرف الذى نشأ فيه المفسرون، والفقهاء على نظرتهم للمرأة، فتحدث صدر الدين الشيرازى، والغزالي، والفخر الرازى، وابن قتيبة وغيرهم عن عقد الزواج(الميثاق الغليظ فى القرآن) بأنه عقد تملك وضع، وقاسوه بعقد الإيجار، وأن الإنفاق على الزوجة مقابل الاحتباس(كالجارية، والأمة)، أما الراغب الأصفهاني الإمام، والعالم الكبير فقد كتب بابا فى «فضل تمنى موت المرأة»، و«موت البنت»، وكان الإمام، والعالم الجليل لا يدرى شيئا عما جاء به القرآن من تسفيه أحلام كفار الجاهلية إذ يقول عنهم:

-«وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم» (النحل(٥٨)..

فقد طغى على الإمام مرضه الذهنى، وعقده النفسية العميقة، ليغفل، أو يتغافل عما جاء به الدين من نصوص واضحة بينة نزلت لتخلص البشر مما علق فى أذهانهم من أمراض، وما اكتنف أنفسهم من عقد، فإن لم يشف الدين الأمة، والعلماء؛ فكيف نلوم على العامة؟!..
والقرآن الكريم يقول:

-«فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره(٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره(٨)» الزلزلة..

فكيف لا يسأل عما هو أثقل كثيرا من وزن الذرة، وهو الاعتداء على إنسان دون مبرر لمجرد رغبة فى الاعتداء، أو أمر فى نفسه وهو القائل أيضا:

-«ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» البقرة(١٩٠).. ويقول:

- «أمسكوهن معروف أو سرحوهن بإحسان» البقرة(٢٣١)..

● ● الجنس الثاني ● ●

وقوله صلى الله عليه وسلم:

-«استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك».. ووصيته قبل وفاته:

-«الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم(النساء، والخدم)، فكيف ينسب إليه حق الرجل في الضرب بلا مبرر، وهو الذى تزوج كثيرات لم يضرب إحداهن مرة رغم تطاولهن عليه - وهو النبى المرسل - أحيانا؟!..»

ولم يتجاوز الإسلام في الضرب إلا بالسواك، ولا أكثر، ولا يكون على الوجه، يقول الرسول الكريم:
-«ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، أى لا تقل لها قبحك الله»..»

ومع ذلك لا يسيغ الشرع هذا الضرب إلا في حال النشوز، وهو ترفعُ الزوجة، واستعلائها، فتستكبر على الزوج، وتستنكف طاعته، ويدفعها ذلك إلى كراهية الاتصال به في أمس وظائف الزواج، أو تأذن في دخول البيت لغريب لا يعرفه، وما يؤدي ذلك من شبهات تلوكها الألسنة تزلزل العلاقة الزوجية، وتجعلها عل حافة الهاوية..

وما عدا هذا فيقول القرآن:

-«فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا» النساء(٣٤)..»

وختام الآية يتضمن صفتين من صفات جلال الله سبحانه، وتعالى، وهما «العلو»، و«الكبر» الذى لا يكون إلا لله، ولا يكون من الزوج على زوجته إذا أطاعته، وهما لله على الزوج، والزوجة فلا كبر، ولا علو:

-«وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا» النساء(٣٥)..»

حالات نساوى الرجل وامرأة فى الميراث والشهادة:

من حديث د. حمدى زقروق وزير الأوقاف لملحق الجمهورية الأسبوعى(محبوبتى) الصادر فى ١٦ من سبتمبر ٢٠٠٤ أشار فيه إلى أن وزارته أصدرت كتابا حول «الميراث»، تتم ترجمته إلى الإنجليزية بعنوان «حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين» اشترك فى تأليفه ستة من العلماء، يوضح هذا

الكتاب أن هناك:

- «أربع حالات» فقط تأخذ فيها المرأة نصف الرجل في الميراث..

- و«ثلاثون حالة» تأخذ مثله، أو أكثر منه، أو تأخذ، وهو لا يأخذ..

وبعملية حسابية بسيطة، وبفرض أنها تحصل على نصف ما يرثه الرجل؛ فهي في الإسلام غير مكلفة بالإنفاق على أسرته، في حين يكلف الرجل بالإنفاق على والديه، وإخوته البنات إذا لم يكن لهن عائل؛ فالمرأة تنمي ما ترثه عكس الرجل، وحتى لو كانت موظفة لا يحق لزوجها أن يأخذ مليماً واحداً من مرتبها إلا برضاها، ولكن للأسف ما زالت لا تحصل على ميراثها في بعض الجهات كالصعيد مثلاً.. ومن بيان لجنة الفتوى بالأزهر الشريف لنفس الجريدة الصادرة في ١ من نوفمبر ٢٠٠١ يوضح أن هناك حالات كثيرة منها؛ تساوى الأم مع الأب في استحقاق سدس التركة إذا كان للميت ولد، قال تعالى:

-«ولأبويه لكل منهما السدس مما ترك إن كان له ولد» النساء(١١)..

والأخوة لأم كما قال تعالى:

-«وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر

من ذلك فهم شركاء في الثلث» النساء(١٢)..

يستوى الذكر مع الأنثى في النصيب مهما كثروا، وأيضاً إذا ترك الميت بنتاً، أو أختاً، فلبنت النصف فرضاً، وللأخ النصف الباقي تعصيباً..

كذلك لو ترك الميت بنتين، وأختاً؛ فلبنتين الثلثان فرضاً لكل منهما ثلث، وللأخ الثلث الباقي تعصيباً،

ومثل الأخ، وابن الأخ، والعم، وابن العم..

ترث المرأة مثل الرجل في حالتين هما:

إن مات وترك أبا، وأماً، وابناً ذكراً، فإن لكل من الأب، والأم السدس، يقول تعالى:

-«ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد» النساء(١١)..

كما أن المتوفى لو كان كلالة (أي لم يترك فرعاً وارثاً، ولا أصلاً وارثاً)؛ وترك أخوة من الأم فإن الأخ من الأم يأخذ مثل الأخت من الأم وهو السدس لقوله تعالى في آية النساء السالفة(١٢)، وقد ترث المرأة أكثر من الرجل في حال ما لو ترك ابنتين، وأختاً، فإن البنتين تأخذان الثلثين، والأخ يأخذ الباقي وهو الثلث، وقد تحجب المرأة الرجل كما لو ترك بنتاً، وأختاً شقيقة، وأختاً من الأب، فإن البنت تأخذ

●● الجنس الثاني ●●

النصف فرضاً، والأخت الشقيقة تأخذ الباقي تعصيباً مع الغير، ولا يأخذ الأخ من الأب شيئاً لقوله صلى الله عليه وسلم: -

«اجعلوا الأخوات مع البنات عصبه»..

أو هكذا، فإن نصيب البنت يختلف من حالة إلى أخرى، والأصل في التعصيب؛ وهو أن يأخذ الرجل ضعف الأنثى عندما تتساوى درجة القرابة كابن، وابنة، وأخ، وأخت، ولا بد أن نؤكد أن هذا التوزيع من لدن حكيم خبير غنى عن عبادته، راعى فيه توزيع الأعباء الاجتماعية على كل من الرجل، والمرأة؛ فالرجل هو المسئول عن الإنفاق على الأسرة من دفع المهر، ونفقة الزوجة، ومؤخر الصداق، وأجرة الرضاعة، والمرأة معفاة تماماً من هذه المسئوليات، ولا تسهم فيها إلا بطيب خاطر منها، وبرغبتها.. وتجميل د.زينب رضوان أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة، وعضو المجلس القومي للمرأة في محبوبتي عدد ١٤ من يوليو ٢٠٠٥ ميراث المرأة فتقول إن الورثة ينقسمون إلى أصحاب «فروض»، وإلى «عصبات»؛ فبالنسبة لأصحاب الفروض فهم كما نص عليهم القرآن اثني عشر فرداً «ثمانية من الإناث، وأربعة من الذكور»..

والنساء هم: الأم - الجدة - الزوجة - الابنة - ابنة الابن - الأخت الشقيقة - الأخت من أب - الأخت من أم..

أما الذكور فهم: الأب - الجد - الأخ - الأخ لأم..

بالنسبة للحالات التي نرث فيها امرأة نصف الرجل هي:

١ - وجود البنت مع الابن لقوله تعالى:

-«يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين» النساء(١١)..

٢ - عند وجود الأب مع الأم، ولا يوجد أولاد، ولا زوج، أو زوجة لقوله تعالى:

-«فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث» النساء(١١)..

فهنا فرض الثلث للأم، والباقي الثلثان للأب..

٣ - وجود الأخت الشقيقة، أو الأخت لأب مع الأخ الشقيق، أو الأخ لأب لقوله تعالى:

-«وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين» النساء(١٧٦)..

- ٤ - إذا مات أحد الزوجين، وترك الآخر يكون الميراث كالاتي:
- عند وجود بنات، يرث الزوج النصف، أما الزوجة فترث الربع..
- عند وجود أبناء، يرث الزوج الربع، أما الزوجة فترث الثمن..

أما بعض الحالات التي نرث فيها امرأة مثل الرجل فهي:

- ٥ - ميراث الأم مع الأب، في وجود ابن ذكر، وزوج:
- يحصل الزوج على ربع التركة..
- الأب السدس..
- الأم السدس..
- الابن بقية التركة..
٦ - تساوى الأب، والأم مع وجود بنت واحدة، وزوج:
- يحصل الزوج على ربع التركة..
- تحصل البنت على نصف التركة..
- يحصل الأب على السدس..
- تحصل الأم على السدس..
٧ - تساوى الأب، والأم مع وجود بنتين:
- السدس للأب..
- السدس للأم..
- الثلثان للبنتين..
٨ - وهناك حالات تأخذ فيها الجدة مثل الأب مع كونها جدة لأم..

أما الحالات التي نرث فيها امرأة أكثر من الرجل:

- أكبر الفروض في القرآن وهو الثلثان للنساء فقط، ولا يحصل عليه الرجل..

- النصف لا يأخذه من الرجال إلا الزوج عند عدم وجود فرع وارث، وهو قليل الحدوث، ويبقى النصف لأربع من النساء...
- الثلث يأخذه اثنتان من النساء هما: الأم عند وجود فرع وارث، وتأخذه الأخوات لأم إذا لم يوجد أصل، ولا فرع وارث؛ بينما يأخذ الثلث الأخوة لأم بنفس الشروط..
- السدس يأخذه ثمانية؛ خمس من النساء، وثلاثة من الرجال..
- الربع يأخذه الزوج إذا وجد فرع وارث للزوجة، وتأخذه الزوجة إذا لم يوجد فرع وارث، وتأخذ الثمن إذا وجد فرع وارث..
- فالنساء يرثن في سبع عشرة حالة بالفرض، بينما يرث الرجال في ست حالات فقط بالفرض..

ماذا كانت شهادة اطراف نصف شهادة الرجل؟..

من فتوى د.سعاد صالح الأستاذ بجامعة الأزهر للأهرام في ٣ من مايو ٢٠٠٢ تقول:

-«الأصل في الشهادة الإخبار عن الغير، ولها مرحلتان: مرحلة التحمل، ومرحلة الأداء، كما أن لها مجالات كثيرة منها عقود المعاوضات كالبيوع، ومنها الجنائيات، والحدود، ومنها الأحكام الخاصة بالنساء كإثبات البكارة، والثبوية، والحمل، والرضاعة؛ فبالنسبة لمجال التحمل فإن المرأة تصلح لها في جميع المجالات، أى أن المرأة تشاهد الحادثة أيّاً كانت، ولكن عند الأداء فإنها تختلف باختلاف المجال الذى فيه الشهادة، فإن كانت الشهادة على البيوع وغيرها من عقود المعاوضات، وهى كل بدل يقابله أجر فإنها لا بد من شهادة امرأتين لقوله تعالى في سورة البقرة في آية المدائنة «واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى»، وقد بينت الآية الكريمة الحكمة من وجود امرأتين وهو الخوف من أن تنسى إحداهما جزءاً من الشهادة فتأتى أختها فتذكرها بما نسيت نظراً لأن هذا المجال يقوم على الحسابات، والموازين، والمقاييس، والمرأة نتيجة انشغالها ببيتها، وأبنائها قد تنسى، ولكن بالنسبة للرجل إذا نسى جزءاً من الشهادة في هذه المجالات فإن شهادته تسقط، وتبطل، ولا يأتى رجل آخر يكمل له ما نقص منها، وهذا يبين تكريم الإسلام للمرأة في هذا المجال، أما إذا كانت الشهادة في مجال الجنائيات، والحدود كالقتل، والزنا فإن الإسلام قد أبعد المرأة عن هذه المجالات التى تقوم على

●● الجنس الثاني ●●

الهتك، وسفك الدماء، وذلك صيانة لها، أما في المجالات التي تكون الشهادة فيها خاصة بالمرأة فإنه لا يقبل فيها إلا شهادة المرأة حتى وإن كانت واحدة»..

وفي تفسير قوله تعالى:

-«فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى» البقرة(٢٨٢)..

وقد فسرها المفسرون تفسيراً سطحياً سهلاً كالعادة اعتماداً على الحديث الذي ذكره مسلم عن قتبية عن إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

-«يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار»..

فقالت امرأة منهن جزلة:

- وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار؟.. قال:

-«تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكن»..قالت:

- يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟.. قال:

-«أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل؛ فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلى، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين»..

والحديث لمن يقرأه جيداً يدرك أنه ملقى لأن أوله ليس كنهائيه من حيث قوة لغة الرسول الذي أوتي جوامع الكلم، ولفظ الحديث، والإعراب، فيبدو أن الحديث كان الجزء الأول فقط، أما الاستطراد التالي فلا بد أنه أضيف إلى الحديث كشيء من التفسير للجزء الأول، حتى من الممكن القول بأن الجزء الأخير مدسوس على الحديث عنوة ففيه خطأ من حيث مراعاة قواعد اللغة مثل «تصلى»، وصحتها «تصل» بحذف حرف العلة، هذا عدا ركاكة هذا الجزء من الحديث، وما عرف عن الرسول الكريم من جزالة لغته كما في الجزء الأول، كما أن هذا الجزء لا يبين تشريعاً معروفاً فقد نفى عنها صلاة الليالي بالذات، يعنى صلاة العشاء، كما اتهمها الحديث بإفطار رمضان بغير عذر فلم يذكر لماذا، وهذا لم يؤثر عن رسول الله في البيان خاصة بخصوص التشريع الذي لا نستطيع معه أن نقول إن التشريع يفهم من سياق الحديث، أو يفهم من حديث آخر فهذا غير مقبول، وقد اعتمد من دس هذا الجزء على «ناقصات عقل ودين» وهو ما يتنافى مع العقل، والتكليف، وينفى العدل عن

●● الجنس الثاني ●●

الله تعالى - حاشا لله - ويعتبره كارها للمرأة - كإله بنى إسرائيل - التي خلقها وكرمها كبنى آدم:
-«ولقد كرمنا بنى آدم» الإسراء(٧٠)..

-«من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم» النحل(٩٧)..
فلو كانت كذلك فلم لم يجعل حسابها نصف حساب الرجل، وعذابها نصف عذابه، بل الحديث يوضح أن النار تمتلئ بهن، وهو ما يتنافى كلية مع هدف الحديث، فناقصات عقل، ودين مداعبة لهن من الرسول الكريم الذى حُبب إليه الطيب، والنساء من باب التكريم لهن، وقرنهن بالطيب، كما داعب معاذ بن جبل - وهو من أحب الناس إليه - بقوله:
-«ثكلتك أمك يا معاذ»..

ومن هنا فهم المفسرون الآية بأن المرأة نصف الرجل وهذا غير صحيح كما وضحنا، ففسروا الآية تفسيراً عددياً حسابياً، ولم يفهموا أن الآية تطرح مبدأ تتميز به الطبيعة البشرية في التنافس بين الجنس الواحد، فصاحب المهنة يتنافس مع من هو في نفس المهنة، والرجل ينافس مع رجل مثله، والمرأة تتنافس مع امرأة مثلها فيظهر الحق في هذه الحالة، والإجادة في الأعمال، ولكن ليس من الطبيعة تنافس رجل مع امرأة، ومن هنا لم يفتن المفسرون لقصد القرآن، ومن أنه طرح قضية نفسية في غاية الخطورة لبيان الحقوق خاصة ما يتعلق منها بالأموال ولا سيما في السفر..

زواج الرسول:

هذا الموضوع من الأسباب التي يجد فيها المتعصبون ضد الإسلام مدخلا للتهجم على الإسلام في شخص رسوله الكريم، وهذا التعصب لا يأتي من غير المسلمين فحسب بل من المسلمين أنفسهم، وللحكم على شخص في سلوك ما لا ينبغي عزله عند النقد عن عصره، وبيئته؛ فمهما قيل عن زواجه صلى الله عليه وسلم، ودوافعه، لا نقول سوى أنه زواج تكتيكي من أجل الدعوة، ومنذ التاريخ الأول للبشرية كان الزواج دائماً لتدعيم العلاقات الإنسانية في بداياتها وقتما تحتاج لتدعيم، وكذلك بعد الحروب لإثبات حسن النوايا، وتعزيز السلام الذى يعقب الحرب غالباً؛ ومن الزيجات ما كان مانعاً للحرب، فلم يكن الرسول الكريم بدعا في هذا بمقياس زمنه، وبيئته اللتين نشأ فيهما، فالرجل نبى، وقدوة..

●● الجنس الثاني ●●

يقول ر. ف. بودلى في كتابه «الرسول.. حياة محمد» عن افتراءات الغربيين على الرسول الكريم في مقدمته للكتاب، عند الحديث عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كتبها الغربيون، والشرقيون على السواء:

-«جميع هذه السير ينقصها شيء، إنها غير كاملة وقد أخفقت في عرض موضوعها من كل الزوايا، فإن محمد يظهر عادة كصورة محددة على حائط أبيض، قد تكون الصورة روحية، أو مادية، أو مخيية للآمال، وأيا كانت الصورة فإنها منعزلة، فمن النادر أن نجد ظلال البيئته، وأن الصورة تبدو صورة باهتة أُلصقت على ورق مقوى ملطخ، وما كان محمد سهلا منبسطا فقد كانت له أبعاد كثيرة، وما كان هناك شيء لا لون له في حياته»..

وكان النبي الكريم بزواجه المتعدد هذا يضع نهاية لظلم المرأة، ومهانتها على مر التاريخ؛ حيث كانت غالبا من مزايا النصر في الحروب الكثيرة فقال فيها قولته الشهيرة:

-«حب إلى الطيب والنساء»..

نعم يحب تكريمهن بالطريقة التي تقر بها أعينهن؛ وهو الزواج، والبيت، والأسرة، ثم تكريم الله تعالى لهم بجعلهن أمهات المؤمنين، وعلى المتعصب بناء على هذه المقدمة استعراض كل زيجة من زيجاته، وظروفها، وسنن من تزوجها، ونصيبها من الأنوثة، والشباب، ومغريات الاستمتاع؛ فلا يجد إلا جبران الخواطر، وتدعيم أواصر الود للقبائل الداخلة في الدين الجديد بالنسب، المصاهرة..

وهل رجل كالنبي الكريم كانت عيदान الحصر تنطبع على جلده وهو نائم، ولم يكن يوقد في بيوته نارا لظهو الطعام قرابة الشهرين هو ذلك الرجل الذي يتزوج النساء للمتعة، والفحولة الجنسية، والكل يعلم أن ذلك يحتاج الفراغ، والموائد العامرة بأطياب الطعام، والشراب، والمشهيات، والهواضم، والمقويات؛ إنه ادعاء جاهل، أو تجنى حقوق، وضرب من غباء النقدر.

إن المتعصبين لم يفعلوا سوى أنهم عبروا الرجل برجولته، ومروءته وهو جمال يضاف لجماله فلا نقص، ولا عيب..

أحاديث وردت في حق البنات:

روى البخارى، ومسلم:

●● الجنس الثاني ●●

-«من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار»..
وروى مسلم:

-«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصبعيه»..
وفي حديث أبي داود، والحاكم:

-«من كانت له أنثى فلم يتدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»..
وفي حديث أحمد بإسناد جيد:

- «من كان له ثلاث بنات يؤدبهن، ويرحمهن، ويكفلهن وجبت له الجنة، قيل يا رسول الله: فإن كانتا اثنتين؟.. قال: وإن كانتا اثنتين» فرأى بعض القوم أن لو قالوا واحدة لقال واحدة..
أخرج الطبراني:

-«إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل، سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء على الرجال»..
وقد قيل أن من بركة المرأة ابتكارها بالأنثى لقوله تعالى:

- «يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور» الشورى(٤٩)..
فقدمهن في الذكر..

يقول تعالى:

- «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» النساء(٣٤)..
من الرجال أغنياء، ومن النساء أيضا، ولكن..

ما هو مصدر رزق الرجل؟..

وما هو مصدر رزق المرأة؟..

قد يكون هذا الرزق قد جاء بلا تعب، ولا ذكاء، من الميراث مثلا، ولكن هيا بنا نعقد مقارنة بين عدد من الرجال، وعدد من النساء الذين جمعوا أموالا بالذكاء، والحرفة، فمن النساء لا نكاد نذكر أسماء قليلة بالنسبة لأعداد الرجال الذين كونوا ثروات من لا شيء، وكما أن هناك رجال أعمال؛ فهناك أيضا سيدات أعمال، ولكن كم واحدة برزت، وعرفت عالميا، أن ذكاء المرأة في جمع المال لا يرقى بحال إلى ذكاء الرجل، والمرأة التي عرفت بجمع المال لا نجد مجموعا لها عن طريق الذكاء، والأعمال بل عن طريق الميراث - غالبًا - من الرجل سواء الأب، أو الزوج..

●● الجنس الثاني ●●

نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر ٣ من مايو ٢٠٠٢ أسماء ١٢ مليارديرة في أنحاء متفرقة من العالم بنسبة ١٢,٥% من إجمالي الملياردرات في العالم، وقد حصلن على ثروتهن الطائلة عن طريق الوراثة بالدرجة الأولى، أو الزواج برجال ذوي ثراء فاحش، وهؤلاء هن:

ليليان بيتنكورت ١٥,٢ مليار دولار (ألمانيا)..

جوهانا كوانت، وأسرتهها ١٢,٨ مليار دولار (الولايات المتحدة)..

ابيجال جونسون ٧,٤ مليار دولار (الولايات المتحدة)..

أكوابين بادجرمارس ٥,٥ مليار دولار (الولايات المتحدة)..

تينا وانغ ٣,٧ مليار دولار (هونغ كونغ)..

شارى آريسون دورسحان ٢,١ مليار دولار (إسرائيل)..

أماليا لاکروز دي فورنابات ١,٦ مليار دولار (الأرجنتين)..

ديرس فامارجو، وأسرتهها ١,٥ مليار دولار (البرازيل)..

ايرنستينا هيراردى نوبل ١,٢ مليار دولار (الأرجنتين)..

ليزلونت تام ١,١ مليار دولار (السويد)..

ماريا أزامبو روزبالا ١ مليار دولار (المكسيك)..

اليشيا كوبلو فيتز ١,٢ مليار دولار (أسبانيا)..

الزواج

في القرآن، والتوراة قصة خلق آدم، ثم خلق حواء منه؛ فأدم قد خلق ليجد بيتا، ومأوى، والجنة على سعتها، وجمالها لم يسكن إليها إلا عندما وجد حواء أمامه، ووجدت نفسها أمامه فكان هو عاملها - هو وجنته - التي هو بيتها في ذلك الوقت، وبيته فلا غناء عنه، ولا فكاك منه، ومن جنته، أو بيته المريح، فلم نعلم أن حواء استنكرت، أو تمردت، ولكن رحبت، وعاشت، وعندما طردا معا من الجنة لم تتركه مع ما حدث له من انتقال من الجنة، والنعيم، والكسل إلى شقاء الحياة، وشطف العيش، فعلى الأرض من لا يعمل لا يأكل، ورغم سعة الأرض، وشقاؤها معه لم تتركه أيضا فقد شعرت معه بوحدة المصير..

والمرأة هي الأسرة، فهي النواة التي هي أصل الشجرة، وهي الملاذ، والسكن كما أرادها الله تعالى، وبدون المرأة، وتواجدها المطلق، والفعال ذات المجالات الثلاث من السكن، والمودة، والرحمة التي تكون الطول، والعرض، والارتفاع، وهي الأبعاد التي تكون البيت الذي هو الاحتواء، والهدوء من حركة الحياة وصخبها في الخارج، فإذا انهار أحد هذه الأضلاع فستنهار بلا شك عملية الاحتواء كلها، وينسحب هذا أيضا على المجتمع الذي تمثل الأسرة نواته الأولى، وركيزته الأساسية..

والمهر في الإسلام ليس بالهبة، ولا المنحة، ولا حتى ثمن للمرأة، ولكنه صداق:

-«وأتوا النساء صدقاتهن نحلة» النساء(٤)..

ولم يعد أيضا أساسيا في الزواج قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ليس لديه ما يدفعه مهرا:

-«التمس ولو خاتما من حديد».. وقال لرجل لم يجد مهرا:

-«مامعك من القرآن؟.. قال معى سورة كذا، وكذا، قال أتقرؤهن عن ظهر قلب؟.. قال: نعم، قال

النبي: اذهب فقد زوجناها بما معك من القرآن».. وقال:

●● الجنس الثاني ●●

- «لو أن رجلاً أعطى صداقاً ملء يديه طعاماً كانت حلالاً له».. قال أيضاً:
-«خير الصداق أيسره».. ولم يصبح المهر ثمناً لها بل هدية من الرجل..
في العصر الطولوني حررت عقود الزواج من أكثر من نسخة تحمل بيانات عن الخطوبة، والشهود،
والمهر، والمعجل، والمؤخر، ووصايا بحسن الصحة، والمعاشرة، وشرط الزوجة بطلاق أى امرأة يتخذها
الزوج بعد الزواج منها، وبيع أى جارية يتخذها بعد الزواج..

مبدأ العاقبة بين الرجل والمرأة:

من الحاجات الأساسية للإنسان الطعام، والجنس بمعنى أن النظام الاجتماعى عادة ما يهيئ للإنسان
تأمين حياته على المدى القريب بالعناصر الغذائية التى تبقيه على قيد الحياة بما توفره من طعام
متنوع، وكذلك استبقاء النوع على المدى البعيد بالتناسل، ومن هنا بدأ الاجتماع الإنسانى بالقبيلة
قبل أن يرقى إلى مستوى الدولة، والتى كانت الأسرة هى نواتها الأولى فى الاجتماع الإنسانى الذى كان
حتمية لإنسان تحيطه الأنياب، والمخالب، وقسوة الطبيعة من كل جانب، وكما كانت القبيلة صورة
من صور توزيع العمل، فقد آلت هذه الوظيفة للدولة لاتساع مفهوم الحماية اللازمة للأسرة المتكونة
التي تمم الدولة هى أيضاً باتساع الأفراد، وانتشارهم بما تخلفه من نسل.
فى استطلاع للزوجات نشرته جريدة أخبار اليوم فى ٢١ من يونية ٢٠٠٣ أكد ٩٠٪ منهن أن الزوج
المصرى ناكر للجميل، وما زال يعيش دور «سى السيد»، ولا يعترف أبداً بالدور الذى تقوم به الزوجة
التي تشارك فى مصروف البيت، وتقوم بدور الأم، والزوجة، والمدرسة، والخدمة، ولا تتقاضى أجراً
مقابل ذلك مما يجعل المرأة محملة بكثير من المسؤوليات، والضغوط التى تجعلها مرهقة، وعبوسة
طوال الوقت ليصفها الزوج بأنها نكدية..

الزواج المبكر:

بالنسبة لمشكلة الزواج المبكر يورد د.خالد منتصر فى كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» دراسة
ميدانية فى إحدى قرى الجيزة عن ٤٥,٨٪ من إجمالى عينة البحث تحت سن ١٦ سنة، ٨٧,٩٪ فى سن

●● الجنس الثاني ●●

العشرين، ٣٦٪ في دراسة أخرى للزواج تحت سن ١٦ سنة، وأن ١٥ - ٢٠ ٪ من مواليد الوطن العربي يولدن من أمهات مراهقات، وذلك للأسباب الآتية:

- صيانة عفاف البنت..
 - الحفاظ على الشرف، والخوف من العنوسة..
 - التخلص من عبء إعالتهن، أو الاستفادة من مهورهن..
 - الرغبة في الكثرة، والعزوة..
 - تقليص الفارق العمري بين الآباء، والأبناء..
 - إثبات سطوة الأب..
- وتبين الدراسات أن احتمالات الوفيات في الفتيات من عمر ١٠ - ١٤ سنة بسبب الحمل، والولادة تزيد ٥ أضعاف عن الوفاة في السيدات من سن ٢٠ - ٤٥ سنة؛ كما تحرمهن من فرص التعليم، أو يتسربن من التعليم، كما أن فارق السن كان ٢٠ سنة، أو أكثر بنسبة ٦٥,٧ ٪ من الزيجات، ونسبة الطلاق ٤٩ ٪، ويتطرق د.خالد إلى ظاهرة زواج المصريات الصغيرات من شيوخ من البلاد العربية البترولية بواسطة السماسرة، وهي ليست مشكلة اجتماعية بقدر ما هي مشكلة أخلاقية، واقتصادية في المقام الأول.

ويقرر جاسم العطاوى في أهرام ٢١ من ديسمبر ٢٠٠١ أن نسبة الخليجيات المتزوجات من أجنبي في بعض دول مجلس التعاون الخليجي تجاوزت ١٨ ٪ وهو زواج أنجلو - عربي، هندو - عربي، تاميلي - عربي من الممكن إخراج المجتمع عن هويته؛ فضلاً عن ملامحه المميزة، وهو يبين الأسباب التي تجعل المرأة الخليجية تفضل زواج الأجنبي:

- بشرته بيضاء في الغالب..
- يسمح لزوجته بممارسة الرياضة في أى مكان..
- يصحبها إلى المصايف حيث ترتدى المايوه، والبكيني..

الزواج العرفي وزواج المنعة:

من شروط صحة الزواج في الإسلام انتفاء المنعة؛ فالزواج العرفي في الكليات، والمدارس، وبعض

المصالح الحكومية، إنما يطل منه دائماً شرط المتعة، وإخماد لهيب الجنس، والشهوة تحت وهم «العقد»، وانتفاء الزنا، فقد يكون الميثاق الذى عرفه الله بأنه «ميثاقاً غليظاً»؛ فكيف يكون غليظاً، ومثينا في الربط، والارتباط، وهو قائم على الشهوة التى ينحل رباطها بالشبع، أو الملل، وقد يعول البعض على الآية:

-«فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة» النساء(٢٤)..

وهو حكم قدرى ليس فيه نية العدول بعد استنفاد المتعة، فإذا أراد الرجل التمتع، فعليه بالعقد الصحيح، والمهر المشروط، ويكون فصم الرباط متروكاً لإرادة الله، فأى زواج قائم يطول، أو يقصر بإذن الله وحده، ولا يفهم أن الآية تبيح المتعة كما قال بذلك الشيعة الإمامية..

انتشار ظاهرة الزواج العرفى خاصة بين تلاميذ المدارس الثانوية، وطلبة الجامعة، وفي مرحلة عمرية بين ١٨، ٢٩ سنة، وهى مرحلة النضج الجنسى، والعقلى، والوجدانى الذى لا يجد له متنفساً إزاء قسوة الظروف الاقتصادية، والبطالة لدى الشباب، مع توافر الشعور بالعجز، والإحباط حتى أبسط ما يمكن لإنسان أن يمارسه كل يوم من إفراز طاقته المكبوتة فى مكانها الطبيعى؛ خاصة إذا كان هذا المكان قد أصبح متوافراً فى كل مكان ولكنه لا يستطيع الحصول عليه بطرق مشروعة، علاوة على الإلحاح الإعلامى المستمر، والضاغط على تفسير كل علاقة بين الجنسين بأنها لابد أن تنتهى باللقاء الجنسى دون التركيز على الجوانب الإنسانية الأخرى من فكر، ووجدان، ومثل عليا..

جاء فى الإحصائية الأخيرة للجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء أن هناك أكثر من ٩ ملايين شاب، وفتاة تخطوا سن ٣٥؛ والإحصائية فى ارتفاع مستمر، ولكن المفاجأة جاءت فى دراسة أعدتها الجامعة الأمريكية بالاشتراك مع المجلس القومى للسكان بأن هناك ٤٠٠ ألف حالة زواج عرفى سنويا، وما تم إثباته من خلال أفواه الطلبة، أو الطالبات ما يقدر بمليون حالة زواج سرى، وليس عرفيا معلنا؛ والدليل على ذلك أن هناك ١٤ ألف قضية إثبات نسب من زواج سرى بلا أوراق، ويؤكد الخبراء أنها أقل من الواقع بكثير لأنها تعتمد على صاحبات الأمر أنفسهن، وغالبا لا يعترفن بذلك، ولا تقلل هذه الدراسة من نسبة العنوسة بل تعتقد زيادتها؛ لأن الزواج السرى غالبا لا يستمر فتكون نتيجته إضافة عانس أخرى للقائمة؛ لأنها ترفض الزواج نتيجة لظروفها التى لا يعلمها أحد غيرها، أو بإضافة مطلقة غير معلنة، وتؤكد الدراسة أن من يقدمون على هذا الزواج السرى هم صغار السن؛ بدليل أن معظم أصحاب قضايا إثبات النسب تتراوح أعمارهن بين الثامنة عشرة، والخامسة والعشرين..

●● الجنس الثاني ●●

وتشير د.آمنة نصير أستاذ الفلسفة والعقيدة بجامعة الأزهر في جريدة الأسبوع - العدد ٥١٢ في ٢٢ من يناير ٢٠٠٧ إلى إثم تقع فيه البنت صاحبة المشكلة في حالة زواجها بآخر زواجا صحيحا؛ ودون إعلامه بالأمر أولا، ودون طلاق من الزواج السرى السابق؛ ففى هذه الحالة زواجها باطل، لأنها ما زالت زوجة لآخر، وتزوجت زواجا ثانيا صحيحا، فهى جمعت بين زوجين، وعرضت حياتها للانهايار فى حال ظهور الزوج الأول، وغالبا من يقدم على هذا الزواج السرى يكون بلا أخلاق؛ فيكون من السهل عليه هدم بيته، وخرابه، وهذا ينذر بفساد المجتمع، وانهايار العلاقات الاجتماعية، والأسرية..

نعدد الزوجان:

كتبت عايذة رزق فى الأهرام الصادر يوم ٢١ من ديسمبر عن إحصائيات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء فى أواخر السبعينيات التى أكدت أن زوج الأربع اختفى تماما من على خريطة الحياة الاجتماعية فى مصر، وأن زوج الثلاثة ١٪ فقط، وغالبيتهم فى الريف حيث المستوى الحضرى، والمعيشى الأقل، بينما نسبة زوج الاثنتين لا تزيد عن ١,٥٪..

أما إحصائيات الجهاز التى نشرتها الجمهورية فى ٢٢ من أبريل سنة ٢٠٠٤ فكانت كالتالى:

- ٣٢٤٢ رجلا متزوجا من ٤ نساء

- ٨٣٥٠ رجلا متزوجا من ٣ نساء

- ٥١٩٣٠ رجلا متزوجا من اثنتين

- ١٠٠١٣٣٨٠ رجلا متزوجا من واحدة

- ٥ ملايين حالة زواج عرفى موثقة بالمحاكم

وهنا نلاحظ جوانب الترف النسائى التى أملت بالمجتمع الاستهلاكى الذى يشتري كل شىء حتى النساء ما يتجلى فى الزواج العرفى الذى بلغ ٥٠٪ من الزواج الرسمى عند المأذون، بمعدل امرأة متزوجة عرفيا من اثنتين متزوجتين بالطريق الرسمى، وربما كانت النسبة أكبر من ذلك خارج توثيق المحاكم، فربما عاد عصر الحرىم، والتسرى بالنساء خاصة بعد أحداث ٢٥ يناير، وما حدث من انفلات فى كل مظاهر الحياة حتى فى التدين..

ويعلق د.ثروت اسحق رئيس قسم علم الاجتماع بأداب عين شمس أن معدل التعدد انخفض

إلى ٢٠٪ خلال العشرين سنة الأخيرة بسبب العجز عن توفير مسكن للزوجة الثانية، ومن هنا يقدمون على الطلاق، والاحتفاظ بزوجة واحدة..

وتوضح د. عبلة الكحلاوى عميد كلية الدراسات الإسلامية ببورسعيد في جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٠ من ديسمبر ٢٠٠١ أن التعدد جاء في القرآن على سبيل الإباحة للضرورة؛ مثل عدم الإنجاب، أو سوء الأخلاق، وإلا يُعد المرء ملعوناً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لعن الله كل زواج مطلق»، وليست الرغبة، والمتعة هي المحدد للتعدد..

أما د. أحمد المجذوب المستشار بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية فيطرح مشكلة وجود ٣,٥ مليون عانس بمصر، علاوة على ٢٠٪ من الأسر المصرية تعولها امرأة بدون رجل، وهى مشكلة حقيقية للإناث، وهو يرى أنه لا حل بدون فكرة التعدد، خاصة بعد إحصاء الأبناء عن الزواج، وأن الدراسات الطبية تؤكد أن الفتيات العوانس اللاتي تجاوزن سن الأربعين دون زواج أصبحن مصابات بالاكنتاب، والإحباط النفسى؛ فمسألة التعدد أحد الحلول المناسبة التي أجازها الإسلام لحكمة يعلمها الله لأن الزواج أرقى للمرأة من أن ترافق، أو تعيش في الظلام..

وهو ينوه عن حقيقة غابت حتى عن المسلمين أنفسهم، وهى أن التعدد لم يشرع لمجتمع كانت العادة فيه الاقتصار على زوجة واحدة بل جاء الإسلام والتعدد بأكثر من ٢٠ زوجة أمراً مقررًا، ومباحًا، ومبررًا، فجاء القرآن بالحد من هذه الفوضى وتقييدها، وليس صحيحاً أن الإسلام جاء بالتعدد، فليس هناك نص واحد من قرآن، أو سنة يطلب من المسلم تعدد زوجاته، فهو مباح، وليس مطلوباً، وهو ليس مندوباً، ولا سنة، ولا فرضاً، بل إباحة مقيدة، وليست مطلقة، والقيد ليس سهلاً، فالعدل يشمل المأكل، والمشرب، والملبس، والمبيت؛ وهذا كله مميزات الذهب في كل الأمور، وإلا جاء الزوج يوم القيامة وشقه ساقط من جسمه، والشئ الوحيد خارج قسمة العدل هو الميل القلبي الذى لا يخضع للإنسان، وهذا ليس عليه حساب..

والمأمل لآية التعدد، والآية التى بعدها علم فيما يقول الإمام محمد عبده:

-«أن إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام أمر مضييق فيه أشد التضييق، وكأنه ضرورة من الضرورات التى تباح لمحتاجها بشرط الثقة بإقامة العدل، والأمن من الظلم».. ثم يقول الإمام:

-«إذا تأمل المتأمل مع هذا التضييق ما يترتب على التعدد فى هذا الزمان من المفاصد جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربى أمة فشا فيها تعدد الزوجات، فإن البيت الذى فيه زوجتان لزوج واحد لا

●● الجنس الثاني ●●

تستقيم له حالة، ولا يقوم فيه نظام، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت، كل منهم عدو للآخرين، ثم يجيء الأولاد بعضهم لبعض عدو، فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت، ومن البيوت إلى الأمة»..

ويقول العقاد في كتابه «عبقريّة محمد»:

-«أوجه ما نقول في تعدد الزوجات من الوجهة الخلقية، أو الأدبية أن النبي عليه السلام لم يجعله حسنة مطلوبة لذاتها، أو مباحا يختاره من يختاره، وله مندوحة عنه، وإما جعله ضرورة يعترف بها الرجل، وتتعترف بها الأمة في بعض الأحوال؛ لأنها خير من ضرورات، ولن ينكر هذا إلا متعنت ينكر الحقائق، ويتجاهل المحسوس المائل للعيان..

ولا شك أن الجمع بين المرأة العقيم، أو المرأة المريضة، وبين غيرها أكرم لها، وللمجتمع من نبذها في معتك هذه الدنيا الضروس بغير ولد، وبغير زوج، وبغير عاصم؛ ثم هو أكرم للزوج نفسه؛ وهو كائن حتى يريد أن يصل ما بينه، وبين الحياة بذرية صالحة هي الغرض الأكبر من كل زواج، ولولاها لا تنقض في المجتمع الإنساني أساس كل زواج..

ولا شك بأن الجمع بين المرأة المزهود فيها، وبين زوجة أخرى أكرم، وأصلح من الجمع بينها، وبين خليلة، أو عدة خليلات..

ولا شك أن تسهيل الزواج؛ وبخاصة في أوقات الحروب التي ينقص فيها الرجال أكرم للمجتمع الإنساني، وأصلح من تسهيل العلاقات الأخرى التي لا تنفع الأخلاق، ولا ترفع المرأة في عصمة رجل، أو في متناول كثير من الرجال»..

ويناقش د.خالد منتصر في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» مسألة الزوجة الثانية في الشريعة الإسلامية، متوصلا إلى أن الإسلام جاء بالتقييد، وليس بالإباحة للتعدد، وجعل الرابعة هي الحد الأقصى للتعدد بعد أن كان المجتمع يعتبر النساء أداة للمتعة، والتسرى لا يصح تقييدها بعدد معين، وهو بعيد قراءة آية التعدد في سورة النساء حيث إنها مقترنة باليتامى، فجعل الزواج بثانية، وثالثة مباح إذا كان لديها أولاد يحتاجون الرعاية بشرط العدل، وعدم إهمال إحداهن، وقد كانت هذه الآية ضرورة بعد غزوة أحد التي خلفت عددا كبيرا من الأرمال، واليتامى بعد استشهاد ٧٠ رجلا على حد قول المفكر د.محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن»، فلا يجوز أخذ الأرملة، وترك أولادها دون رعاية، كما يلجأ إلى تحريم الإمام محمد عبده لشرط العدل الذي يمتنع مع النساء في ظروف

هذا العصر..

وهناك فتوى أخرى ناقشها محمود نافع في مقاله بالجمهورية يوم ٢٩ من سبتمبر ٢٠٠٥ تقول إن تعدد الزوجات لم يكن مطلقاً في القرآن، أو السنة؛ لأن التعدد مقصور فقط على أمهات اليتامى، وبالتالي فليس من حق الزوج الزواج على زوجته إلا إذا كانت أما لأيتام للآية (٣) من سورة النساء:

-«وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» ..

وما تستند عليه الفتوى هو أن «فعل» الشرط لابد أن يكون له «جواب»، وفعل الشرط هنا «خفتم»، وجوابه «انكحوا» ما طاب لكم من النساء، وبالتالي فالقضية تتعلق بالأيام، وأمهاتهم؛ وليس «بالتعددية المطلقة»..

وتبدأ الآية «بالشرط» في الخوف من عدم العدل في يتامى النساء، ثم «التحذير» من «عدم العدل» في آخر الآية - بعد إباحة الزواج حتى أربع - والاكْتفاء بواحدة، والآية تنهى عن الزواج باليتيمات بسبب التساهل في حفظ حقوقهن، والتقصير في حفظ هذه الحقوق، كعدم إعطائهن صداق مثيلتهن من الحرائر، والزواج بغيرهن حتى أربع بشرط العدل في الصداق، والمأكل، والملبس، والمسكن، والفراش، والمعاملة، أو الاكتفاء بواحدة، أو ملك اليمين..

ولكن الفقهاء - من كافة المذاهب - لم يعجبهم هذا النص الإلهي؛ فأقروا الزواج المتعدد في جميع الحالات بلا قيد، أو شرط، على الرغم من أن هناك في نفس السورة (النساء) نصاً آخر يقطع باستحالة شرط العدل بينهن في الآية (١٢٩) التي يقول فيها الذي خلق الزوجين الذكر، والأنثى فهو أدرى بطبائعهم:

- «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة»..
 بمعنى أن عدم العدل يؤدي إلى الميل إلى الأخرى (الزوجة الثانية)، أو الأخريات (الزوجات الثلاث) فتبدو من مال عنها الرجل «كالمعلقة»، فلا هي زوجة لرجل لها عليه حقوق المعاشرة، ومن ثم الإنفاق وغيره، ولا هو تركها حرة لتتزوج من غيره، فراح الفقهاء يؤولون الآيات الواضحات بالهوى النفسى - وهم من أنكر التأويل بداية - فميزوا بين مفهوم العدل في الآية (٣)، والعدل الوارد في الآية (١٢٩) (يعنى أصبح العدل لديهم عدلين)، فالعدل الأول (في الآية ٣) بسبب الخوف وهو ليس

●● الجنس الثاني ●●

واردا مورد الإلزام الشرعى (فهم أصحاب الشرع، وليس الله، ورسوله اللذين يستدرك عليهما الفقهاء) فى الإنفاق، والمعاملة بين النساء، وإنما هو وارد مورد الاحتياط (هكذا!)، أما العدل الثانى (فى الآية ١٢٩) فىفيد المحبة، والأثرة فى المشاعر، أو الميل القلبى إلى واحدة دون الأخرى (فلمماذا تزوجها إذا!)، وهو مما لا يدخل تحت طاقة الإنسان، وإرادته (التي تزوج بها)، ولأن الإنسان لا يمكنه التحكم بمشاعره، وعواطفه الفطرية (جعلوه كالحيوان غير المكلف)، وتكليف الإنسان ما لا طاقة له به يدخل فى حد الظلم (هكذا ردوا الظلم إلى الله مرة أخرى إذا لم يتزوج الإنسان بأربع)، المهم نستشف من هذا اللف، والدوران على النصوص من هنا، وهناك أن الفقهاء لم يشعروا للعامة الذين ليس لديهم القدرة على الزواج أصلا، ولكنهم كانوا يشعرون للخلفاء، والأمراء، وذوى الجاه، والأموال..

ومن قبلهم ابن عباس الذى لوى عنق الآية كى تستجيب لعادات، وتقاليذ البادية التى أخضعوا لها نصوص القرآن، فقال إن اقتران الآية باليتامى هو بسبب العلاقة بين اليتامى، والنساء فى الضعف، ولكن ابن كثير قرر فى تفسيره أن الإباحة تقتصر على واحدة لاستحالة العدل كما فى الآية (١٢٩)، وينصرف التعدد فى حالة الخوف من الظلم إلى ما ملكت يده (الرجل) من الجوارى، ثم عاد وجعل ذلك من المستحبات، ومن أراد التعدد فى الحرائر فلا حرج عليه..

ولكن أين هؤلاء مما روى عن على بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب - اللذين يعتبران امتدادا لعصر النبوة، والوحى، والحكمة، وذوى الفهم الدقيق للإسلام - من موافقتهما على رأى القائل: أنه على ولى الأمر أن يطلق الزوجة التى لا يأتيتها زوجها كل أربعة أيام، إذا كان متزوجا من أربع، حتى لو بحجة انشغاله فى الصيام نهارا، والصلاة ليلا..

حكمة إباحة التعدد للرجل وليس للمرأة:

التعدد ظاهرة تاريخية أثبتتها تاريخ كل الأمم قبل الإسلام، فهذا ما فسره «علم الأجناس» Anthro-pology حديثا من أن الرجل «متعدد» الطبيعة البيولوجية «Polythism»، بينما المرأة «متفردة» الطبيعة البيولوجية «Monothism» لأنها وعاء لا يقبل احتواءه على أخلاط، ولا تقبل المرأة هذه الأخلاط إلا إذا كانت بغيا، أو ماخورا تبيع جسدها، كما قالت العرب:
- «لا تأكل الحرة بثديها»..

فافترضوا أن لا شيء يجبر المرأة الحرة الشريفة على بيع جسدها حتى لو برح بها الجوع، وتركوا البغاء للإماء اللاتي لا يملكن من أمر حياتهن شيئاً، أما الرجل فيستطيع بتكوينه أن يملأ أوعية كثيرة.. اتسع التشريع الإسلامي لطرفي الزواج دخولا، وخروجاً، ولكن تدريجياً، فكما قرر الخطبة قبل الزواج، فرض المراجعة قبل الخروج منه، وإن كان علي الرجل تبعة الطلاق، ففيما يكون تميزه إذا!.. ونستطيع القول بأن المرأة قد اشتركت مع الرجل في تعزيز فكرة التعدد، فعلي طول التاريخ البشري نشأت الجماعات الإنسانية، ثم الدول التي أخذت علي نفسها التنافس، والتضامن فيما بينها، فكثرت الحروب التي تحصد الرجال، وتترك النساء حيارى تائهات، أو أسيرات، وسبايا، فكما كانت الحروب عاملاً من عوامل تقدم الإنسان، وقدم زناد فكره، وتسريع خطي تحضره؛ كانت عاملاً قويا لزيادة النسل، فيُلقي الولد في أتون الحروب، وتظل البنت من خلفه للنسل، ومن هنا كان التعدد مطلباً حيويًا لحياة الإنسان، واستمرار الدول هذه الأيام، ولا نستطيع القول إن الرجل قد فرض التعدد فرضاً علي المرأة بل كان مجبراً علي ذلك، وفهمت المرأة بحسبها الإنساني، والحضاري هذا الأمر فرضيت به، وساعدت عليه، فالتعدد إذا كان من مظاهر الأمم المتقدمة ذات السيادة، والمستعمرات، ولا نجد عصراً، أو دولة في التاريخ استهجن هذا الفعل، حتي عندما عزف بعض رهبان المسيحية عن الزواج كان دفع التاريخ أقوى منهم فلم تنظر إليه الدولة نظرة احترام كما نظرت لعموم الدين.. تتوقف المرأة عند سن ٤٥ ، أو أكثر قليلاً عن إنتاج الأولاد؛ بينما يستمر الرجل في طور الرجولة بهذا الإنتاج إلى ما شاء الله، فطاقة الرجل تستوعب طاقة المرأة في هذا المجال مرتين، أو أكثر، فالمرأة محدودة الطاقة العاطفية الجنسية، والإنتاجية، فغالبا ما تكتفى المرأة بالزواج، أو إنتاج الأولاد، أو حتى الحب مرة واحدة؛ فإذا فقدت الشريك قلما تفكر في إعادة الكرة؛ بل تدخر ما بقي لها من طاقة لتنشئة الأولاد، أو الانخراط في عمل ما اكتفاء به، بينما نجد أن كثيرا من الرجال لا يكتفون بالتجربة الواحدة، ويقومون بالترار مبررات كثيرة لكنه يعبر عن طاقته، وعليه فليس هناك ما يدعى مرحلة نصف العمر التي يبرر بها النفسيون هذا السلوك من الرجل بمحاولة إثبات الذات، والقوة؛ بل يحدث كل هذا فقط من الرجل كثير الحركة؛ متعدد الأنشطة..

يقول العقاد في كتابه «الصديقة بنت الصديق»:

-«وقد ينطلق الهوى بالمساواة إلى أبعد من هذا المدى فيسأل سائل؛ هل يجوز للمرأة تعديد الأزواج كما يجوز للرجل تعديد الزوجات، وجواب ذلك أنه بحكم الفطرة لا يجوز؛ لأن الرجل

●● الجنس الثاني ●●

يستطيع أن يؤدي واجب الأبوة مع تعدد زوجاته، ولا تستطيع المرأة أن تؤدي واجب الأمومة لأربعة أزواج»..

يحذر د. متولى مصباح أستاذ التحاليل بجامعة القاهرة في عدد الجمهورية الصادر يوم ٨ من يوليو ٢٠٠٤ من خطورة أخذ الأوامر الإلهية من جانب واحد، وترك باقى الجوانب التى تكون فى الغالب غير ملمين بها حيث يتساءل هل نفسر حرمة الزنا لعدم اختلاط الأنساب؟.. أو وجود أطفال بدون آباء، ونحن نعلم أنه توجد الآن وسائل لمنع الحمل، فهل يجوز اعتبار أن الزنا فى هذه الحالة ليس بجريمة؟.. وليس محرما؟.. أو أن سيدة استأصلت رحمها، فهل تلغى العدة بالنسبة لها لأنها لا تحمل؟..

ويقول

-«إن العلم الحديث أثبت أن تعدد الفراش، أى ممارسة المرأة مع أكثر من رجل يجلب ٤٠ مرضا جنسيا، وبالطبع فإن المرأة التى طُلقَت، أو مات عنها زوجها تحتاج إلى وقت لتتزوج غيره، حتى لا تعاني من مثل هذه الأمراض الجنسية التى تنتج عن ممارستها مع أكثر من شخص»..

الطلاق

هل الطلاق سيف مصلت على عنق المرأة يلوح به الرجل وقتما شاء؟..

كشفت تقرير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء الذى نشرته جريدة الجمهورية فى ٢ من فبراير ٢٠٠٦ ارتفاع عدد المطلقات إلى ٢ مليون، ٤٥٩ ألف حالة بنسبة ٣٤,٥% فى السنة الأولى من الزواج، ١٢,٥% فى السنة الثانية، كما كشف التقرير عن وقوع ٤٢% من حالات الطلاق بسبب الحالة الاقتصادية للزوجين، ٢٥% بسبب تدخل الأهل، ١٢% لسلوك أحد الزوجين السيئ..

وكشفت أرقام المجلس القومى للمرأة المنشورة بجريدة الجمهورية فى ٢٩ من أبريل ٢٠٠٤ أن عام ٢٠٠٣ شهد ٤٥٢ ألف حالة زواج، ٦٣٠٠٠ حالة طلاق، ٨١٨٢ حالة طلاق للزيجات الحديثة، ٤٧١٧ حالة خلع، وخمس ملايين حالة زواج عرفى موثقة بالمحاكم..

عرض محمد على حسين قاضى الأحوال الشخصية فى محكمة بندر الجيزة على لجنة تعديل قانون الأحوال الشخصية سنة ١٩٦٢ نسب الطلاق فى مصر قائلاً:

-«إن الطلاق ظاهرة اجتماعية ترجع لصعود، وهبوط بين عام وآخر حسب حالة المجتمع، ففى عام ١٩٥٠ كانت نسبة الطلاق إلى الزواج فى مصر ٢٧%، وفى سنة ١٩٥٢ بلغت ٢٩%، ثم عادت مرة أخرى سنة ١٩٥٤ إلى ٢٧,٣%»..

وفى سنة ١٩٦٨ سجلت المحاكم الشرعية ٧٠ ألف حالة طلاق نظرتها المحاكم، منها ٣٠ ألف قضية أطراف الصراع فيها من المتعلمين، والمتعلمات أصحاب الشهادات..

وقد سجلت إحصاءات اليونسكو سنة ١٩٦٠ فى مصر أعلى نسبة طلاق فى العالم بنسبة ٢٤% فى المتوسط، ففى فرنسا ٨,٧%، وفى بلجيكا ٧%، وفى ألمانيا الغربية ٩%، وفى اليابان ٨%، وفى المكسيك ٦%، وفى سيلان ٤%، وفى أنجولا ٠,٩٩%..

لقد فشا الطلاق في إنجلترا بنسبة ٣٣% وهي من مجتمعات الحضارة الغربية الحديثة التي انحلت فيها أواصر الأسرة، فبلغ الأطفال الذين يفقدون رعاية الأبوين معاً ٤٠% علاوة على قضايا طلب الحضانة التي زادت؛ فالأب يريد الانفراد بالأولاد، والأم تريد بعد الطلاق أن يحرم الأب منهم..

وتعزو د. مكارم محمود الديري الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة - جامعة الأزهر في جريدة الجمهورية الصادرة في ١٣ من نوفمبر ٢٠٠٣ سبب تفضي حالات الطلاق بين المتزوجين حديثاً إلى الأنانية، وغياب القدوة، والترويج للأفكار الهدامة، وتقول إن انسحاب الزوجة إلى حد كبير من حياة زوجها، وأطفالها بإعطاء عملها خارج الأسرة القدر الأول من الاهتمام؛ مما ينجم عنه انصراف الزوج عنها، وضياع الأطفال، ومن أسباب الخلافات الزوجية أيضاً أنانية بعض الأزواج، وافتقاد روح التعاون مع الزوجة في أعمال البيت بقدر ما يسمح به وقته، خاصة زوج المرأة العاملة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخييط ثوبه، ويخفف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم، وأوضحت أن بعض الرجال يفهمون «القوامة» بطريقة خاطئة، وأنه لا قوامة لمن يرفض الإنفاق على زوجته، وأولاده، وأن العلاقة بين الزوجين «ودية» وليست «تنافسية»..

وأوضحت أن الحق عز وجل عندما قال «وللرجال عليهن درجة» فلأن الرجل مسئول عن الأعباء المالية، ومن هنا منحه الإسلام درجة القوامة، وإن كان البعض لا يقوم بمسئولياتهم نحو زوجاتهم تنسحب القوامة من تحت أقدامهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» ليحدث الخلل في الحياة الزوجية، فإذا ما باشر هذه القوامة وجب على الزوجة طاعة زوجها لقول النبي صلى الله عليه وسلم يوصى النساء «لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها»؛ وعليه تفهم القوامة على أنها ليست استبدادية، ولكنها تحتكم إلى الضوابط الشرعية، والخلقية..

ويقول د. طه حبيشي:

-«يتساوى الرجل، والمرأة في القضاء، والذمة المالية، والقوامة، والطلاق، والموارث، والشهادات؛ أما الطلاق فيعطى العصمة للرجل، ويمنح المرأة حق فك هذا الزواج بالخلع، وفي الميراث يميز الرجل عن المرأة في ٤ حالات، وتتميز هي عليه في ٣٠ حالة»..

حسب آخر دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية أن أكثر من ٥٠ ألف امرأة يسكن بالعصمة في أيديهن، بمعنى امتلاكها قرار الطلاق رغم أن جمهور العلماء من شافعية، ومالكية،

●● الجنس الثاني ●●

وحنفية لم يأخذوا بهذا المبدأ؛ فقد تعلقت المرأة بحبال الحنابلة الذين أجازوا العصمة بيدها على شروط، فأخذت العصمة، وتخلت عن الشروط، فطلقت نفسها، ولم ترح زوجها سراحا جميلا، هذا بالنسبة لقيود العصمة، أما بالنسبة لقيود حبس الرجل، ومنعه من السفر فقد أفتت د.سعاد صالح بعدم جواز سفر الزوج دون إذن صريح من زوجته استنادا للآية الكريمة:

-«ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» البقرة(٢٢٨).. والحديث الشريف:

-«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالرجل في بيته راع ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيتها راعية ومسئولة عن رعيته»..

فهناك إذن مساواة في مسئولية الرعاية بين الزوجين، ومن هنا ينبغي على الرجل استئذان الزوجة قبل سفره، ويرد د.يوسف القرضاوى بوضع شرط تضرر الزوجة إذا طالت مدة السفر عن أربعة أشهر، ولكن د. سعاد تصر على فتواها بلا شرط..

ويقول العقاد في «عبقرية محمد»:

-«إنما العقوبة التي أثارها النبي صلى الله عليه وسلم هي الهجر الطويل، أو القصير بعد العظة، والعتاب الجميل، والهجر، ولا سيما الهجر في المضاجع، عبقرية نفسية بالغة، وليست كما يتبادر إلى بعضهم عبقرية حسية تؤلم المرأة لما يفوتها من سرور، ومتعة، فإن فوات السرور، والمتعة أياما لا يؤلم المرأة هذه الأيام الذي يجعل الهجر في المضاجع من أصعب العقبريات دون الطلاق؛ فأبلغ العقوبات ولا ريب هي العقوبة التي تمس الإنسان في غروره، وتشككه في صميم كيانه في المزية التي يعتز بها، ويحسبها مناط وجوده، وتكوينه، والمرأة تعلم أنها ضعيفة إلى جانب الرجل، ولكنها لا تأسى لذلك لما علمت أنها فاتنة له، وأنها غالبية بفتنتها، وقادرة على تعويض ضعفها بما تبعثه فيه من شوق إليها، ورغبة فيها؛ فليكن له ما يشاء من قوة فلها هي ما تشاء من سحر، وفتنة، وعزاؤها الأكبر عن ضعفها أن فتنتها لا تقاوم، وحسبها أنها لا تقاوم بديلا من القوة، والضلعة في الأجساد، والعقول؛ فإذا قاربت الرجل مضاجعة له وهي في أشد حالاتها إغراء، وفتنة ثم لم يبالها، ولم يؤخذ بسحرها فما الذي يقع في قرنها وهي تهجس بما تهجس به في صدرها»..

ولا تقتصر الآثار السيئة للطلاق على المرأة فقط؛ فقد أظهرت دراسة أمريكية نوهت عنها جريدة الجمهورية في ملحقها الأسبوعي محبوبتى الصادر في ٢ من سبتمبر ٢٠٠٤ أن ٣٧% من المطلقين يموتون بالسكتة القلبية نتيجة الاضطرابات، وعدم الاستقرار بعد الانفصال، وهي دراسة ميدانية

● ● الجنس الثاني ● ●

أجريت على ١٠ آلاف رجل أوضحت أن التوتر الناتج عن الطلاق يؤدي إلى إصابة الرجال بأمراض الشرايين التاجية التي تعد السبب الرئيسي في العديد من الوفيات..

يقول تعالى:

- «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» البقرة(٢٢٩)..

يقول الشيخ الغزالي:

-«هناك ثلاثة إمساكات معروفة، وثلاثة تسريحات بإحسان، والتسريح الأخير هو الحاسم للعلاقة الزوجية، أو ما يسمونه البيونة الكبرى»..

ويقول ابن حزم:

- «ومن قال لامرأته أنت على حرام، أو زاد على ذلك كاملية، والخنزير فهذا كله باطل، وكذب، ولا تكون عليه حراما سواء نوى بذلك الطلاق، أو لم ينو؛ فالله يقول لنبيه:

-«يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» التحريم(١)..

فأنكر تعالى عليه تحريم ما أحل له، وفي الآية:

-«ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب» النحل(١١٦)..

فمن قال لامرأته حلاله بحكم الله هي عليه حرام فقد كذب، وافترى، ولا تكون عليه حراما، وللتحريم طرق حددها الشرع، ولا يعتد بما أحدث الناس لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

-«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»..

أى مردود عليه، فلا يقع الطلاق إلا بلفظ من ثلاثة ألفاظ؛ «الطلاق»، و«السراح»، و«الفراق»، وما يشق من هذه المصادر، كما رفض جميع أنواع «الطلاق المعلق» كأن يعلق الرجل طلاق زوجته على فعل منها..

يقول القرآن الكريم في أول سورة الطلاق:

-«يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن

من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة» الطلاق(١)..

وحكمة بقاء المرأة بعد الطلاق هي بغرض المراجعة، وإصلاح ذات البين، والسماح بدخول أطراف الصلح، والتوفيق كالأهل، والمعارف، أما «فطلقوهن لعدتهن» محدود بوقت معين؛ فهو لا يحل وقت الحيض، ولا يحل في طهر تم فيه الاتصال بين الزوجين، وقد اتفق العلماء على أن الطلاق قسمان؛

●● الجنس الثاني ●●

سنى، وبدعى، والسنى هو ما جاءت به السنة، ودل عليه القرآن بطلقة واحدة في طهر لم يمسه فيها، وهى تظل في بيتها طوال عدتها، أما البدعى فهو طلاق الحيض، أو في طهر مسها فيه، أو وقوع أكثر من طلقة في طهر واحد، وقد وقع كثير من الفقهاء في قبول الطلاق البدعى، ولم يفرقوا بينه، وبين الطلاق السنى، وخرّبوا كثيرا من البيوت بفتاواهم القاصرة بعد أن فرقوا من فيها، وشرّدوا قاطنيها بلا بصيرة، أو تبصر إلا من عصم الله..

وفي حوار نشرته جريدة أخبار اليوم حول مطالبة ٩٠ ألف زوجة مصرية بالطلاق سنة ٢٠٠٠ لاستحالة الحياة الزوجية التى وصفتها إحداهن بأنها علاقة فاترة (١٣ عاما، وأبناء)، وزوج أصابه الخرس الزوجى لا يتكلم إلا ليطلب شيئا، وتنتقد دكتورة آمنة نصير عميد كلية الدراسات الإسلامية هذا القرار الذى يفتقر إلى الصبر، وقوة الاحتمال التى كانت تميز المرأة المصرية من حرص على البيت، والأولاد، فهى تخشى لقب «مطلقة»، وتعجز فى كثير من الأحيان على تحمل نفقات إعالة نفسها، وأولادها بعد الطلاق دون أن ينال ذلك من صحتها، واستقرارها حتى إن بعض الرجال يستغلون هذا الطبع، وينسون مفهوم السكن، والمودة، والرحمة وذلك لأن المجتمع اعتاد إلقاء اللوم على المرأة فى حال فشل الحياة الزوجية، على أن الطلاق يكون أكثر سهولة على المرأة صغيرة السن والتى لم تنجب عليها تستريح من شخص لا يحسن معاشرتها، أو قد تجد خيرا منه، وترى أن التحمل يستبدل بالطلاق، والانفصال إذا كانت عيوب الزوج غير محتملة، ويجب ألا تفكر فيه المرأة إلا إذا كان الزوج مدمنا للمخدرات، أو الخمر، أو العلاقات غير الشرعية..

كما تحدث د.محسن العرقان الأستاذ بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية عن فتور العلاقة الزوجية بأنها لو كانت قاتلة فإن هناك أيضا من الحب ما قتل، وهناك آلاف البيوت تبدأ بالحب العميق، وتنتهى بالعواطف الباردة، كما أننا لم نصل بعد مرحلة من الجراءة، والإمكانيات التى تصل لحد أن يتفق الطرفان على الانفصال بهدوء، كما أن الطرفان قد يضطران لمحاولة الإبقاء على الشكل الاجتماعى للأسرة نظرا لتراثنا، وتاريخنا الذى يتمسك بالشكل الاجتماعى للأسرة رغم كل الضغوط، ونتيجة لذلك يلجأ بعض الأزواج لأسلوب جديد للوصول إلى ذلك بدون طلاق؛ وهو العلاقات غير الشرعية خارج الأسرة، وتقبل الأسرة راغمة هذا العذاب البارد من أجل تربية الأولاد..

أما د. سيد صبحى أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس فإنه يرى أن العلاقة الفاترة أفضل من الانفصال، فالقرب يحقق الوصال فتعود للعلاقة حرارتها، وعمقها، أما الطلاق فهو تصدع، وخلل

عميق في جدار المجتمع الذي نريده متماسكا..

وتعتبر د. نبيلة رسلان وكيل كلية حقوق طنطا الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والأولاد أوراق ضغط تجعل احتمال صعوبة الحياة أفضل بكثير من خيار الطلاق؛ الذي لا يمكن التفكير فيه إلا في حال الصراع الدائم بين الزوجين، وعدم التفاهم..

تقول الكاتبة «يانا ايراكسنثين» الفنلندية، والباحثة الاقتصادية عن حياتها الزوجية الأولى:-
«لم يكن زوجي مصدر تشجيع لي إلى جانب اختلافي معه نفسيا، يلجأ كل منا إلى كل الألاعيب الوقحة ليحمل الآخر على الرحيل، وتم الانفصال»..

ونرى هنا أن الزوجة، وربما الزوج لم يكن يعنيهما الحياة الزوجية كثيرا بقدر ما يعنيهما الطموح الفردي، فهما ضحايا الحضارة التي خلقت الصراعات الحادة حتى بين الزوج، والزوجة..

كما تحكي مهندسة الإلكترونيات المكسيكية «تولورس روخاس» التي تعمل سكرتيرة للإصلاح الاجتماعي بالحزب الديمقراطي الثوري المكسيكي عن قصة انفصالها من زوجها فتقول:

-«وجدت زوجي على مسافة بعيدة من أنشطتي التي كان يعتبرها هواية عابرة يسمح لي بممارستها، وقد حاولت إشراكه في اهتماماتي ولكن محاولاتي باءت بالفشل، واقترح أن نبدأ بتأسيس أسرة، وألزم البيت، وأهتم بتربية الأطفال، وأعلن أنه لا يريد زوجة تقضى كل وقتها في الشارع، ولم أكن أريد أن أبقى حبيسة المنزل، أدركت أنني لم أعد أريد العيش معه، وقد لفت انتباهي أن كل زميلاتي في الحزب اللاتي يشغلن مواقع قيادية عازبات، ولا تناسبهن الحياة الزوجية مثل تماما»..

ويعلق على ذلك د.حسين فهيم أستاذ الأنثروبولوجيا الثقافية والبحوث بالجامعات الأمريكية، والعربية في جريدة الأهرام يوم ١٩ من أبريل ٢٠٠٢ بقوله:

-«ربما تواجه المجتمع مستقبلا مشكلة اجتماعية خطيرة تتمثل في الازدياد المطرد للتفكك الأسري عامة، وفي شيوع حالات استغناء الزوجات عن أزواجهن، وفي فتور العلاقة بينهم إلى حد الانفصال، أو الطلاق خاصة إذا تيسر للزوجة الاستقلال المادي بحيث لم تعد في حاجة لأن يعولها زوج، ونحن نقرأ الآن عن التزايد المطرد لأعداد الأسر المصرية مثلا التي تعولها امرأة سواء في المدينة، أو الريف، ونسمع عن تزايد لقب سيدة أعمال وغير ذلك»..

ذكرت جريدة أخبار اليوم أنه نظرا لارتفاع معدلات الطلاق في أمريكا بدرجة مخيفة قرر الرئيس الأمريكي «جورج بوش الابن» ضخ مبلغ ٣٠٠ مليون دولار لتغطية مقابل زيادة ساعات العمل التي

●● الجنس الثاني ●●

تقضيها الزوجات في العمل لرفع مستوى معيشتهن فيصبحن أكثر سعادة..

في دراسة للمجلس القومي للمرأة تبين أن ٨٠٪ من دعاوى النفقة التي يرفعها المطلقات للأولاد، وليس لأنفسهن، ٥٠٪ من تلك الدعاوى استغرقت سنة، ولم يحكم - لأى سبب - بنفقة مؤقتة بنص القانون، كما أن المبالغ المحكوم بها ضئيلة، ٦٥٪ من أسباب تعطيل نظر الدعوى هو التحرى، ٣٥٪ بسبب إجراءات إعلان الزوج، مع أنه من السهل جدا في مصر الحكم على أى مواطن مسلم، ومن السهل جدا أيضا القبض عليه لتنفيذ حكم عليه وهو في بيته لا يدرى شيئا عن القضية، ومن قام برفعها ولماذا؟..

ثم يأتي بعد ذلك استحالة تنفيذ الأحكام عندما يكون الزوج مهنيا حرا، وعند ذلك ليس أمام الزوجة سوى دعوى الحبس التي تستغرق وقتا طويلا، وتؤدي لنفس الإحباط..
ومن الدراسة تبين أن ١٠٪ فقط من رافعات الدعاوى جامعيات، ٢٧٪ غير متعلقات، ٧١٪ لا يعملن، ٨٢٪ من مناطق عشوائية..

والطلاق كما أعطي للرجل فهو قد أبيع للمرأة، ويجب ألا يفهم الطلاق علي أنه أداة أعطيت للرجل لأنه مشروط، فبعد الطلاق عليه تبعات الصداق(المؤخر)، والنفقة وغيرها مما لا يلتفت إليه أحد، حتى مدعى التدين، ورجال الدين، يقول تعالى عن علاقة الرجل بالمرأة بعد الطلاق:
-«فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى»
الطلاق(٦)..

وإن كان البعض يتهرب من تبعات ما بعد الطلاق فليس العيب في التشريع، ولكنه فيمن يقوم علي التشريع، فكما تلاحق الدولة المتهربين من الضرائب، والمدنين للبنوك فعليها أيضا ملاحقة الهاربين من النفقة، وتبعات الطلاق، وماعدا هذا فالدولة في تواطؤ مع الرجل بهذا الخصوص عندما تبيع للمطلقة مقاضاه الرجل، ولكنها لا تنفذ ما عليه من أحكام بعد الشهور الطويلة في الإجراءات، والمحاكم، فلو لاحقته الدولة لعجل بإعطائها حقا دون اللجوء إلي القضاء أصلا..

الخلع:

كان القضاء الشرعى فيما مضى يأمر بإرسال الشرطة إلى أسرة الزوجة ليقتادها راغمة عائدة إلى

● ● الجنس الثاني ● ●

بيت الزوجية، متجاهلا مشاعر بغض المرأة لهذا الزوج، وهذا البيت، ولا ندري كيف فات عليهم قوله تعالى:

-«أمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضاررا لتعتدوا» البقرة(٢٣١)..

إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما رق لزوج «بريرة» ذهب يحدثها في العودة إلي زوجها الذى يحبها فسألته المرأة في عزة:

- جئت شافعا، أم أمرا؟.. قال:

-«جئت شافعا».. فقالت بإصرار:

- فلا أعود..

لم يتهمها النبي، ولم يلعنها، وامرأة «ثابت بن قيس» لم تتهمه بشتها، أو ضربها، أو عدم الإنفاق عليها؛ بل شكت إلى الرسول أنها تكرهه بشدة وقالت:

- إنها لم تعتب عليه من خلق، ولا دين، واستدل الفقهاء على «حكم الخلع» من هذه الحادثة، الخلع الذى تجاهله بعض المشتغلين بالفقه تعصبا، وإنكارا لحقوق النساء التى هضمتها، وداستها التقاليد، والأعراف إنكارا لقوله تعالى:

-«فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» البقرة(٢٢٩)..

نعم هم الظالمون؛ عرف ظالم، وتقاليد عمياء، وإذا أبصرت لا تفقه شيئا..

-«فلا جناح عليهما فيما افتدت به» البقرة(٢٢٩)..

الآية الكريمة نفت الإثم عن الزوجة التى تفتدى نفسها، وهو رأى فى إطلاق قيمة ما تفتدى به نفسها؛ سواء كان المهر، أو أكثر بالتراضى، والموافقة من الطرفين على المال، والمخالعة، والرأى الآخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لامرأة «ثابت بن قيس»:

-«أتردين عليه حديثه؟».. قالت:

- نعم، وزيادة.. فقال الرسول:

-«أما الزيادة فلا؛ ولكن حديثه».. قالت:- نعم..

وهذا الرأى لا يجيز للرجل أخذ أكثر مما دفع كى تتخلص منه الزوجة الكارهة، يقول تعالى:

- «ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن» النساء(١٩)..

●● الجنس الثاني ●●

كما لا يجوز على ذلك إكراه المرأة على طلب الخلع، كما ترد ما أنفق الرجل عليها، فيجتمع عليها فراق الزوج، والغرامة المادية، يقول الشيخ السيد سابق في كتابه «فقه السنة»:

- «يحرم على الرجل أن يؤذى زوجته بمنع بعض حقوقها حتى تضجر، وتختلع نفسها، فإن فعل ذلك فالخلع باطل، والبدل مردود، ولو حكم به قضاء مصداقا لقوله تعالى:

- «يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتیتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة» النساء(١٩)..

والعضل هو التضييق، والمنع؛ بل يجب على الزوج أن يرد البدل الذي أخذه من زوجته على اعتبار أن الخلع طلاق كما يرى الإمام مالك»..

وليس للمرأة أن تطلب الخلع لغير علة لمجرد البطر، فالحديث يقول

-«أما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة».. وعن أبي هريرة الحديث:

-«إن المختلعات هن المنافقات»..

عمل المرأة

يذكر د. صبرى جرجس فى كتابه «سيكولوجية الجنس» أن المرأة كانت قبل الحرب العالمية الأولى مكفولة تماماً من أبيها، أو أخيها حتى تنتقل هذه الكفالة إلى زوجها، فكانت من الوجهة الاقتصادية تعتمد كلياً على الرجل حتى لو نالت أى قسط من التعليم، ولم تكن تستطيع توظيف هذا العلم، ولم يكن مسموحاً لها، ولكن التحول الحادث هو اتجاه تعليم المرأة من أجل العمل الذى حقق لها الآن استقلالاً اقتصادياً؛ فهل حقق لها هذا السلوك الشعور بالاستقلال، والاستغناء عن الرجل؟..

كانت صناعة النسيج اليدوى على الأنوال دائماً من عمل المرأة، وكذلك صناعة الخبز فهى من الصناعات التى لم يشارك فيها الرجل زوجته مثل حلب الشاه، وسياسة الخيول، ورعى الغنم، وعندما تطورت صناعة النسيج، والخبز وأصبحت آلية بدلاً من اليدوية، وأنشئت لها المصانع كانت المرأة هى الدعامة الأساسية فى هذه الصناعات فى العصر الحديث؛ بعد أن اندمج الرجال فى حرب ضروس من أجل المال، والنفوذ، واستحواذ مناطق الثروة، وليس أدل على ذلك من قيام قرية بأكملها فى مصر بهذه الصناعة الجميلة؛ تقوم على أيدي النساء دون الرجال فى «كرداسة» التى يأتى لها السائحون من كل مكان..

فى كتابها «القيادة النسائية فى عالم متغير» رصدت د. فاطمة محمد على عثمان بكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة أسيوط أنساقاً قيمية مشتركة للقيادات النسائية فى مصانع منطقتى كفر الدوار، وسوهاج الصناعيتين كمقارنة بين القيادات النسائية فى كل من الوجه البحرى، والصعيد، وقد قامت باختيار العينات على أساس استجواب القيادات النسائية نفسها، ومضاهاة إجابتهن بإجابات كل من رؤسائهن، ومروسيهن عن نفس أسئلة الاستبيان المقدمة لهن، وتم ترتيب الأنساق القيمية حسب الجدول المذكور..

ترتيب النسق القيمي للقيادات النسائية بمصانع كفر الدوار وسوهاج:

الترتيب في الدرجة بسوهاج	الترتيب في الدرجة بكفر الدوار	القيمة	م
٦	٧	إنجاز العمل والإسهام في خطة الإنتاج وتنفيذها	١
١٢	١٤	المبادرة في اتخاذ القرار لحل المشكلات بين العاملين في نظام الإشراف وعدم التردد فيه	٢
٤	٢	القدوة في الانضباط في العمل والحسم مع المرؤسين المقصرين	٣
١	٣	العلاقات الاجتماعية ومراعاة الحالات الإنسانية في مواقف إيجابية	٤
٣	٤	العدل والحزم مع العاملين في نطاق الإشراف	٥

الترتيب في الدرجة بسوهاج	الترتيب في الدرجة بكفر الدوار	القيمة	م
١٣	١٢	الالتزام بمواعيد العمل	٦
١٤	١٣	تحمل مسؤولية الخطأ المتكرر من نطاق الإشراف وإدراك الخطأ قبل وقوعه	٧
٢	١	الموضوعية في تقييم أداء نطاق الإشراف	٨
٨	١٠	متابعة ومراقبة العمل في نطاق الإشراف	٩
١٠	١١	الإسهام بالاقترحات البناءة لتطوير الإنتاج بالمصنع	١٠
٩	٩	الدفاع عن حقوق وآراء ومصالح نطاق الإشراف ومشاركتهم في الرأي ودوام الاتصال بهم	١١
١٥	١٥	النقد الموضوعي للذات والاعتراف بالخطأ وتصويب القرار	١٢
١١	٥	البت في اتخاذ القرارات الخاصة بتعليمات الأمن الصناعي	١٣

الترتيب في الدرجة بسوهاج	الترتيب في الدرجة بكفر الدوار	القيمة	م
٥	٧	الحرص على مصالح وسلامة نطاق الإشراف ومطالبه بإدارة المصنع بتدبير أجهزة الأمن الصناعي	١٤
٧	٨	القدرة على الحلول الموقفية دون الرجوع للإدارة	١٥

التعليق على الجدول:

ليس هناك فرق في الدرجة بالنسبة للقيمة رقم (١١) مما لا تختلف عليه القيادات النسائية بصرف النظر عن البيئة سواء في الوجه البحرى، أو الصعيد، كما أنه ليس هناك فرق في الدرجة أيضا للقيمة رقم (١٢) التي تنم عن وعى القيادات في كلا المنطقتين بموقعها في العمل، وإحساسهن بالمسئولية.. وتقارب القيم أرقام (١)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨)، (١٠)، (١٤)، (١٥).. أى نصف القيم تقريبا فيما بين القيادات في كل من المنطقتين؛ مما يدل على وجود مرجعية فكرية مشتركة تزيد عن ٥٠% من قضايا العمل..

أما الاختلاف القيمي فقد بدأ في الثلث من هذه القيم التي ظهر فيها تأثير البيئة خاصة في منطقة

●● الجنس الثاني ●●

الصعيد، فالقيمة رقم(٢) تظهر المرأة في الوجه البحرى أكثر ثقة، وجرأة، وحرية في اتخاذ القرار لحل المشكلات التى تنشأ بين العاملين في مجال العمل، بينما تظهر القيمة رقم(٣) المرأة الصعيدية أكثر قدرة على الانضباط، والحسم مع المرؤسين نظرا لقلّة اقتناع الرجل الصعيدى بسيادة المرأة عليه في العمل، وهو الذى تعود أن تكون تابعة له في كل مجالات حياته، ومعايرة أترابه له لكون رئيسه في العمل امرأة، وتدل القيمة رقم(٤) على تحرج المرأة الصعيدية من العلاقات الاجتماعية، واعتبار الخضوع للحالات الإنسانية عيبا، بينما تجد المرأة في بيئة الوجه البحرى انفراجا، وحرية أكثر لإبراز هذه العلاقات دون حرج، أو نقد، ويتجلى ذلك في القيمة رقم(٩) التى تبين حرص القيادة الصعيدية على متابعة، ومراقبة العمل دون مجاملات قد تحسب عليها لوجود روابط ربما تكون عائلية أيضا بين الأسر خارج نطاق العمل، كما أنه من المحتمل غالبا وجود القيادة، والمرؤسين في أماكن متجاورة، بينما وجدت الباحثة أن عينة البحث في كفر الدوار قد تأتى من أماكن متباعدة حتى إن بعضهن تأتى من الإسكندرية، كما نجد أن القيادة الصعيدية أكثر جدية في اتخاذ تعليمات الأمن الصناعى بصرامة شديدة في القيمة رقم (١٣)..

إحصائيات نسائية:

- يوجد في مصر ١٠ خبراء اقتصاد عالميين، منهم ٥ سيدات هن «سلوى سليمان»، و«هناء خير الدين»، و«فائقة الرفاعى»، و«محيّة زيتون»، و«كريمة كريم»..

- في كلية البنات، جامعة عين شمس، ١١ كلية تمريض، ٧ كليات تربية رياضية للبنات، ٢ كلية رياض أطفال..

أدلى د.مفيد شهاب وزير البحث العلمى لعدد محبوبتى في ٥ من فبراير ٢٠٠٤ بهذه النسب عن تواجد المرأة في التعليم العالى، والبحث العلمى:

- ٤٧% إجمالى الطالبات المقيدات في التعليم الجامعى عام ٢٠٠١ ..

- ٤٩,٤% عدد الخريجات عام ٢٠٠٠ ..

- ٤٢% عدد المقيدات في الدراسات العليا ..

- ٤٧% الحاصلات على ماجستير، ودكتوراه ..

● ● الجنس الثاني ● ●

- ٢٩% عضوات هيئة التدريس في التعليم العالي عام ٢٠٠١ ..
 - ٤٩,٢% نسبة الإناث في الكادر الفني في المركز القومي للبحوث ..
 - ٤٩,٩% نسبة المرأة العاملة في معهد بحوث، وأمراض العيون ..
 - ٥٤,٤% نسبة المرأة العاملة في معهد تيودور بلهارس ..
 - ٥٣% نسبة العاملات في أكاديمية البحث العلمي ..
 - ٧% نسبة القيادات في مراكز البحوث العلمية سنة ١٩٨٨ ..
 - ١٥% نسبة القيادات في مراكز البحوث العلمية سنة ١٩٩٩ ..
 - ٦٠% نسبة القيادات في مراكز البحوث العلمية سنة ٢٠٠٢ في مناصب رئيس إدارة مركزية ..
 - ٤٧% نسبة مديرات العموم في المراكز البحثية ..
- ويلاحظ أن معظم المناصب القيادية في الإذاعة والتلفزيون يستحوذ عليها النساء، ويأتي السؤال:
ألا يثير ذلك غيرة الزملاء من الرجال?..

وتجيب المذيعة «سوسن سعيد» مدير عام المنوعات بالإذاعة في ملحق جريدة الجمهورية الأسبوعي محبوبتي الصادرة بتاريخ ٦ من ديسمبر ٢٠٠١:

- «لم أشعر بذلك أبداً، ربما لأن المرأة هي الأصلح لهذه المناصب؛ فهناك أعمال تتألق فيها المرأة أكثر من الرجل، ومنها العمل الإعلامي الذي أثبتت فيه كفاءتها، وأحقيتها به، وتربط الرجل، والمرأة في الإذاعة روح التعاون، والمشاركة»..

وهناك تواجد ملحوظ للمرأة الآن حتى في بعض المهن الشاقة مثل أطباء التخدير، والأطباء الشرعيين، فوصلت نسبة تواجدهن بمصلحة الطب الشرعي ٨٠٪، ولكن وجودهن كقيادات محدود الآن، وقد تدخل في تخصصات تحتاج إلى الخروج المتواصل، والتواجد في مناطق نائية، مثل قسم الهندسة الميكانيكية، وقطاع المناجم، والمحاجر، أو التصوير الخارجى الصحفى، أو التلفزيونى ..

وفي عموده «مواقف» اليومى بالأهرام بتاريخ ٣٠ من أكتوبر ١٩٩٦ يتحدث أنيس منصور عن الدكتورة «شانون لوسيد» رائدة الفضاء الأمريكية (٥٣ عاماً، وثلاثة أولاد) عالمة في الكيمياء الحيوية، هبطت أخيراً من محطة الفضاء المدارية الروسية من ارتفاع ٢٤٠ ميلاً من الأرض، تدور بسرعة ١٧ ألف ميل في الساعة، بعد أن تأخر هبوطها ٤٦ يوماً بسبب خلل أصاب المكوك الفضائى المفروض أن يهبط بها، وبذا يكون قد ضرب الرقم القياسى فى البقاء بعيداً فى الفضاء، وبعيداً عن الأرض مدة ١٨٨

●● الجنس الثاني ●●

يوماً، وهى سيدة لطيفة مرحة، قامت بأكثر من ٩٠ تجربة، ولم تتوقف عن كتابة مذكراتها، وكانت تتصل يومياً بأولادها، وزوجها، كانت ترافق اثنين من العلماء الروس فى المحطة المدارية، فكانت تعد لهما الشاى، والفطائر التى تدخلها الفرن، وكانت تعد لهما الطعام الجاهز رغم أنها ليست طاهية ممتازة باعتراف أولادها، وكانت أيضاً تغسل، وتكنس، وتعبئ الزباله فى أكياس، وتضغطها لشغل أقل مساحة، كما كانت تفرش، وتنام فى معملها لضيق حجرتها، وقد لاحظت أن الرجل الروسى لا يساهم بأى عمل فى شغل البيت..

وفى أحدث دراسة نشرتها اليونسكو، ونوه عنها الأهرام فى ٩ من نوفمبر ٢٠٠١ تناولت دور المرأة التربوى، وتعليم الإناث فى الدول التسع الأكثر ازدهاماً بالسكان فى العالم وهى؛ بنجلاديش، والبرازيل، والصين، ومصر، والهند، وإندونيسيا، والمكسيك، ونيجيريا، وباكستان، ووفقاً لآخر الإحصائيات المتاحة عام ٢٠٠٠ فإن نسبة التعليم للإناث فى القاهرة بلغت ٧٦٪، أما باقى المناطق الريفية فقد بلغت نسبة الأمية بين الإناث ٤٨,٩٪، وهى بذلك تقترب من ضعف نسبة الأمية بين الذكور، وهى ٢٦٪ عام ١٩٩٣..

وتمثل المرأة ١٠٪ من إجمالى القوى العاملة فى الأردن، والجزائر، ٩٪ فى ليبيا، والإمارات العربية، وعمان، ١٨٪ فى البحرين، ٢١٪ فى تونس، ٤٠٪ فى جيبوتى، ٧٪ فى السعودية، وقطر، ٢٩٪ فى مصر، والسودان، ٣٨٪ فى جزر القمر، ١٨,٧٪ فى فلسطين، ٢٤٪ فى الكويت، ٢٦٪ فى المغرب، ٢٣٪ فى موريتانيا، ١٣٪ فى اليمن، ٢٧,٨٪ فى لبنان، ١٨٪ فى سوريا..

وترتفع فى مصر نسبة المشاركات فى العملية التعليمية حيث تشكل المرأة ٤٦,٦٪ من إجمالى عدد المعلمين، وترتفع هذه النسبة بشكل ملحوظ فى المراحل الأولى من التعليم لتشغل ٩٨,٧٪ فى رياض الأطفال، ٩٦,٤٪ فى مدارس الفصل الواحد، ٥٢,٢٪ فى المدارس الابتدائية..

ومع بداية تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادى فى مطلع التسعينيات، وتخلى الحكومة عن التعيين تمثل المرأة ٥٣٪ من إجمالى قوة العمل فى القطاع الحكومى، ٤٣٪ فى قطاع الصحة موزعة بين الطب، والتمريض، والخدمات الصحية، ويعمل ٥٨٪ من إجمالى قوة العمل النسائية فى صناعه الغزل والنسيج، ١٥,٥٪ فى الصناعات الغذائية، ٦,٤٪ فى الصناعات الكيماوية، والأدوية..

وتظهر جداول حصر العمالة بالجهاز الإدارى، والهيئات العامة ارتفاع تواجد المرأة إلى الضعف خلال ١٥ عاما فى الفترة من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٩٥، كما زادت النسبة فى قطاع الصناعة، وتكرير

● ● الجنس الثاني ● ●

البتروى إلى ١٠,٥٪ عن نفس الفترة، وبلغت النسبة ١٩,٥٪ عن نفس الفترة فى قطاع السياحة، ٣٩,٧٪ فى قطاع الخدمات الصحية، والاجتماعية، والدينية، ٢١,٢٪ فى قطاع المال، والاقتصاد، ٢٠,٣٪ فى قطاع التموين، والتجارة الداخلية، ١٦,٩٪ فى قطاع الثقافة، والإعلام، وغيرها، كما زادت نسبة عدد شاغلات الوظائف القيادية من ٥,٧٪ سنة ١٩٨٠ إلى ١٢,٩٪ سنة ١٩٩٤..

نشرت تهانى القيعى فى الأهرام يوم ٨ من أغسطس ٢٠٠٣ دراسة أعدتها د.عزة وهبى أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ووكيل وزارة بمجلس الشعب، وحاصلة على الدكتوراه فى العلوم البرلمانية، تحت عنوان «المرأة المصرية فى مراكز صنع القرار» جاء فيها:

- تشارك المرأة المصرية فى السلطة بنسبة ٣٠٪..

- تحسن وضعها فى المحليات، واحتلت ١٥,١٪ من الوظائف الإدارية العليا..

- تمثل ١٣٪ من القيادات الصحفية..

- أغلب قيادات وزارة الإعلام..

- ٤٠٪ من العاملين فى التعليم..

- ٣٠٪ من العلماء..

- ٣٩٪ من النقابيين، ثلاث سيدات منهن يتراسن مجالس ثلاث نقابات بنسبة ١٥,٨٪ من إجمالى

عدد رؤساء النقابات..

ويتأثر عمل المرأة كثيرا بهموم بيتها، وبالزوج، والأولاد، وهى، والرجل سواء فى هذا، أما من حيث أولوية التواجد فى البيت لأى طارئ كمرض أحد الأولاد فنجد المرأة فى وضع التحايل بكل الطرق من أجل الإجازات، أو الاستئذان مبكرا..

ولا يستفيد العمل شيئا من المرأة فى الأسبوع الذى يسبق الدورة الشهرية، وهو ما يؤكده تفضيل الرجل فى الكثير من الأعمال، وتقدمه على المرأة فى الترقيات، والسفريات، والمأموريات مما يجعل المنافسة غير شريفة؛ ولهذا لا تتساوى المرأة مع الرجل فى الأجر فى الدول الصناعية بالنسبة للأعمال التى تقوم بها مع الرجل لأنها لا تقوم بها بنفس كفاءة، وتحمل الرجل؛ فتقل عنه فى الأجر بنسبة تتراوح بين ٥٩٪ و ٧٩٪، بعض زملاء، وزميلات العمل لا يميزون بين الزمالة فى العمل، والصدقة، والعلاقات الخاصة، وقد لا يرون حدودا قاطعة بينها..

وفى دراسة نشرتها د.روز فريش أستاذة الصحة العامة بجامعة هارفارد فى جريدة الهيرالد تريبيون

● ● الجنس الثاني ● ●

الدولية في عددها رقم ٣٢٦٥٠(١) على ٥٣٩٨ امرأة تتراوح أعمارهن بين ٢١ ، ٨٠ سنة تؤكد نتائجها النقاط الآتية:

يؤدى النشاط الرياضى الزائد إلى اضطراب فى الدورة الطمثية، وتصبح المرأة غير مخصبة، فإذا رغبت فى الإنجاب عليها التوقف عن الرياضيات العنيفة التى تؤثر على جهازها التناسلى..

بدأت على ٢٦٢٢ امرأة ممن كن يمارسن الألعاب الرياضية أعراض سرطان الثدي، أو داء السكرى، أو سرطان الجهاز التناسلى فى مقابل ٢٧٧٦ امرأة لن يمارسن الألعاب الرياضية..

كما أكدت هذه الدراسة جامعة البرتا التى أثبتت أن الأعمال النشيطة للمرأة تؤثر فى إنتاج الاستيروجنينات التى تتحكم فى الإنجاب لدى المرأة، كما أشارت جامعة كندية أن النساء اللواتى يمارسن الأعمال المجهدة يُصبن باضطراب الإخصاب، حتى لو استمرت الدورة فى نظامها العادى..

إن بروز المرأة فى مجال واحد مع الرجل قد أضر الاثنين معا، ففرص العمل صارت نادرة فى الدول الصناعية، والمتخلفة على السواء، وأصبحت المرأة بعد أن كانت تنتظر دورها المحتوم فى الزواج تبحث هى عنه، ولا تجده، لأن الرجل أصبحت فرصته فى العمل أقل، وبالتالي يستبعد مشروع الزواج من حياته؛ فبدلاً من أنه كان يُعد ليعول، أصبح مُعالا لأجل غير مسمى..

إن الهزة التى أصابت المجتمع المصرى من جراء التغيير الاقتصادى الجذرى بالانتقال من المجتمع الرأسمالى الإقطاعى إلى المجتمع الاشتراكى الشمولى، ثم مرة أخرى إلى المجتمع الرأسمالى غير كثير من القيم الاجتماعية، والأممات السلوكية للأفراد ذكورا، وإناثا، فلا شك أن موجة الغلاء التى اجتاحت السلع، والخدمات، وتخلى الدولة فجأة عن النظام الاشتراكى الشمولى الذى كان يتعهد الفرد من المهدي إلى اللحد، ثم تركه وشأنه فى خضم الحياة المتلاطم قد أشعل النيران فى قلوب هؤلاء الأفراد المنمطين فى التفكير، والسلوك فهب كل منهم كى يواجه هذا الغلاء الفاحش بحركة عريضة يضرب بها هنا، وهناك لتغطية أدنى أسباب حياته..

وبقى البعض يتوسلون للعيش بالنصب، والاحتيال، والنفاق، وأحيانا السرقة، والاختلاس؛ فاهتزت قيم المجتمع، وكان للمرأة النصيب الأوفى فى تحمل تبعات هذا التغيير لتدفعه من قيمها، ودمها، وعرقها، وأحيانا عفافها عندما أخرجها الرجل فى عرض الطريق بحجة التحرير؛ فتحملت مصيرها فى هذا الضباب، والتشتت، وتضارب القيم، ويزعم الزاعمون أن أفكار قاسم أمين قد أثرت فى المجتمع بقدر ما أثرت فيه الثورة الصناعية التى جعلتها ثورة يوليو أحد أهدافها الكبرى، فكما تغيرت قيم

● ● الجنس الثاني ● ●

المجتمعات الصناعية في العالم بشأن خروج المرأة من نطاق الأسرة كذلك تأثرت مصر بهذا إبان ثورة يوليو لاحتياج الصناعة للأيدي العاملة دون تمييز في الجنس، ولهذا نجد حال المرأة في الدول العربية التي تأخرت في التصنيع كحال المرأة المصرية قبل ثورة يوليو، وقبل التصنيع..

إن الحروب التي أملت بأوروبا، والعالم؛ وأبرزها الحربين العالميتين، ودخول مصر عدة حروب؛ كان آخرها حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ كانت الحافز الأكبر لخروج المرأة المصرية للعمل على النحو الذي نراه الآن؛ فالحروب هي التي تحرك قوى المجتمع، وتحدث الخلخلة في النظم الاجتماعية، وتجعل ما هو مرفوض قبل الحرب مقبولاً بعدها، وقد يقطع الإنسان إبان الحروب في سنوات قلائل ما لم يقطعه في أجيال طويلة، إن فخر المرأة هو خروجها من نفسها بدلا من أن يخرجها أحد، لقد جعل الله محددات لكل مخلوقاته بحيث لا ينتشر جنس، أو نوع على حساب الآخر (بشرط عدم تدخل الإنسان) إلا الإنسان الذي يستطيع مقاومة قوى الطبيعة، فكم اندثرت أجناس، وأنواع ماعدا جنس الإنسان الذي أعلن الحرب على نفسه بسبب، وبدون سبب فتحفز الحرب قوى الإنسان ليخرج منها أشد صلابة من ذي قبل..

ففي عام ١٩٥٠ تراوح معدل المساهمة النسائية من ٣٥ - ٦٠٪ في كل من السويد، وفنلندا، وفرنسا، والدنمارك؛ بينما تراوح المعدل في كل من أيرلندا، وإيطاليا، والنرويج، والولايات المتحدة ما بين ٣٢ - ٤٠٪، وتحركت إلى ٥٠٪ عام ١٩٧٧ في كل البلاد المذكورة ما عدا أيرلندا، وإيطاليا، وأصبحت السويد في القمة حيث بلغت نسبة النساء العاملات بها ٧٠٪ من قوة العمل، وتأتي بعدها فنلندا ٤٦٪، والسويد ٤٤٪، والدنمارك ٤٢٪؛ بينما في كل من بريطانيا، وإيطاليا، وفرنسا ٣٢,٧٪، وأيرلندا ٢٧,٥٪، وتشمل القوى النسائية في هذه البلدان المتزوجات، والأمهات؛ وحتى أمهات الأطفال دون سن الدراسة، والكثيرات منهن مسئولات عن أسرهن، أما في مصر فقد بدأ انتشار عمل المرأة سنة ١٨٣٠ عندما عملت مجموعة من الفتيات في التوليد، ومهمة الماشطة، وحياسة ملابس النساء، والأطفال، وغالبا ما كانت تورث هذه المهنة كعمل يتصل بأنوثة المرأة، ثم أنشئت مدرسة لتأهيل القابلة علميا وهي «مدرسة المولدات»، ثم أنشئت بعد ذلك «مدرسة السنية» للمعلمات سنة ١٩٠٠ ففتحت مجال التدريس لعمل المرأة، وتخرجت أول دفعة سنة ١٩٠٣، وكان بينهن «ملك حفنى ناصف» التي اشتهرت «بباحثة البادية»..

ثم جاءت «هدى شعراوي» سنة ١٩١٨ فتزعمت حركة تعليم المرأة، ومساواتها بالرجل في العمل،

●● الجنس الثاني ●●

والحقوق السياسية فأثرت ثورة ١٩١٩ اتجاهات جديدة لتنظيم عمل الأحداث، والنساء، وصدر القانون ٤٨ لسنة ١٩٣٣ الذي اعترف بضرورة فتح مجال العمل أمام النساء ليبدأ الغزو النسائي للمصانع..

في تقرير الأمم المتحدة الإجمالي عن التنمية البشرية لسنة ١٩٩٥ لا تزال المرأة لا تشغل سوى ١٤٪ من الأعمال القيادية، والإدارية على مستوى العالم، ولا تمثل سوى ١٠٪ من المقاعد البرلمانية، وتقل النسبة في البلدان العربية إلى ٤٪، كما انخفضت هذه النسبة في مصر أيضا إلى ٢,٢٪ فقط سنة ١٩٩٤..

وتصل نسبة القيادة النسائية إلى ٥٪ في قطاع الأعمال الصناعي (الغزل والنسيج، والملابس الجاهزة)، وإلى ١٩٪ في قطاع الأدوية، والمستلزمات الطبية، وإلى ٧٪ في الصناعات الغذائية من إجمالي شاغلي الوظائف القيادية..

أدت عودة الرجال إلى مواقعهم في المصانع بالولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وانتقال التصنيع من اقتصاديات الحرب، إلى اقتصاديات السلم إلى ظهور حركة نسائية تطالب بحقوق النساء العاملات، ووضع برامج لمعونة عائلية، وتسهيلات لرعاية الطفل، ومساعدة المرأة العاملة.. وقد بدأت الأعمال العلمية المتعلقة بقضايا المرأة العاملة من خلال بحث بعنوان «المرأة والاقتصاد» للأمريكية «شارلوت بيركينز جيلمان» سنة ١٨٩٨ هاجمت فيه التمييز بين الرجل، والمرأة، وانتهى بحثها إلى أن النساء لا يمكن أن يحققن الحرية إلا بعد حصولهن على المساواة الاقتصادية مع الرجال، كما نادى بحق المرأة في الانتخاب..

وفي عام ١٩١٩ تشكلت رابطة النساء في المجتمع الأمريكي للمطالبة بقيادة تنظيمية للحصول على حق الانتخاب على أساس أن لهن مجموعة من المصالح تميزهن عن الرجال، وراحت «كايري تشاهمان» تحث النساء على الاشتراك مباشرة في العملية السياسية لتحقيق مصالحهن الخاصة، كما كانت «ماري ديوسون» تؤمن بأن النساء يردن مجتمعا أكثر تنظيما، وكانت «مارجريت دريبر روبنز» ضمن البارزات في رابطة نقابة العاملات عام ١٩١٧، وكان من نتائج جهود الرابطة دخول ٨ ملايين أنثى في ٤٩٧ وظيفة متنوعة مما لفت نظر المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ليدرجوها مدارج البحث، والتقييم..

وفي بريطانيا برزت كل من «بياترس ويب»، ومسز «بانكهيرست»، ومسز «بيمزر ريفرز» في العمل

●● الجنس الثاني ●●

السياسى الداعى إلى تبنى مشروعات حقوق المرأة العاملة، مما أعطى دفعة قوية لحقوق المرأة في ميادين العمل الصناعى، وحق المواطنة المتساوى بين الرجال، والنساء، وقد بدأ مع بداية القرن العشرين بالمشاركة السياسية، والمظاهرات والتي اشتهرت فيها مظاهرات «ميدان الطرف الأغر» بلندن لتعبر عن صراع النساء، والسلطة الحكومية في بريطانيا مما أدى إلى دخول ٢٠ امرأة من أبرز القيادات النسائية السجن..

ثم جاءت «إيما باترسون» التي كانت من نتائج جهودها إنشاء التنظيم المعروف باسم «الرابطة النسائية للوقاية والحماية» في مدينة «برستول» من خلال الندوات، والخطب لأبناء الطبقة الوسطى البريطانية؛ والتي كانت واحدة منهم..

ومن أقدّر القيادات النسائية التي أثرت على الحكومات البريطانية من أجل حقوق المرأة البريطانية في ميادين العمل الصناعى «آن لوجين»، و«فلورانس هانكوك»، و«دوروثى البوت»، و«آيس أوران»، و«آن جودين»، وكان من نتائج جهودهن التأثير على الحكومات لاتخاذ التدابير اللازمة لحماية العاملين من الأطفال، والفتيات، وتحديد ساعات العمل..

ومع بداية القرن التاسع عشر شهد المجتمع العمالى في فرنسا حركة تحرير الطبقة العاملة، والمساواة بين المرأة، والرجل في الحقوق، والواجبات، ومن أبرز القيادات العمالية في هذا الشأن «فلورا تريستان» التي طالبت بتوحيد الطبقة العاملة رجالا، ونساء في منظمات اتحادية بحيث تحقق الاعتراف بحق الرجال، والنساء في التساوى في ميدان العمل، ومن ذلك يمكنها نزع الاعتراف بالحاجة إلى منح النساء تربية قيّمة، وفنية ليصبحن على المستوى القيمى للمجتمع..

غير أن القانون الألمانى الذى أكسب المرأة وضعها كأم؛ لم يمكن المرأة من العمل إلا بإذن زوجها، على أساس النظرة إلى المرأة بالنسبة للعمل الصناعى كنظرة ثانوية..

وفي الدنمارك أخذت المرأة حقوقها خاصة ما يتعلق منها برعاية الأسرة، والتعليم، والتدريب حيث إنها لم تتخل عن مراكزها المهنية التي اكتسبتها منذ الحرب العالمية الثانية حتى وصلت النسبة ٤٥٪ من مجموع العمالة هناك.

أما المرأة اليابانية فقد عبرت عن نفسها، ومساهماتها في بناء المجتمع بعيدا عن الأحزاب السياسية، والمنظمات الرسمية فراحت بعد الحرب العالمية الثانية تكون الاتحادات، والتجمعات النسائية مثل «رابطة الزوجات اليابانيات»، و«الاتحاد الوطنى لنوادى العمل النسائية» من أجل المشاركة، ومصالح

● ● الجنس الثاني ● ●

المجتمع، والمستهلكين مما دعم دورهن الاجتماعى، والصناعى، والترقى إلى المراكز القيادية. ومن حديث د.نبيلة الشال مقرر اللجنة العلمية لترقية أساتذة إدارة الأعمال بجامعة الأزهر ملحق الجمهورية «محبوبتى» في ٢٢ من مايو ٢٠٠٣ جاء فيه:

-«لا نستطيع أن نطلق على المرأة الروسية «جنس لطيف»، أو ناعم؛ بل هى امرأة غاية فى الخشونة، فكثير منهن يمارسن أعمالا صعبة مثل «سائق قطار»، و«أعمال البناء»؛ وذلك نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية عندما تفرغ الرجال للحرب؛ فوقع على كاهلها عبء الأعمال الداخلية بحلوها، ومرها»..

وفى مصر زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى للمرأة فى الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٥، وأرسلت منهن بعثات للخارج مما دفع بهن إلى المراكز القيادية، والعمل فى مختلف المجالات، وعند قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ استفادت المرأة من القوانين الجديدة حيث تساوت فى الأجر مع الرجل، ودور الحضانة، والإجازات مما شجع على اندفاع المرأة فى مجال العمل الذى لم يقتصر فقط على هؤلاء الآتى فقدان عائلهن الوحيد، أو مرضه، أو فقره فأصبحت نسبة المشغلات فى مجال الصناعات التحويلية ١٠,٧٪ سنة ١٩٧١، بعد أن كانت ٣,٣٪ سنة ١٩٦١، وكانت الزيادة فى هذه النسبة بسبب إحلال النساء محل الرجال إبان الحروب، ورجوع أجنبيات كثيرات إلى بلادهن إبان تأميم الثورة لكثير من المنشآت الخاصة بالأجانب كالشركات، والبنوك حتى وصلت المرأة إلى وظيفة وزيرة فى سبتمبر ١٩٦٢، كما استفاد الدفع النسائى أيضا بمجانية التعليم الذى دفع بأعداد متزايدة فى مجال الأعمال، الأمر الذى جعل عمل المرأة حتميا لشخصها بصرف النظر عن حاجتها للعمل، حتى بلغت قوى العمالة النسائية فى القطاع العام وحده ١١٥٥٣٦ سنة ١٩٨١، وكان لظهور الآلات الحديثة التى توفر الوقت، والجهد والتى دخلت البيوت أيضا أثرا كبيرا فى توجه المرأة من الطبقات العليا إلى العمل، بعد أن كان مقصورا على الطبقة الدنيا، والوسطى نظرا لحجم الفراغ الذى وقعت فيه المرأة من هذه الطبقة، فتنوعت مجالات العمل فى كل اتجاه..

لقد أدى الانقلاب الصناعى فى إنجلترا، والاعتماد على الآلة فى الصناعة إلى التخلّى عن القوة العضلية للرجل، ودخول المرأة، والأطفال سوق العمل بأجور تقل عن أجور الرجال، ثم جاءت الحربان العالميتان لتجهزا على البقية الباقية من قوة الرجل، وتسحبا البساط من تحت قدميه..

إن المستعرض لتاريخ خروج المرأة إلى العمل بهذه الكثافة لا يرى من محررى المرأة فى العصر

الحديث أى جهد، سوى كونهم أصحاب أفكار تقدمية أزعجت المجتمع أكثر مما أثرت فيه؛ فقيم المجتمع لا تتحرك سريعاً بالأفكار، ولكن بتغيير الظروف التى عادة ما يخلقها الإنسان، ويوجد نفسه أمامها فجأة، ودون سابق إنذار، والاعتقاد أن المرأة كانت ستخرج دون أن يقولوا، أو حتى يفعلوا شيئاً فقد خرجت من قبل شيوع أفكارهم تحت إلحاح الحاجة، والقهر الاقتصادى فى الطبقات الدنيا، وفى القرى حيث عملت المرأة فى تربية الأبناء، والدواجن، والماشية، وصناعة الألبان، ومنتجاتها، وإدارة الأعمال المنزلية، ولم تكتف بذلك بل خرجت لزوجها فى الحقل..

المرأة الريفية:

ولما كانت المرأة الريفية عادة ما ترى أن مهنتها الرئيسية هى ربة البيت؛ فذلك لا شك يساعد على إغفال الأعمال الهامة التى تؤديها، والتى تؤثر على النشاط الاقتصادى الكلى حيث إن مفهوم ربة البيت فى القطاع الريفى، وما يرتبط به من أنشطة اقتصادية يختلف تماماً عن ذلك المفهوم فى المناطق الحضرية؛ وذلك ببساطة لأن الزراعة مهنة، وطريقة معيشة، وأبسط ما يناط بالمرأة الريفية اضطلاعها باقتصاد الإعاشة بأكمله (الاقتصاد غير الموجه للسوق، والذى يضمن بقاء الأسرة على قيد الحياة، واستمرارها مهما انخفض الدخل)، أيضاً فإن الاحتياجات الاستهلاكية للأسرة؛ والتى يتم شراؤها من السوق فى الحضر يتم إنتاج جانب كبير منها بمنزلها فى الريف..

وقد قدرت منى دسوقى فى رسالتها للدكتوراه عن «عمل المرأة فى الريف المصرى» هذه الأعمال المنزلية الريفية بحوالى ٣٠,١٩% من إجمالى الناتج المحلى فى مصر، ويتضح من ذلك أن الاستقلال الاقتصادى للمرأة، وحصولها على عمل، وأجر من هذا العمل، أو تنمية ما لها له أثره على شخصيتها، وحياتها..

إن الاقتصاد هو مناط الوجود البشرى، وأى نشاط اقتصادى لابد من ترجمته فى النهاية إلى عائد مادى، ويقدر نجاح الإنسان فى الحياة بقدرته على تحصيل أكبر قدر من العائد المادى، والاستفادة به فى تطوير حياته، وجعلها أحسن، وأيسر، وأمتع..

ورغم مشاركة المرأة الريفية فى العديد من الأعمال الإنتاجية، والتسويقية، والأنشطة المنزلية، والصناعات الغذائية إلا أن دورها غير واضح بشكل كامل للمجتمع، ومتخذى القرار؛ وذلك لصعوبة

●● الجنس الثاني ●●

الحصول على بيانات عن عملها، ليس فقط بسبب تقاليد المجتمع؛ بل أيضا لعدم تقدير الجهات المعنية للقيمة الاقتصادية لمساهمة المرأة في العمل مما يؤدي إلى قصور وعى المرأة بذاتها، وضعف ثققتها في نفسها، وفي أهمية الأدوار التي تضطلع بها..

المرأة المعيلة:

يقرر د. خالد منتصر في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» أن ٢٢٪ من الأسر المصرية تعولهن سيدات، فيأتي العمل كضرورة عائلية تفرضها الظروف الاقتصادية، والمعيشية؛ وقد ذكرها القرآن الكريم في الحديث عن ابنتي الرجل الصالح لاضطرابهما للخروج لأن أباهما شيخ كبير، ويمتلى الريف المصري، وأطراف المدن بهذه النماذج؛ ففي دراسة حديثة عن الفقر للباحثة «نادية حليم» بعنوان: «النساء المعيلات لأسر في العشوائيات» نشرت الأهرام في ٢٥ من يونية ٢٠٠١ مقتطفات منه تبين أن النساء تشكل ٧٠٪ من فقراء العالم، وأن ١٠٪ من الأسر في الحضر تعولها نساء، وتبلغ النسبة ٢٩٪ في الأحياء التي تتسم بانخفاض في المستوى الاقتصادي، والاجتماعي، وهي مقسمة كالآتي:

- ٢٤,٥ ٪ نسبة من تعول فردا واحدا

- ١٩,٥ ٪ نسبة من تعول فردين

- ١٧,٢ ٪ نسبة من تعول ٣ أفراد

- ١٣,١ ٪ نسبة من تعول ٤ أفراد

- باقى النسب ٢٥,٧ ٪ تعول حتى ١٠ أفراد

تعليم المرأة:

يقول العقاد في كتابه «خلاصة اليومية»:

-«لا ينبغي أن يقتصر الغرض من تربية البنت على تعليمها كيف تكون زوجة إلا إذا كنا نعلم الفتى في المدارس كيف يكون زوجا، والعشرة الزوجية ليست حرفة يتلقى الطالب أسرارها في دور

●● الجنس الثاني ●●

التعليم، ولكنها عمل كسائر أعمال الحياة يحسنه الإنسان، أو لا يحسنه بمقدار ماله من الحذق، والاختبار»..

ويورد د. خالد منتصر في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» أن النساء يشكلن ٦٦٪ من إجمالي نسبة الأمية في مصر، وأن الفاقد في التعليم الابتدائي للفتيات يصل إلى ٢١٪، وتزداد هذه النسبة لتصل إلى ٤٢٪ في المرحلة الثانوية..

المراة والخدمة العامة

لا نملك أنفسنا عندما نقرأ سيرة إحدى السيدات مضيئة في سماء المجد، ووساما على صدر جيلها رجالا، ونساء، وشرفا يصبو إليه الرجل قبل المرأة؛ فحين نسمع، أو نقرأ عن هذه السيدة، أو تلك فإننا بإزاء عمل، وفعل، لا قول، وتشدق، إنهن يؤمن بقداسة العمل من أجل البشر جميعا، لا لمجد، أو شهرة، أو التربع على مقاعد السلطة، والرئاسة، إنهن لم يقرأن شيئا عن مبادئ تحرير المرأة، أو قضيتها المزعومة، بل آمنت أن كل إنسان من ذكر، أو أنثى ميسر لما خلق له، فهي رسالة يحملها الإنسان بين جنبيه لا يستريح إلا إذا أداها كما أرادها ضميره الذي أودعه الله البشر كي يظلوا قائمين على رسالاتهم فيؤدونها، أو يموتون دونها..

بشهادة الجميع تشهد المرأة دعما قويا هذه الأيام، ودفعاً لا مثيل له، ولكن العمل السياسي موهبة، وشعبية، وقوة شخصية، وقدرة على الخدمة العامة، والإفادة، وإرضاء الجميع، وهو ما يحتاج إلى تضحية، وإقناع..

التمثيل النيابي للمرأة؛ رغم الصراخ، والتهليل، والضجة الإعلامية لم تحصل فيه طيلة ٤٦ عاماً إلا على نسبة ٣,٦% فقط، وإذا أخذنا في الاعتبار قاعدة الموارد المصرية التي لا يترك فيها صاحب المنصب كرسيه إلا بالموت (على جثته كما يقول المثل) لانخفضت النسبة إلى ١,٨% باعتبار احتلال بعضهن كرسى التمثيل لعدة عقود متتالية، ومنذ أول برلمان دخلت فيه المرأة سنة ١٩٥٧ إثر دستور ١٩٥٦ الذي ساوى بينها، وبين الرجل في الحقوق السياسية من انتخاب، وترشيح للمجالس النيابية، ومع هذا فقد كانت المرأة المصرية سباقة في الحصول على هذه الحقوق لكثير من الدول العربية، والأجنبية..

آخر إحصائية حول مشاركة المرأة في العمل السياسي نشرتها أخبار اليوم في ٢ من مارس ٢٠٠٢

● ● الجنس الثاني ● ●

توضح أن نسبة المقيدات في جداول الانتخابات ٣٥,٥٦٪، وتزيد النسبة في المحافظات إلى ٤٦,٤٪. واحتلت محافظة شمال سيناء ومطروح المرتبة الأولى في المشاركة السياسية، ونسبة تمثيل المرأة في مجلس الشعب ٢,٤٪ وفي الشورى ٥,٧٪، ومن بين ١١٢ مرشحة نجحت ٧ مرشحات في انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٠ بزيادة ٢ عن انتخابات ١٩٩٥..

يقول د. عبد الهادي الجوهري أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة المنيا، إن المشاركة السياسية للرجل، والمرأة لا ترتبط بدرجة التعليم، والثقافة، أو الريف، أو الحضر، وهذا تؤكد الإحصائيات، فعدد المقيدات في وجه قبل ٤٥٪، وفي وجه بحرى ٥٥٪، وفي القاهرة ١٣٪، ولم تتعود المرأة في الريف، والمدينة على المشاركة السياسية، كما أن المجتمع، والثقافة الذكورية ترفضها أحياناً، وعلى الجانب الآخر يغالى بعض النساء عندما يتقلدن المناصب العليا في استخدام السلطة، ويرفعن شعارات مبالغ فيها لصالح الأنثى مما يغضب الكثيرين من مساندتها..

وتقول د. عائدة نصير الأستاذ بالجامعة الأمريكية لمحبوبتى في ٢٠ من سبتمبر ٢٠٠١:
-«إن المرأة ينقصها الكثير من الإنصاف، فهي مثلا تقوم بحوالى ١٨ وظيفة بدون أجر، وأستغرب أن الرجل يستطيع القيام بأعمال البيت لمساعدتها، بل يقوم بذلك في أكثر الأحيان ولكن بشرط ألا يراه أحد، أو يعرف بذلك أحد، أما المشاركة السياسية للمرأة فهي موجودة ولكن القنوات غير موصلة، جازم المحليات في حاجة لتنشيط أكثر لدور المرأة في هذه الناحية، ولكن ما شاهدناه في الانتخابات البرلمانية الأخيرة يؤكد أن مشاركتها في الريف كانت أكثر منها في الحضر، فهي في الريف أكثر نضجا»..
ذكرت جريدة الجمهورية في ٢٩ من سبتمبر ٢٠٠٥ أنه منذ عام ١٩٠١ - بداية منح جائزة نوبل - لم تحصل سوى ١٢ سيدة على نوبل للسلام في مقابل ٨٠ رجلا، ٢٠ جمعية، والمحامىة الإيرانية «شيرين عبادى» هى أول امرأة مسلمة تحصل على نوبل للسلام سنة ٢٠٠٣..

ألف امرأة لجائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٥ مشروع أطلقته البرلمانية السويسرية «روث جابى فورمونت» بهدف ترشيح ١٠٠٠ امرأة لنيل جائزة السلام الجماعية، وبدعم المشروع ٢٠ منظمة تهتم بحقوق المرأة لتكريم ملايين النساء في العالم اللاتي كرسن حياتهن من أجل السلام، أو العناية بضحايا الحرب، والمتضررين منها، والعمل على إعادة إعمار ما تخلفه من دمار، وبناء ثقافة جديدة من أجل السلام، ويخشى بعض المراقبين من أن يكون اختيار هذا الرقم الضخم إنذارا للرجال بأن النساء قادمات، وتعبير عن صعود لوبى نسائى خطير يهدد هيبة الرجل، وسلطته في الحكم..

●● الجنس الثاني ●●

وتتحدث عواطف والى رئيسة لجنة المرأة بحزب الوفد لمحبيبتي فى عددها الصادر فى ٢٠ من سبتمبر ٢٠٠١ عن العمل الأهلى فى مصر فتقول:

-«لدينا عمل أهلى على مستوى عال، ويكفى أن نعرف أن فى مصر أكثر من ٢ مليون شخص يعملون كمتطوعين، ١٤ ألف جمعية، ومصر لها تجربة رائعة جدا فى العمل الأهلى، ولكن الوضع اختلف الآن عن أيامنا لأن الجميع الآن يُردن أن يُصبحن قيادات، فأصبحت الخلافات على القيادة هى السائدة، بعكس ما كان يحدث؛ حيث كان الهدف واحدا للجميع، وهو العمل التطوعى؛ بغض النظر عن أى شىء آخر، وكانت لنا فى الرائدات قبلنا قدوة عظيمة، وأذكر منهن «لولو دوس»، و«ضيا بركات»، و«بنات نجيب باشا محفوظ»، و«ألكسندرا فرج»، وغيرهن ممن علمنا أصول العمل التطوعى، وهو ما علمناه لمن عملوا معنا، وأنا أفخر دائما بكونى تعلمت العمل الأهلى على يد الرائدة «هدى شعراوى»..»

تبنت ثناء القصاص مسئولة الشباب والمرأة بجمعية «تنظيم الأسرة» مشروعا للرجل يجعله يؤمن بدور المرأة، ويدفعها للأمام، ويمكنها من استخدام حقوقها، فالمرأة لن تستطيع أن تأخذ حقوقها بدون مساندة الرجل، وهذا ما سعت إليه الجمعية..»

«رزقة البلشى» شقت طريقها إلى مجلس الشعب من خلال عملها الوظيفى كأخصائية اجتماعية بالإسكندرية بلدها، ومثلت المعارضة لأكثر من حزب، وبعدها قررت هجر الأحزاب، والانتخابات، وتسليم الراية لشقيقها «محمد البلشى» كى تتفرغ مرة أخرى لعملها الاجتماعى، وخدمة أبناء دائرتها التى خدمتهم من خلال مجلس الشعب ثلاث دورات التحمت فيها بأهل دائرتها، وأهلها الذين شجعوها، خاصة الرجال منهم بإقامة السراقات من مالمهم الخاص، فكانت الأولى على الإسكندرية محققة أكبر نسبة أصوات، وثالث نائبة للعاصمة الثانية بعد «أمينة شكرى»، و«وداد شلبى».. قامت من خلال المجلس بالتعاون مع باقى العضوات بتقديم مشروع قرار يسمح للمرأة بالجمع بين معاشها، ومعاش زوجها؛ وتمت الموافقة عليه، وكان معها بالمجلس «فايدة كامل»، و«كريمة العروسى»، و«نوال عامر»، و«ألفت كامل»، و«زهى رجب»، و«ليلى تكلا»، خاضت معاركها الانتخابية وسط طلقات الرصاص؛ فى منافسة مع ٣٥ رجلاً من المرشحين الذين فازت عليهم..»

«نعمت إسماعيل يادم» عضو مجلس الشعب تحدثت العادات، والتقاليد، وعُرف المجتمع البدوى فى «مرسى مطروح»، وواصلت التعليم الإعدادى، والثانوى بمدرسة للبنين، فكانت البدوية الوحيدة

●● الجنس الثاني ●●

التي تكمل تعليمها، انتقلت إلى الإسكندرية من أجل إكمال تعليمها الجامعي فحصلت على بكالوريوس الزراعة ١٩٧١، تحددت الصعاب؛ وأصبحت عضو مجلس الشعب عن محافظة مرسى مطروح، ساعدتها أمها على اجتياز هذه المراحل، وإقناع والدها الذي كان يخشى بدوره انقلاب المجتمع القبلي المحافظ عليه؛ مثلت المرأة في «الاتحاد الاشتراكي» بمحافظتها، ثم رشحت بموافقة جميع القبائل في المجلس المحلي الشعبى، ثم دخلت مجلس الشعب رغم أنف الرجال في محافظتها.. وهى تقول إن مشاكل المرأة في محافظتها البدوية هى الأمية، والتعدد، والزواج العرفي غير المسجل؛ حيث يكون الزواج لديهم بالكلام دون الأوراق الرسمية، وأن نسبة عمل المرأة في المحافظة لا تتعدى ١٥٪..

امرأة والإبداع

تقول الأديبة زينب العسال في محبوبتي بتاريخ ١ من نوفمبر ٢٠٠١ عن فشل الأديبة، والشاعرة في الحب، والزواج:

-«إن الكاتبة تشعر دائماً بتضخم الذات، مما يجعلها لا تتنازل أبداً مع من تحب؛ بالإضافة إلى أنها تملك الوعي، وتعرف حقوقها جيداً، وترفض التنازل عنها»..

بينما ترجع الكاتبة إحسان كمال الفشل إلى الاختيار الخاطئ، أو الأقل تكافؤاً، واقتراباً..

هل اختفى فعلاً شعر الغزل؟.. الغزل في المرأة.. إلى الأبد..

ويفاجئنا الأديب جمال بركات برأى جرىء على صفحات محبوبتي في ٣٠ من أغسطس ٢٠٠١ إذ يقول في كل الأوساط ينظر للمرأة على أنها «أنثى» فقط حتى يتم الالتفات لكونها مبدعة، أو غير مبدعة في المرحلة الثالثة، أو الرابعة، أهم ما ينظر إليها في المرأة لون شعرها، لون عينيها، مدى استجابتها للضحك، والهزل، ثم بعد ذلك ينظر لإبداعها، وللأسف كثير من القائمين على الوسط الأدبي، وسلاسل النشر دائماً يكون هدفهم اصطياد الفتيات..

كما تشير القاصة منال السيد إلى أن مشكلة النشر لا تقابل كل المبدعات، فاتيكت معاملته المرأة تحتم على بعض المسئولين في سلاسل النشر ألا يخذلوا المرأة، وينشروا لامرأة على حساب امرأة أخرى، أو على حساب رجل آخر، وهذا الاتيكت لا يتبع مع كل المبدعات طبعاً؛ فهناك امرأة تستحق ذلك، وأخرى لا تستحق، بصرف النظر عن كفاءتها، ومستوى إبداعها..

يقول الناقد د.مجدى توفيق لمحبوبتي في ٨ من نوفمبر ٢٠٠١:

- «لا أذكر أى نص معروف لكاتبة في مصر تتحدث عن أدب الحرب، فمعظم الكاتبات يملن للتعبير عن الذات؛ أكثر من التعبير عن هموم قومية جماعية، والرجل أكثر اهتماماً بالقضايا العامة»..

ويقرر الشاعر د. عبد الحميد محمود في عدد ١٦ أكتوبر ٢٠٠٣ من ملحق الجمهورية محبوبتي أن الشعر هو كل عالم الرجل، ولكنه جزء من حياة المرأة الشاعرة، ولذا لم يذكر تاريخ الشعر سوى عدد بسيط من الشاعرات كالخنساء، ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، ويضيف أن هرمون التستوستيرون الذكري يجعل الرجل دائماً في حالة قلق؛ وهي حالة الشعر، فلا شعر بدون قلق، أما البروجستيرون الأنثوي فهو يطبع المرأة بالهدوء؛ وهو لا يصنع شعراً، ولذا فللمرأة لغة الإبداع الخاصة بها، وهو ما تؤكدته د. عزة هيكل في نفس العدد من الجريدة من أنها تظهر خصوصيتها كامرأة إذا ما كتبت الشعر، ويلاحظ د. محمد عبد المطلب أستاذ الأدب العربي بآداب عين شمس تخلص الأدبيات المعاصرات من سيطرة الأنوثة، فتنتقل نحو الصراحة، وعدم الخجل كما فعلت جداتهن المبدعات اللاتي لم يعطيهن تاريخ الأدب في العالم شرقه، وغربه سوى ٥% من مجموع من كتبوا الشعر بين البشر..

مع قوة اندفاع المرأة إلى الساحة برزت منهن أعداد كبيرة في كافة المجالات منها الكتابة، والإبداع من شعر، ونثر، وغيره من فنون الأدب، ولا يجدن شماعة يعلقن عليها قصورهن عن بلوغ ما يبلغه الرجل بخبرته، وصبوره، واحتماله سوى اتهام الرجل من الوقوف في طريقهن، ومنهن من يتهمن الرجل بالبلطجة الفكرية، وتنسى كل منهن أن الذي أخرجها، وشجعها هو أبوها، أو زوجها، وأن الرجال أيضاً يواجهون النقد، والإحباط فيعتبرونه دافعا لهم، فيتلقفون الحجارة، وما يُقدفون به لبناء أمجادهم، وتأكيد وجودهم بالساحة، وإنضاج مواهبهم، ومع اعترافهن بانشغالهن في البيت، والعمل، وغيره مما لم يذكرنه كالكوافير، ومشاهدة التلفزيون، وجلسات النسيمة، والثرثرة، والخروج، والرحلات، والتسوق وغيره إلا أنهن يلقون باللائمة دائماً على الرجل..

ويرد الأديب، والناقد مصطفى عبد الوهاب في عدد محبوبتي الصادر في ٢١ من يونيو ٢٠٠١ فيقول: «بعض الأدبيات المزيفات من المتحمسات مثلا للكتابة بلغة الجسد، والركاكة، ويشجعهن براغيث الحياة الثقافية يعجزن عن فتح نقطة واحدة إليها، ويعتمدون على استنزاف دمائها بالغوغائية، والصوت المرتفع، ليس أسهل عليهن من اتهام الرجال بالتخلف، ووصمهم بالمرض النفسي، واضطهاد المرأة، والحط من قدرها، وهذا غير صحيح؛ فهي نظرة قاصرة، وضيق أفق، والغرض مما يقوله هؤلاء تواجد إعلامي زائف، لأنه لا أحد يختلف أن هناك أدبيات يمثلن قيمة مثل «أمينة السعيد»، و«سهير القلماوي»، و«جاذبية صدقي»، و«لطيفة الزيات»، و«سكينة فؤاد»، وغيرهن من الكاتبات المحترمات»..

● ● الجنس الثاني ● ●

كما يرى الأديب هاني قطب أن ما ذكرته الأدبيات في هذا الشأن غير صحيح، والأدبيات يحصلن على حقوق أكثر مما يستحقنهن، وأعمال كثيرة تافهة تأخذ أكثر من حقها في الدعاية لمجرد أنها لأسماء أنثوية، والمؤسسات الثقافية الكبرى دائماً ما تجد فيها هذه المجاملات النسائية للمصريات، والعربيات لأعمال أدبية ضعيفة المستوى تتدخل في تقييمها الشللية، والعلاقات الخاصة مما يؤدي إلى تردى الواقع الثقافي، والتراجع عن موقع الصدارة في الثقافة العربية..

أما د. صبرى جرجس فيقول في كتابه «سيكولوجية المرأة»:

-«وقد نجح هؤلاء الرجال من الكتاب، والأدباء الذين كتبوا عن المرأة متمقين في فهم نفسياتها بخاصية الحدس التي لديهم - وهي صفة أنثوية بالدرجة الأولى - والتاريخ حافل بالآثار الأدبية النابغة لنساء متميزات بفضل هذه الخاصية؛ أما إذا تطرقن إلى موضوعات أخرى سياسية، أو ذات استقصاء ذهني كالفلسفة نلاحظ هبوط الإنتاج؛ فضلا عن خلو الميدان أصلا من السياسية، والفيلسوفة...»

ويعقد العقاد مقارنة في تفاوت الجنسين بهذا الشأن فيقول:

-«فالمراة لا تبتدى، ولا تبتدع في صناعة من الصناعات، أو فن من الفنون وإن طال عملها فيه من طهو، أو خياطة، أو نسيج، أو تزيين، وتجميل، ومنذ القدم كانت المراة تنوح، وتبكي، وتطيل الرثاء، والحداد على الأموات، ولكنها لم تنظم قصيدة واحدة تضارع قصائد الفحول من الشعراء، ولا ينكشف قصور المراة عن الابتداء، والابتداع في فن من الفنون كما ينكشف في فن الغناء، والموسيقى على الإجمال؛ فقد ظن خطأ أن الغناء صناعة نسائية سنحت لها فرص الحدق، والإيقان في هذا الفن بين القصور، وفي الأكواخ، والأسواق؛ فلم يؤثر لها ابتكار في التلحين، ولا اختراع في الآلات، ولا افتنان في معاني التعبير بالألحان، والأصوات؛ إذ الواقع أن الابتداء بالغناء أيضا خاصة من خواص الرجل الجنسية لا معنى لتفوق النساء فيها..»

وقد عاش بعض الراهبات كمعيشة الرجال الرهبان في القرون الوسطى بين الأديرة، والمعاهد الدينية، والعلمية، وانقطع هؤلاء للعبادة، والتلاوة، ونسخ الكتب، وترجمتها، والتفكير فيها؛ فلم يعرف لامراة راهبة فضل في القراءة، أو النسخ، أو الترجمة كالفضل الذي عرف لمئات من الرهبان، وعزى إليه إحياء نهضة العلوم بعد القرون الوسطى»..

ويقول في كتابه «ساعات بين الكتب»:

●● الجنس الثاني ●●

-«المرأة ما خلقت فيما مضى، ولن تخلق بعد اليوم قانونا خلقيا، أو نخوة أدبية تدين بها، وتصبر عليها غير ذلك القانون الذى تتلقاه من الرجل، وتلك النخوة التى تسرى إليها من عقيدته، ولو ظهرت فى الأرض نبية بمعزل من دعوة الرجال لما آمنت بها امرأة واحدة، ولا وجدت لها فى طبيعة الأنثى صدى يليها إذا دعت إلى التصديق، والإيمان، وإنما المرأة تؤمن بالرجل حين تؤمن بالنبى، وبالإله»..
ولكن كيف تحولت المرأة من ملهمة للرجل إلى منافسة له؟.. ومن يلهمه؟..
لقد غنى الرجل للمرأة كما غنى للجمال، والطبيعة فلمن يغنى؟.. وممن يتغنى بعد أن أصبحت رجلا مثله؟..

العنوسة

كانت الفتاة تعتبر عانساً في الأربعينيات إذا تعدت ١٦ سنة ولم تتزوج، وفي الستينيات كانت الدراسة الجامعية هي بداية الوقوف في محطة العوانس، واختلفت الصورة في التسعينيات، ثم أصبحت سن الثلاثين هي سن العار للفتاة التي لم تتزوج، وبعد الخامسة والثلاثين ينظر إليها وكأنها وصلت إلى سن التقاعد، وانتهى تاريخ صلاحيتها تماماً..

ويعتقد د. خالد منتصر أن هاجس الزواج، وعدمه بالنسبة للانس من بقايا العصر العبودي الذي يعامل من لا تتزوج كعار، وعبء، ومصدر نحس، ثم يأتي العقم ليمثل الهاجس الأشد وطأة لكون المرأة في هذه المجتمعات ماكينة لتفريخ الأطفال..

أما د. جيهان رأفت استشاري الأمراض النفسية والعصبية بقصر العيني فتقرر في الملحق الأسبوعي للجمهورية (محبوبتي) الصادر ٦ من فبراير ٢٠٠١ أن مثلث الرعب للمرأة: «العنوسة» - «الطلاق» - «العقم»، يعتبر قضية اجتماعية تبرز في المجتمع الشرقي عامة، والمجتمع التقليدي بصفة خاصة فمثلاً في الأحياء الشعبية داخل المدينة، والقرية ترى بشكل أكثر وضوحاً في هذه المجتمعات حيث تنظر للعار، والمطلقة فيها نظرة عنيفة غير مقبولة اجتماعياً؛ بينما في المناطق الأرستقراطية، والأحياء الراقية في المدينة قد تخف حدة النظر لقضية عدم الإنجاب، والطلاق..

آخر تعداد لقائمة العنوسة للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ضمت ٧ ملايين فتاة بعد أن كان الرقم الرسمي ٥ ملايين سنة ١٩٩٨ بارتفاع قدره ٤٠% في خمس سنوات، وهذه الإحصائية نشرتها الجمهورية القاهرية في ملحقها (محبوبتي) الصادر في ١٦ من سبتمبر ٢٠٠٤، أما العدد الأحدث في التقدير فهو ٩ ملايين عانس، وتفاوت الأرقام يرجع إلى أن هناك كثيراً من الحالات لفتيات أخذن لقب «الزوجة الثانية»، وبعده لقب «مطلقة» هرباً من شبح «انس»، وهذا باعتراف العانسات

أنفسهن..

نوهت جريدة الجمهورية في عددها الأسبوعي الصادر في ٢٢ من أغسطس ٢٠٠٢ عن الخلل، أو الرعب الذي أصبح يهدد البيت المصري في المستقبل القريب، والبعيد، وهو ما فجرته أرقام الإحصائيات الرسمية التي صدرت مؤخرا عن الجهاز المركزي لتعبئة العامة والإحصاء حول هبوط معدلات الزواج بنسبة ١١٪ عن العام السابق حيث بلغت عقود الزواج نحو ٥١٣ ألفا في مقابل ٥٧٩ ألفا في العام السابق، كما سجلت معدلات الطلاق ٧٠ ألف حالة في مقابل ٦٨ ألف حالة في العام السابق بزيادة قدرها ٣٪ لتبلغ النسبتان ١٤٪ في غير صالح مؤسسة الزواج سواء بالعزوف عنه، أو الخروج منه، وعدم الحرص عليه كنظام اجتماعي، ويحذر د.محسن العرقان الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بأن البديل الخطير لمؤسسة الزواج هو السقوط في مستنقع الرذيلة، أو الزواج السري وهو ما يؤدي في النهاية لانحلال المجتمع، وضرب بنيته الأساسية..

ويرى د.أحمد المجذوب الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية أن عزوف الشباب عن الزواج يرجع إلى افتقاد الثقة بالفتاة نتيجة سلوكها المضطرب، وعدم التزامها بالمبادئ التي يريدها الشاب فيمن ترتبط به، أما الطلاق فيعزى أسبابه إلى العامل الاقتصادي، وسوء المعاملة، والبخل، وعدم التفاهم، وعدم التكافؤ الاجتماعي، وسوء الاختيار حيث يتم التركيز في الاختيار على المظهر دون الجوهر؛ فتزول المشاعر الجنسية خلال شهر من الزواج، وعادة ما تتم أكثر حالات الطلاق في العام الأول من الزواج، بينما يرجع د.ثروت اسحاق رئيس قسم علم الاجتماع بجامعة عين شمس هاتين الظاهرتين إلى أزمات خطيرة ألمت بالمجتمع المصري، ليست اقتصادية كما يظن البعض، ولكنها أزمات ثقافية، وأخلاقية نتجت عن التغيرات الكثيرة، والمتلاحقة بالداخل، والخارج أصابت المجتمع بحالة من «الللخبطة»، وأدخلت عليه قيما جديدة لم تكن موجودة، وللأسف كلها قيما مرضية تؤدي إلى مزيد من التفكك الأسري، والانحلال..

في تحقيق نحو قياس رأى الفتيات في مطاردة شبح العنوسة لهن؛ علقته إحداهن على أن تأخر سن الزواج هو بسبب إصرار الفتيات على إتمام تعليمهن بعد العالي، وتحقيق كافة أحلامهن، وارتفاع تكاليف الزواج، ومغالاة الأهل في المهور، وتحدثت أخرى عن نفس الأسباب، ولكن بطريقة أخرى؛ فتقول: عندما أصبح التفكير في الطموحات، والأحلام على حساب الزواج، والاهتمام بالمظاهر؛ ظهرت هذه المشكلة، وتدعو إلى تشجيع الزواج المبكر بشرط إتمام التعليم، وتؤكد أخرى أن المشكلة لا

●● الجنس الثاني ●●

تقل عن مشكلات أخرى كالإدمان، والمخدرات، والإرهاب، وليس لها شروط نحو الزواج المبكر، ولا تحفظات..

ويشير د. السيد عوض أستاذ علم الاجتماع بكلية آداب فنا إلى أسباب الظاهرة في الصعيد:

- التدخل الصارخ من العائلة في اختيار شريك الحياة، خاصة إن كان من خارج العائلة..
- التعليم في البعض الآخر أتاح للفتاة حرية الرفض..
- رغبة من يريد الزواج من الاقتران بالفتيات صغيرات السن - دون الجامعيات - خاصة لو كانت غير عاملة في ظل انتشار البطالة، وغلاء الأسعار..

في الدراسة التي قامت بها د. إيمان محمد صبرى أستاذ علم النفس المساعد بكلية آداب المنيا على غير المتزوجين، ولماذا يفضل البعض العنوسة من خلال عينة من ٦٤ رجلا، وامرأة فوق سن ٣٥ تقول فيها إن ارتفاع معدل الاكتئاب لدى العانس يجعلها كالطفل اليتيم المحروم، وهى معرضة للإصابة، أو لديها معدل مرتفع من الاضطرابات الانفعالية، والقلق، وهن يرفضن الزواج بسبب:

- الخوف من تكرار فشل تجارب الآخرين..

- الهروب من تحمل المسؤولية..

- التعود على الوحدة، والشعور بالملل في التواجد مع الآخر بصفة دائمة..

- طمع الرجال في مرتب الزوجة، واختفاء مفهوم الرجولة الحقيقية..

- عدم وجود الشخص المناسب، وتحمل الزوجة لكل شىء..

أما سبب رفض الزواج من الشباب:

- تساهل البنات في إقامة علاقات..

- تفضيل الحرية على قيود الزواج..

- يرون أن الزواج نظام اجتماعى فاشل..

نشرت جريدة السياسى فى العدد الصادر فى ٢٣ من يونيو ٢٠٠٢ تحت عنوان «العنوسة قنبلة موقوتة فى البيوت المصرية» وما وصل إليه حال البعض من الفتيات المتعلقات المثقفات من زيارة للأضرحة، وتردد على الدجالين، والمشعوذين عن قناعة، أو ربما عن يأس؛ من أجل الزواج، ومن أجل ألا تقع فى دائرة العنوسة، كما يقع أخريات فى أتون الرذيلة، والتنازلات الأخلاقية من أجل الحصول على رجل، أو حتى ظل رجل وترجع الجريدة تأخر سن الزواج من مجمل آراء العامة، والمتخصصين

●● الجنس الثاني ●●

إلى العامل الاقتصادي، وهى فى رأينا آراء سطحية، ومتعجلة، فنجد أن الفتاة، وأهلها الآن يقدمون كثيرا من التنازلات، بل إن بعض البيوت، والفتيات يرصدون الأموال، والهبات من أجل زواج البنات، وجعلها مغرية ماديا لمن يتقدم للزواج منها حتى إن البعض يقع ضحايا للمحتالين..

وهذا فضلا عن دخل الفتاة نفسها التى تعمل غالبا، ولا تنفق كثيرا، وبالتالي لديها فائض تستطيع به أن تكون مغرية لأى شاب يريد الارتباط، وقد تساعد معه فى مصارف الزواج، والمعاش، وعيلنا إذن أن نبحث فى أسباب أخرى غير سطحية، ومريحة من أن التركيبية الاجتماعية قد اختلفت كثيرا عن ذى قبل فأصبحت للمرأة شوكة مثل شوكة الرجل، وأصبح البيت الذى كان يحتوى على رجل، وامرأة يحتوى الآن على رجلين لكل منهما شخصيته، واستقلاله، ومعارفه، وأهله، وماله الخاص، فأصبح البيت ساحة للصراع، وليس للوثام، والسكن، وإلا إذا كانت الأوضاع الاقتصادية هى الحائل دون الزواج فى مصر فكيف بالدول العربية ذات الدخل المرتفعة، وإحجام شبابها عن الزواج، وحتى فتياتها؟!..

نشرت جريدة الأهرام ملخصا لدراسة عن الزواج بمصر قام بها د. ماجد عثمان الأستاذ بمركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة تفيد بأن حالات الزواج التى تمت سنة ١٩٩٦ بلغت نصف المليون حالة، منها ١٣٣ ألف حالة (مايقرب من ٢٧٪) تكبر فيها الزوجة عن الزوج بفارق عمرى يتراوح بين ٥ إلى ١٥ سنة (يتراوح عمر الزوجة ما بين ٣٠ إلى ٣٥ سنة، وعمر الزوج ما بين ٢٠ إلى ٢٥ سنة)، كما أن نسبة عالية من هذه الزوجات يكون فيها مستوى الزوج التعليمى أقل من الزوجة بمعنى وجود تفاوت عمرى، وتعليمى، وهو ما يرجعه الباحث إلى خشية الفتيات من أن يفوتها قطار الزواج، ثم وصمها بالعنوسة، ومن جهة أخرى فإن الشباب غير القادر على أعباء الزواج لا يمانع من الارتباط بمن هى أكبر منه فى العمر، وأقدر ماديا منه على الرغم من أنه لم يسبق له الزواج..

مع نهاية عام ١٩٩٧ صدر كتاب د. نادين رضوان بعنوان «الشباب المصرى وأزمة القيم» عبارة عن دراسات تدور حول قضية الاختيار والزواج، يرصد أهم انعكاسات آليات السوق على القيم الخاصة بأسلوب الاختيار للزواج، مستوى التعليم والوضع الاقتصادى، وقيم الزواج المادية، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

١- انخفاض مستوى الأجور فى مصر تجعل الشباب غير قادر على مواجهة الحاجات الضرورية..

٢- غموض المستقبل، وعدم القدرة على الاستقلال المادى عن الأسرة..

●● الجنس الثاني ●●

٣- يعيش الشباب إجابات فرضتها عليه سياسة السوق؛ بارتفاع أسعار المساكن بصورة تفوق قدرات، وطاقة الأغلبية..

٤- انعدام ثقة الشباب في مؤسسات الدولة حيث أصبحت الوساطة، أو المحسوبة أهم مفردات قاموس الحياة اليومية..

وترى المؤلفة أن الزواج أصبح يخضع لمنطق العصر الحديث؛ وهو منطق العقل، والحسابات المادية بعد أن فقد الشباب إيمانهم بأهمية التقارب النفسى، والانسجام العاطفى، والتكافؤ الاجتماعى، والثقافى، والمادى بما يجعلهم يرون الحياة ذاتها مشروعاً تجارياً، وعلى الإنسان كسلعة قابلة للتداول أن يختار الصفقة الرابعة عند اختيار شريك الحياة..

الطفولة

تجتاح العالم الآن مشكلة الاستغلال التجاري الجنسي للأطفال خاصة في آسيا، وأوروبا الشرقية، والجنوب الإفريقي، وأمريكا اللاتينية، وهي مشكلة وليدة الفقر، والجهل، والإيدز، وهي المتسبب الأول في انتشار، وتزايد مرض الإيدز، وتقول الإحصائيات أن الطفلة، والفتاة هي الضحية الأولى له لتزايد إصابتها به والتي تقدر بستة أضعاف الولد، فقد وصل عدد إصابات اليافعين به في المرحلة العمرية من ١٥ إلى ٢٤ عاماً حوالي ١٦ مليوناً بواقع ٧٠٠ إصابة في اليوم الواحد..

تقول السيدة «سيلفيا» ملكة السويد في المؤتمر الدولي الثاني للاستغلال التجاري الجنسي للأطفال باليابان المنعقد في ديسمبر ٢٠٠١:

-«إن التكنولوجيا الحديثة متهمه بالمساهمة في انتشار الاستغلال التجاري الجنسي للأطفال بشكل خطير إذ يتم افتتاح ٦٠٠ موقع لدعارة الأطفال كل يوم، وأن الضحايا من الأطفال يبلغون مليوناً في العام الواحد»..

أشارت «مها النحاس» في تقريرها الإخباري الذي نشرته الأهرام في ١ من ديسمبر ٢٠٠٣ إلى أنه على الرغم من إلغاء تجارة «الرقيق» سنة ١٨٠٠م، وبناء على الإعلان العالمي «لحقوق الإنسان» لعام ١٩٤٨، ووفقاً لإعلان «حقوق الطفل» الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٥٩ الذي ينص على حق الطفل في الحياة في مناخ من الحرية، والكرامة إلا أن تقارير صندوق الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» يعتقد أن عدد الأطفال الذين يباعون في سوق العبيد سنوياً يصل إلى نحو ١,٢ مليون طفل، وذلك لعدم وجود إحصائيات رسمية، وأن هؤلاء الضحايا من عائلات غير متعلمة، وتعاني فقراً شديداً، وتفككاً أسرياً، ويتحول فيها الطفل إلى عائل للأسرة بدلاً من أن يكون محل رعاية والديه..

●● الجنس الثاني ●●

وتشير إحصاءات «منظمة العمل الدولية» إلى أن هناك ٢٤٦ مليون طفل يعملون في أسوأ ظروف العمل، وأن ١١١ مليون طفل تحت سن ١٥ يعملون أعمالاً خطيرة، وأن ٨,٤ مليون طفل يعملون كعبيد، وفي أعمال السخرة، والصراعات المسلحة، والدعارة، ففي ٣٠ منطقة من مناطق الصراع في العالم يشترك نحو ٢٠٠٠٠٠ طفل كجنود في الخطوط الأمامية، ويصل عدد الأطفال الذين يخدمون في الجيش البريطاني ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ طفل تحت سن ١٨، بينما تحظر معاهدة حقوق الطفل اشتراك الأطفال في الحروب تحت سن ١٨..

وقد تفاقمت ظاهرة المتاجرة بالنساء، والأطفال بعد سقوط الاتحاد السوفيتي من أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية، إضافة إلى العديد من دول إفريقيا، وآسيا، والأمريكيتين، والتي تمارس هذه التجارة منذ زمن بعيد، وتقوم بهذه العملية الآن شبكة عصابات دولية على درجة كبيرة من التنظيم يصعب الإيقاع بها بسهولة، مما حدا بأن تقر منظمة العمل الدولية أن تجارة الإنسان أصبحت تنافس التجارة غير المشروعة للسلاح، والمخدرات حيث يصل عائدها إلى ٧ مليارات من الدولارات سنوياً، وما زالت العقوبات المفروضة على هذه الجريمة غير كافية لردع المتاجرين في البشر حتى إن بلداً مثل إنجلترا لم يكن لديها تشريع يجرم تجارة البشر حتى سنة ٢٠٠٢، وقد دخلت المخابرات الغربية على الخط بالتعاون مع هذه العصابات المنظمة من أجل دعم جماعات التطرف بالأطفال، وعلى رأسها «داعش» من أجل هدم الدول، والقوميات في المنطقة العربية لصالح إسرائيل، والصهيونية العالمية..

ويورد د خالد منتصر في كتابه «الختان والعنف ضد المرأة» إحصائيات الأمم المتحدة سنة ١٩٩٩ التي تشير إلى أن هناك أكثر من ١٣٠ مليون طفل في البلدان النامية محرومون من حق التعليم، وثلثي هذا العدد من البنات، وأن سدس سكان العالم أميون، وتمثل الفتيات الغالبية العظمى..

التحكم في جنس الجنين:

ما هو رأى الجمعيات النسائية في العالم المتقدم، والعالم المتأخر في أبحاث التحكم في جنس الجنين التي يلهث وراءها العالم هذه الأيام مدعوماً بعلم جديد إلى حد ما يسمى «الهندسة الوراثية»؟.. هناك من يقول: وماذا في هذا؟..

● ● الجنس الثاني ● ●

والإجابة أنهم يريدون الذكر، ولا يريدون الأنثى حتى الزوجات تواطئن على هذا دون خشية من الله الذى يقول:

-«يخلق ما يشاء يهب ما يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور(٤٩) أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير(٥٠)» الشورى..

فهل يسير العالم رجاله، ونساؤه إلى حتفه، ونهايته؟..
لقد أدرك العلم مسئولية ماء الرجل فقط عن هذه الجنسية، ومنذ أربعة عشر قرنا أدركت هذه الحقيقة امرأة بدوية بسيطة بلا تجارب معملية معقدة، وبلا فحص مجهري دقيق فقالت عن زوجها الذى تركها إلى أخرى لأنها لم تنجب له الولد:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يذهب للبيت الذى يلينا
غضبان ألا نلد البنينا وليس ذلك فى أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

وتمضى الأبحاث هذه الأيام على قدم، وساق فى عالم الحيوان لإمكان ميل الميزان نحو الجانب الذكري لتزيد النسبة من ٥٠% إلى ٧٠%، ولأن العالم الغربى يمضى فى هذا قدما بلا تفكير ضاربا بتحذير رجال الدين عندهم عرض الحائط، اجتمع رجال الدين الإسلامى مقرين عدم جواز ذلك على مستوى الأمة؛ ولكن لا مانع شرعا من تحديد الجنس المطلوب على المستوى الفردى..
هل هذا كلام من العقل؟..

وما الأمة إلا مجموع أفرادها الذين ميزهم من يُسمون بالعلماء فى نظام الكون الذى وضعه خالقه بإحكام، ودقة لا يدركها البشر؛ ولكن:

-«لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن» المؤمنون(٧١)..
كم من نظام تدخل فيه الإنسان، وأفسده مع أنه هو الوحيد المستفيد منه..

المصادر:

العربية:

- ١ - د. صبرى جرجس.. سيكلوجية المرأة.. دار المعارف.. سلسلة اقرأ - العدد(٤١٩)..
- ٢ - هافلوك أليس.. الرجل والمرأة..
- ٣ - النبات العام.. علم الوراثة..
- ٤ - د. آمال كامب بيومى السبكي.. الحركة النسائية في مصر ما بين ثورتي ١٩١٩، ١٩٥٢.. الهيئة المصرية العامة للكتاب(١٩٨٦)..
- ٥ - محمد الغزالي.. قضايا المرأة.. دار الشروق..
- ٦ - د. خالد منتصر.. الختان والعنف ضد المرأة.. مكتبة الأسرة (٢٠٠٣)..
- ٧ - د. عادل صادق.. متاعب الزواج.. دار الشروق..
- ٨ - عباس محمود العقاد.. الصديقة بنت الصديق..
- ٩ - عباس محمود العقاد.. هذه الشجرة..
- ١٠ - عباس محمود العقاد.. الإنسان الثاني..
- ١١ - د. يوسف مراد.. سيكلوجية الجنس.. دار المعارف.. سلسلة اقرأ(١٣٧).. الطبعة الثانية..
- ١٢ - محمد رشيد رضا.. حقوق النساء في الإسلام.. دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.. بيروت.. الطبعة الأولى(١٩٨٩)..
- ١٣ - د. يونان لبيب رزق.. المرأة المصرية بين التطور والتحرر(١٨٧٣-١٩٢٣).. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة(٢٠٠٢)..
- ١٤ - د. فاطمة محمد على عثمان.. القيادة النسائية في عالم متغير(١٩٩٨).. الملتقى المصرى للإبداع

●● الجنس الثاني ●●

- والتنمية - البيطاش - الإسكندرية..
- ١٥ - سوزان موللر أوكين.. النساء في الفكر السياسي الغربي.. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام.. الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة (٢٠٠٥)..
- ١٦ - د.زكى نجيب محمود.. في مفترق الطرق.. دار الشروق(١٩٨٥)..
- ١٧ - د.فخرى فرج.. المرأة وفلسفة التناسليات..
- ١٨ - الحملة الفرنسية.. وصف مصر(الجزء الأول).. الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة..
- ١٩ - مصطفى محمود.. في الحب والحياة..
- ٢٠ - مارجريت كول.. الاشتراكية الفابية.. ترجمة عبد الكريم أحمد.. مراجعة على أدهم..
- ٢١ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.. تقرير التنمية البشرية لعام(١٩٩٤).. بيروت.. مركز دراسات الوحدة العربية..
- ٢٢ - قواعد بيانات العاملين بالقطاع العام والحكومة بمركز معلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء لعام(١٩٩١)..
- ٢٣ - أحمد حسن إبراهيم.. بعض آثار الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي على المرأة في مصر..
- ٢٤ - منى عبد العال سيد دسوقي.. عمل المرأة في الريف المصرى(رسالة دكتوراه مقدمة إلى معهد الدراسات والبحوث البيئية بجامعة عين شمس ١٩٩٩)..
- ٢٥ - محمد سعيد فرج.. البناء الاجتماعى والشخصية..
- ٢٦ - د.سامية الساعاتى.. دور المرأة في المجتمع المصرى الحديث(تحليل اجتماعى ثقافى)..
- ٢٧ - عبد الله إمام.. صفحات من تاريخ المرأة المصرية.. الكتاب الذهبى..
- ٢٨ - د.نوال السعداوى.. المرأة والغربة.. دار المعارف.. سلسلة اقرأ(٦٢٣)..
- ٢٩ - د.نوال السعداوى.. مذكرات طبيبة.. دار المعارف..
- ٣٠ - محمود فوزى.. اغتيال النساء..
- ٣١ - د.زكريا إبراهيم.. سيكولوجية المرأة.. مكتبة مصر..
- ٣٢ - قاسم أمين.. تحرير المرأة..
- ٣٣ - كتاب التعاليم اليهودية(التلمود).. وهو كتاب وضعى مثل البروتوكولات..
- ٣٤ - د.محمد عمارة.. قاسم أمين وتحرير المرأة.. كتاب الهلال..

●● الجنس الثاني ●●

- ٣٥ - د.شادية التل وآخرون.. التفكك الأسرى.. كتاب الأمة العدد(٨٥).. قطر..
- ٣٦ - د.مهدي فضل الله.. العقل والشريعة(مباحث في الاستمولوجيا العربية الاسلامية).. دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت.. الطبعة الأولى(١٩٩٥م)..
- ٣٧ - محمد حسن الزهراني.. نظرات في تعدد الزواج.. مكتبة التوبة - الرياض.. الطبعة الثالثة(١٩٩٣م)..
- ٣٨ - أحمد الشنتناوى.. تطور العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة(١٩٦٩)..
- ٣٩ - د.حسنى حمدان.. مقال في جريدة الجمهورية بتاريخ ٣ من يونيو ٢٠٠٤..
- ٤٠ - محبوتى.. الملحق الأسبوعى لجريدة الجمهورية القاهرية.. أعداد بتواريخ ٢١ من يونيو، ٣٠ من أغسطس، ٢٥ من أكتوبر، ١ من نوفمبر، ٨ من نوفمبر ٢٠٠١..
- ٤١ - د.أيوب أبو دية.. الحجاب في التاريخ.. مكتبة الفارابي..
- ٤٢ - قاسم أمين.. المرأة الجديدة.. مطبعة الشعب(١٣٢٩هـ - ١٩١١م)..
- ٤٣ - محمد الغزالي.. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث..
- ٤٤ - ويل ديورانت.. قصة الحضارة.. الهيئة العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة..
- ٤٥ - الأصفهاني.. الأغاني(الجزء ١٦).. الهيئة المصرية العامة للكتاب..
- ٤٦ - صحيح البخارى..
- ٤٧ - جورجى زيدان.. العرب قبل الاسلام.. تحقيق د.حسين مؤنس.. دار الهلال..
- ٤٨ - عباس محمود العقاد.. بلال داعي السماء.. منشورات المكتبة العصرية - بيروت..
- ٤٩ - عبد الحميد جوده السحار.. محمد رسول الله والذين معه(سلسلة السيرة النبوية) - تذييل غزوة أحد.. مكتبة مصر..
- ٥٠ - طلعت حرب.. تربية المرأة والحجاب..
- ٥١ - قاسم أمين.. المصريون.. دار الهلال(١٩٩٥م)..
- ٥٢ - أشرف توفيق.. جرائم المرأة(العالم السرى للنساء)..
- ٥٣ - عباس محمود العقاد.. ساعات بين الكتب..
- ٥٤ - عباس محمود العقاد.. خلاصة اليومية..
- ٥٥ - عباس محمود العقاد.. مراجعات فى الأدب والفنون..

- ٥٦ - د.نادين رضوان.. الشباب المصرى وأزمة القيم(١٩٩٧م)..
- ٥٧ - عباس محمود العقاد.. عبقرية محمد..
- ٥٨ - أبو حامد الغزالي.. احياء علوم الدين..
- ٥٩ - السيد سابق.. فقه السنة..
- ٦٠ - د.نظمى لوقا.. محمد في حياته الخاصة..
- ٦١ - د.محمد على محبوب.. نظام الأسرة وأحكامها في الشريعة والقانون.. دار النمر للطباعة..
معهد الدراسات الاسلامية(١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)..
- ٦٢ - د.أبو سريع محمد عبد الهادى.. حكم الإسلام في زواج المتعة.. الدار الذهبية للطبع والنشر
والتوزيع(١٩٩٤)..
- ٦٣ - أليكس انكلز.. مقدمة في علم الاجتماع.. ترجمة د.محمد الجوهري، د.علياء شكرى، د.السيد
الحسينى، د.محمد على.. دار المعارف.. الطبعة السادسة(١٩٨٣م)..
- ٦٤ - نظلة الحكيم، محمد مظهر سعيد.. جمهورية أفلاطون.. دار المعارف بمصر.. الطبعة الثانية..
- ٦٥ - د.زكريا إبراهيم.. مشكلة الحرية.. سلسلة مشكلات فلسفية(١).. مكتبة مصر..
- ٦٦ - كامل زهيرى.. مائة امرأة وامرأة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة(٢٠٠٢)..
- ٦٧ - كريستيان نوبكلور.. المرأة الفرعونية.. ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة د.محمود
ماهر طه.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة(١٩٩٩)..
- ٦٨ - عبد العزيز بن باز.. السفور والحجاب..
- ٦٩ - د.أحمد حمدى محمود.. الحضارة..
- ٧٠ - د.شكرى محمد عياد.. الحضارة العربية..
- ٧١ - تاريخ الجبرتي..
- ٧٢ - د.هنديك فان لون.. قصة الجنس البشرى.. مكتبة الشعب..
- ٧٣ - عبد اللطيف محمد الدمياطى.. جان دارك..
- ٧٤ - رشاد كامل.. زواج هز مصر.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة..
- ٧٥ - محمد عطية الابراشى.. مكانة المرأة في الاسلام..
- ٧٦ - أسامة عبد المقصود.. الخيانة الزوجية.. لماذا؟!..

●● الجنس الثاني ●●

- ٧٧ - سامية حبيب.. مسرح المرأة في مصر..
- ٧٨ - محمد عبد المجيد الفقى.. المرأة من السياسة إلى الرئاسة..
- ٧٩ - صبحى سليمان.. فن تربية البنات..
- ٨٠ - د.عبد الوهاب المسيرى.. الإنسان والحضارة والنماذج المركبة(دراسات نظرية وتطبيقية)..
دار الهلال(٢٠٠٢م)..
- ٨١ - ياسين الجمل.. نساء حول الرسول..
- ٨٢ - مذكرات هدى شعراوي.. تقديم أمينة السعيد.. كتاب الهلال(١٤٠١هـ - ١٩٨١م)..
- ٨٣ - مذكرات الأميرة جويدان(احدى زوجات الخديوى اسماعيل).. كتاب الهلال..
- ٨٤ - د.زكريا ابراهيم.. سيكلوجية المرأة.. مكتبة مصر..
- ٨٥ - أميرة خواسك.. معركة المرأة للخروج من عصر الحريم..
- ٨٦ - أميرة خواسك.. رائدات الأدب النسائى في مصر.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة(٢٠٠١)..
- ٨٧ - د.أحمد شوقى الفنجري.. النقاب(فى التاريخ - فى الدين - فى علم الاجتماع).. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. سلسلة قضايا اسلامية(١٩٨٧م)..
- ٨٨ - محمد أنس قاسم.. الحقوق السياسية للمرأة فى الاسلام..
- ٨٩ - د.فؤاد زكريا.. الإنسان والحضارة فى العصر الصناعى..
- ٩٠ - د.أحمد عزت راجح.. أصول علم النفس..
- ٩١ - د.خليل ميخائيل معوض.. سيكلوجية النمو(الطفولة والمراهقة).. دار الفكر الجامعى..
الطبعة الثالثة(١٩٩٤م)..
- ٩٢ - د.نريمان عبد الحكيم أحمد.. المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى..
- ٩٣ - د.أحمد عبد الرازق.. المرأة فى مصر المملوكية..
- ٩٤ - د.عائشة الحسينى.. المرأة السعودية العاملة فى التعليم العالى.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. المكتبة الثقافية(١٩٨٧)..
- ٩٥ - أنور الجندى.. المرأة المسلمة فى وجه التحديات.. دار الاعتصام.. الطبعة الأولى(١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م)..

● ● الجنس الثاني ● ●

- ٩٦ - د. زكريا إبراهيم.. مشكلة الانسان.. مكتبة مصر.. سلسلة مشكلات فلسفية (٢)..
- ٩٧ - د. زكريا إبراهيم.. مشكلة الحب.. مكتبة مصر.. سلسلة مشكلات فلسفية (٥)..
- ٩٨ - محمود عوض.. أفكار ضد الرصاص.. دار المعارف بمصر.. سلسلة أقرأ..
- ٩٩ - محمود فوزى.. الزواج العرفي (الزواج السرى).. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (٢٠٠٠م)..
- ١٠٠ - د. على عبد الواحد وافي.. الحرية في الاسلام.. دار المعارف بمصر.. سلسلة أقرأ (٣٠٤)..
- ١٠١ - د. مريد ينى حنا.. الغدد والشخصية.. .. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.. المكتبة الثقافية (١٩٦٧م)..
- ١٠٢ - محمد عبده.. الاسلام بين العلم والمدنية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة..
- ١٠٣ - أبو عبد الرحمن السلمى.. ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات..
- ١٠٤ - د. محمد أبو الاسعاد.. نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية..
- ١٠٥ - فتحى سلامة.. المرأة والتنمية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة..
- ١٠٦ - اقبال بركة.. المرأة المسلمة في صراع الطربوش والقبعة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة (٢٠٠٠م)..
- ١٠٧ - رؤوف توفيق.. سينما المرأة.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة (١٩٩٩م)..
- ١٠٨ - مى زيادة.. باحثة البادية وعائشة التيمورية.. كتاب الهلال ...
- ١٠٩ - منى رجب.. النساء قادمات..
- ١١٠ - علية الصالحى.. وثيقة الزواج الجديدة (جواز على ورقة طلاق)..
- ١١١ - د. أحمد عبد السلام.. البرود العاطفى عند الرجل والمرأة.. دار سلمى للنشر..
- ١١٢ - محمد مختار.. الأوضاع الاجتماعية للرقيق في مصر (٦٤٢ - ١٩٢٤م).. نسعى لتنمية النشر العربى..
- ١١٣ - د. عزة هيكل.. ملامح امرأة عصرية..
- ١١٤ - ابن كثير.. تفسير القرآن العظيم.. دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع..
- ١١٥ - عباس محمود العقاد.. المرأة في القرآن.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة (٢٠٠٠)..
- ١١٦ - صوفى عبد الله، د. نظمي لوقا.. نوابغ النساء.. كتاب الهلال (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)..
- ١١٧ - د. لويس عوض.. تاريخ الفكر المصرى الحديث (الفكر السياسى والاجتماعى).. كتاب

●● الجنس الثاني ●●

الهلال(١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) ..

١١٨ - أبو الأعلى المودودي.. الرّى بين الابتذال والاحتشام.. المختار الاسلامى للطبع والنشر والتوزيع..

١١٩ - د.عبد الشافى محمد عبد اللطيف..دراسات فى السيرة النبوية.. معهد الدراسات

الاسلامية(١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ..

١٢٠ - كمال أحمد عون.. الطلاق فى الاسلام(محدد ومقيد- فى سبيل حل اسلامى جذرى لمشكلة

الطلاق) .. مكتبة دار الشعب..

١٢١ - د.حسين مؤنس.. دستور أمة الاسلام.. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مكتبة الأسرة..

١٢٢ - رفاة الطهطاوى.. المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين.. الهيئة المصرية العامة للكتاب..

الأجنبية:

..«Cf.H.Deutsch»:The Psychology of woman

..«Simone de Beavoir» Le Dauxieme Sexe

..«OECD»: Women and employment policies for equal opportunity

..«W.Elliot Brownlee&Mary M. Brownlee» : Women in the American economy

المحتويات

٥	١ - مقدمة
١٣	٢ - المرأة عبر التاريخ
٤٧	٣ - سيكولوجية المرأة (التكوين النفسى)
٦١	٤ - المرأة والجمال (التكوين الجسدى)
٦٥	٥ - الذكر والأنثى بيولوجيا
٧٥	٦ - المرأة الغربية
٧٩	٧ - تحرير المرأة
٩٣	٨ - المرأة الحديدية
٩٩	٩ - المرأة والقانون المصرى
١٠٣	١٠ - التحرش والاعتصاب
١٠٧	١١ - المرأة ضحية التقاليد
١١٧	١٢ - الإسلام والمرأة
١٣٧	١٣ - الزواج
١٤٩	١٤ - الطلاق
١٥٩	١٥ - عمل المرأة

١٧٥	١٦ - المرأة والخدمة العامة
١٧٩	١٧ - المرأة والإبداع
١٨٣	١٨ - العنوسة
١٨٩	١٩ - الطفولة
١٩٣	٢٠ - المصادر

